جائزة ثمينة لمن يعثر على «العقل العربي»!

العدد (٦٨) ذو القعدة ١٤٢١ هـ - فبراير ٢٠٠١ م

المعرفة

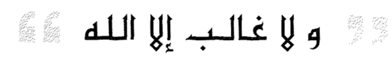
دروس في أسباب سقوط

الأندلس

لا غالب إلا الله لا غالب إلا الله لا غالب إلا الله لا غالب إلا الله



في البدء



«شعار ملوك غرناطة بالأندلس»



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة المعــارف
المملكة العربية السعودية

العدد (٦٨) - ذو القعدة ١٤٢١هـ - فبراير ٢٠٠١م

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عـهد وزير المعارف صاحب السمـو الملكي الأمير فهد بن عـبد العزيز
وأعـيد إصـدارها عـام ١٤١٧ هـ في عهـد خـادم الحرمـين الشريفين الملـك فهـد بن عـبدالعـزيز

إدارة النشر

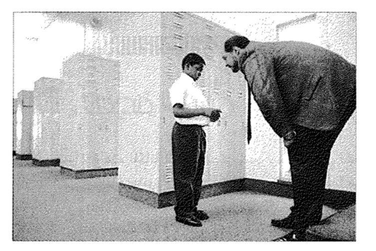


ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

البند الأول: المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضـرورة عن رأي وزارة المعـارف.

البند الثاني: ترتيب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.





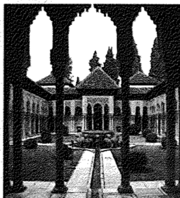
الطلاب لمعلميهم:

نحن لا نشبه الخراف التي تساق بالعصا!

١٢



هؤلاء يكتبون في ملف «الأندلس»:



- الفضل شلق.
- الطاهر مكي.
- جمعة شيخة.
- أحمد الدعيج.
- محمد العسري.
- فريدة عزوز.
- حسن الوراكلي.





حمد الماجد:

سأنقذ أطولهما «شوشة»!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحصة الأولى

لم تبرز الأندلس بالصدفة، ولم تتبوأ كل هذه المكانة العالمية لحظ سعيد وقف معها.. لكنها أضحت كذلك كونها «مركز تقاطع» لحضارات شتى وثقافات متنوعة استندت إلى دين متين سار بها في طريق الأخلاق واحترام الإنسان.

ولكن الـ«٨٠٠» سنة التي مكثتها الأندلس الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية الفرنجية لم تشفع لها لمزيد من الاستمرار، فقد عبث الناس في أواخر العهد الأندلسي بالأصل الديني الذي استندت إليه عند قيامها، فتبدلت الأخلاق غير الأخلاق، وفقد الإنسان احترامه وحقوقه، وانتشر مبدأ «صراع الديكة» على السلطة، وانتشر الجور، وتقلصت دائرة العدل، وافتتن الناس بالرغبة وأهملوا الحاجة.

إنها الحال الجديدة الخالية من المضمون التي فقدت بها الأندلس كل معالم إزهارها حتى طمست إلا من خلال آثار باقية تذكرنا المجد التليد.

إننا بحاجة إلى أن نفهم الإنسان الأندلسي الذائع الصيت كيف أزهر وكيف خَفَتَ نجمه.. بحاجة إلى أن نعرف أن حقوقه اكتملت في عصر الإزهار، ويوم ذابت الأندلس كانت حقوقه قد ذابت قبلها ذابت بحرق الكتب وقطع الألسنة!

«المعرفة» في عددها هذا تفتح ملف «الأندلس» الذي لم يُغلق يوماً ما.. لكنها تزعم أنها تفتحه من جهة أخرى! إنها تفتح الجروح الأندلسية التي يظن الأسبان أنهم دفنوها!

المعرفة

في هذا العدد



الخطوة الأولى لمواجهة العولمة: **٨٦**

عملية جراحية كبرى لواقعنا الثقافي

١٤٤



عبدالله القفاري:

جائزة ثمينة لمن يعثر على «العقل العربي»!

المراسلات

باسم :رئيس التحرير

ص.ب ٧ - الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to:

Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
www.almarefah.com

الأسعار

السعودية: ٨ ريالات، الإمارات: ١٠ دراهم، الكويت: ٧٥٠ فلساً، البحرين: ٥٠٠ فلس، قطر: ١٠ ريالات، سلطنة عُمان: ٨٠٠ بيسة، اليمن: ١٠٠ ريال، مصر: ١.٥ جنيه، المغرب: ٨ دراهم، سوريا: ١٤ ليرة، الأردن: ٧٥٠ فلساً، لبنان: ٣٠٠٠ ليرة، السودان: ٣٥ جنيهاً، أمريكا: ٣ دولارات، بريطانيا: ١.٥ استرليني، فرنسا: ١٥ فرنكاً.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي: مئة ريال سعودي للأفراد، ومئتا ريال للمؤسسات، بريدياً أوعن طريق شركة التوزيع.
قيمة الاشتراك السنوي خارج المملكة ٤٠ دولاراً «شاملة أجرة البريد»، (عن طريق الناشر).

الاعلانات

بالاتفاق مع : روناء للإعلام المتخصص

التوزيع

الوطنية  للتوزيع

مطابع

العبيكان Obeikan



عرس الثقافة والتراث

من السنن الحسنة التي سنها الحرس الوطني السعودي بتوجيه من رئيسه صاحب السمو الملكي، ولي العهد، الأمير عبدالله ابن عبدالعزيز حفظه الله، الاحتفال السنوي بمهرجان للثقافة العربية الإسلامية والتراث الوطني الصالح في مملكتنا العزيزة، لا تقتصر المشاركة فيه على أهل البلاد بل يدعى إليه العلماء، والأدباء، والمفكرون من الدول الشقيقة والصديقة ليكون أشبه شيء بعرس للفكر، والعلم، والثقافة، تتلاقى فيه العقول، وتتلاقح الأفهام، وتُتبادل الخبرات، وينتفع الأخ والصديق من تجارب أخيه وصديقه. فنعمت هذه السنة، ونعم من سنها، ونرجو أن يكون له أجرها، وأجر العاملين بها إلى يوم القيامة، (كما ورد في الحديث الشريف).

إن الحديث عن مهرجانات الجنادرية يتكرر كل عام، والمكرر يحلو، كما يقول المثل، لأن هذه المناسبة تتخذ في كل مرة شكلاً يختلف عن سابقه بتنوع المشاركين، واختلاف المحاور التي تدور حولها اللقاءات، وإن كان الثابت فيها، هو صور الماضي الذي عشنا فيه، ومازال يعيش في بعضنا، ونود لأولادنا وحفدتنا أن يبقوا على صلة به، ليعرفوا أين كنا، وكيف كنا؟ وأين نحن، وكيف صرنا؟ فيحمدوا الله على نعمه ويشكروه شكراً ينبعث من القلب ويتحرك به اللسان، فيكون سياجاً تُحفظ به النعم وتزداد.

ومما يميز هذا العام عن سواه من سوابقه أن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية تشارك في هذا المهرجان، تتعزز وحدتها، وتبرز وجوه التشابه بين شعوبها الشقيقة، فتزداد أخوتها أخوة، وتعاونها تعاوناً، وإننا نتطلع إلى العام القادم (١٤٢٢هـ) ليكون مهرجاننا السنوي مهرجاناً تشارك فيه كل دولنا العربية.

إن الانطلاق من أصالة صالحة إلى معاصرة صالحة هو من أفضل ما يقوم به أي مجتمع، لذا فإن إحياء التراث - عند أولي الحجى - ليس إحياء مطلقاً له، بحلوه ومره، ونفعه وضره، إنما هو تذكير بالصالح المشرق من الماضي ليكون حافزاً إلى صالح مشرق في المستقبل. وقد شارك نبينا محمد ﷺ في حلف الفضول في الجاهلية، وقال: إنه لو دعي إليه في الإسلام لأجاب، فما بالنا إذا كانت (أحلافنا) الماضية، والحاضرة، والمستقبلة، منطلقة من ديننا الحنيف، منسجمة مع روحه وتعاليمه!

إننا - بإحياء ما يستحق الإحياء من تراثنا - ننطلق من رؤية فكرية، أصيلة، حضارية، مهتدية بهدي إيماننا، تبلور لنا هويتنا الجماعية، وترسم لنا بعض خطوط علاقتنا بالماضي، وتعاملنا مع الحاضر، وتطلعنا إلى المستقبل.

وإننا في وزارة المعارف خصوصاً، وفي مجالات التربية والتعليم عموماً حري بنا أن نستفيد من هذه المناسبة وأمثالها أكبر استفادة: نشارك في صنعها، ونلتقي المشاركين فيها، ونحاورهم، ونتبادل الخبرات معهم، ونحرص على حضور

الافتتاحية



محمد بن أحمد الرشيد

فـعـالياتهـا من : الندوات، وحلقات البـحث، والمحاضرات، والأمسيات الشعرية، إلى آخر ما هنالك من وجوه النشاط الفكري والثقافي والعلمي.

إنني أدعو زملائي مديري المدارس، والمعلمين الكرام، وأبنائي الطلاب الأعزاء - على مختلف أعمارهم - أن يستفيدوا من هذه المناسبة الثمينة في زيارة الجنادرية، والاطلاع على ما فيها، ومعرفة كيف كان الآباء والأجداد يكدحون للحياة، فيزدادون تقديراً لما هم فيه من نعم غامرة وعيش رغيد، ويكون ما يشاهدونه جزءاً عملياً لمادة التربية الوطنية المقررة عليهم، ومحققاً لبعض أهدافها.

لقد شرفت وسعدت بأن كنت عضواً في لجنة أناطت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مهمة وضع (خطة شاملة للثقافة العربية)، فعملتْ اللجنة في ذلك أربع سنين دأباً وانتهت منها - بتوفيق الله - عام ١٤٠٧هـ، وجاءت الخطة في أربعة أجزاء من القطع الكبير تزيد صفحاتها على الألف، وكان لها آثار إيجابية تمثلت في أوجه عديدة من النشاطات في سائر أقطار وطننا العربي.

ومهرجان الجنادرية السنوي نشاط ممتاز يبلور الأفكار الواردة في تلك الخطة، وكذلك غيرها من المناسبات الثقافية والندوات العلمية، والأسابيع الفكرية، والتراثية، والفنية، التي أبرزت أهم ملامح تلك الخطة وحققت ما جاء فيها من توجهات واقتراحات.

وإني لأجد سعادة غامرة حين أرى تناوب عواصمنا العربية في أن تكون واحدة منها كل عام عاصمة ثقافية لكل العرب. وقد كان مهرجان الجنادرية في السنة الماضية من أبرز الإنجازات التي تمت في مدينة الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م.

أختم هذه الافتتاحية بتأكيد عمق الصلة بين التربية والثقافة؛ لأن الثقافة من أهم عناصر التربية، تصلح بصلاحها، وتفسد بفسادها.

وإننا - في وزارة المعارف - ندرك أن في الثقافة ثوابت لا تتغير بتغير الزمان، أو المكان، أوالإنسان، تلك هي المتعلقة بديننا، وعقيدتنا، وأخلاقنا التي نستمدها من قرآننا المجيد، وسنة نبينا محمد ﷺ، ونسترشد فيها بهدي سلفنا الصالح من الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) ومن تبعهم بإحسان، وهي ترتكز - كما جاء في الخطة المشار إليها - على منظومة من القيم الروحية، والفكرية، والاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية، والسياسية.

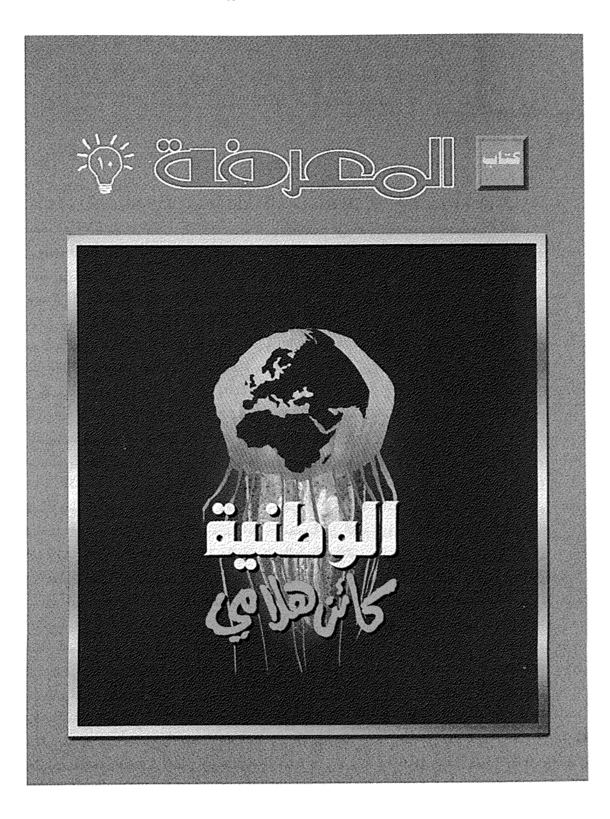
كما ندرك أن في الثقافة متغيرات لابد أن نساير فيها عصرنا، ونستفيد من معطياته وإلا عشنا خارج إطار الزمن، واستبعدنا واستعبدنا الأقوياء الذين اكتشفوا سنن الله في الكون وسخروها لمصالحهم.

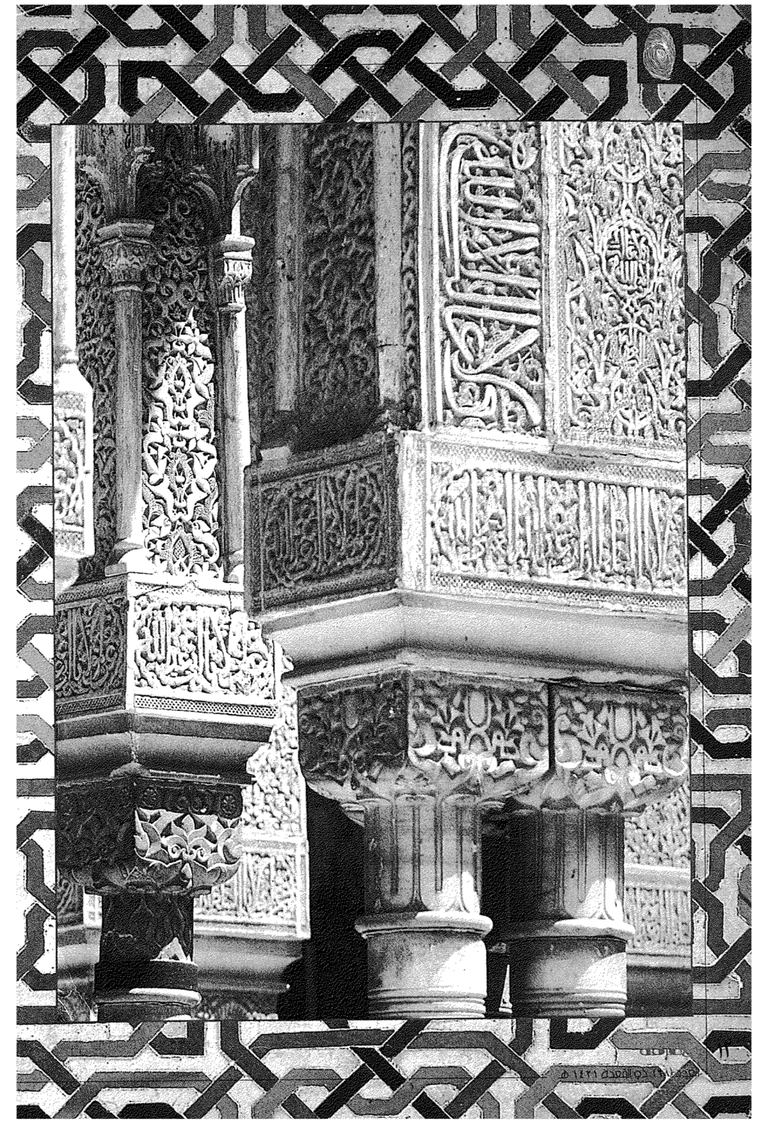
إن رؤيتنا - بحمد الله - واضحة، وإن هدفنا واضح، وقد وضعنا أفضل ما بوسعنا من الخطط المرنة لتحقيقه، ونسأل الله أن يعيننا على ذلك، وألا يكلنا إلى أنفسنا، إنه الموفق إلى كل خير، والهادي إلى سواء السبيل. ■

الآن في الأسواق:

الإصدار العاشر من « سلسلة كتاب المعرفة »

« مجاناً للمشتركين »

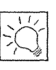






يا أندلسيون:

و لا غالب إلا الله



ليس أدعى للشجى والأسى في التاريخ الإسلامي من ذكر الأندلس، وليس أدعى للحزن والألم من تذكر قرطبة وبلنسية وطليطلة وغرناطة.

ثمانية قرون من الألق الروحي والفكري والثقافي انطفأ بريقها وخمد نورها. حضارة زاهرة لم يتبق من معالمها سوى نقوش وزخرفات ونمنمات على السقوف والجدران.. بنى الأولون وهدم المتأخرون!

انطلقت «الأندلس» في بداياتها على قاعدة من الإخلاص والتجرد لله نشراً للدين الحنيف، وتكويناً لمجتمع تطبق فيه رسالته.. فعاشت عصور عدل وأمن ورفاه وسلام.. ولكن الخلف أخلفوا، فاستحكمت الأطماع الشخصية، واستهوت الزعماء أهواء النفس ونوازعها فتآكل البناء في عليائه وتصدع لبنة لبنة حتى تساوى والأرض، الأرض التي كانت حينها يباباً!

قد يتساءل القارئ: ولم هذه البكائية الآن؟ ولم النواح وصفع الخدود في هذا الوقت بالذات؟ ألأن النعي والرثاء والنواح على الميت خاصية عربية؟ أم أن التركيبة النفسية والثقافية للشخصية العربية المعاصرة استمرأت غرز الأظفار في الجلد ليدمي فتستمتع بالنزف والألم؟

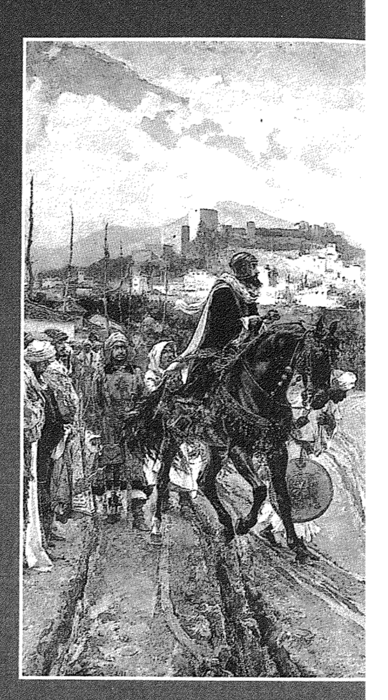
ونجيب: إننا نفتح (ملف الأندلس) لنقدم بعض الرؤى في محاولة لاستخلاص العبر والدروس من تراثنا الحضاري. وها هي حوادث التاريخ تتداعى لترسم لوحات شبيهة في حاضرنا.. ولا بد لنا ـ أحياناً ـ من استثارة مكامن الحزن والأسى في الدواخل، وتنشيط الذاكرة باستعادة شريط (تراجيديا) الأندلس، لعل ذلك يشحذ غيرتنا، ويؤجج دفعنا وتطلعنا لاستعادة هويتنا وحقنا.. ولاغالب إلا الله.

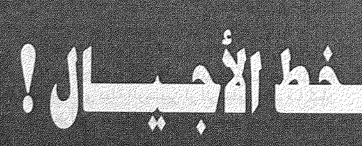
المعرفة

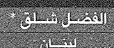


لم يكن ينقصه سوى مؤتمرات قمة عربية !:

أبو عبدالله الصغير يختار س







الفضل شلق *
لبنان

في القرن الخامس عشر كان الإسلام العربي يتراجع أمام زحف أيبيريا المسيحية، بينما كان الإسلام العثماني، في الطرف الآخر من المتوسط، يتقدم أمام بيزنطة المسيحية. فقد كانت الأدوار، على طرفي المتوسط معكوسة لا بسبب طباع أي من الأطراف بل بسبب الظروف التاريخية.

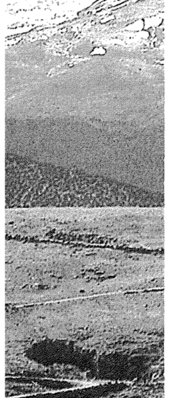
فقد كانت شبه الجزيرة الأيبيرية تدخل مرحلة جديدة من التوسع خارج أرضها. وكانت البرتغال، منذ أواسط القرن الخامس عشر، ترسل بعثات الاستكشافات الجغرافية باتجاه السواحل الأفريقية الغربية. وستتوصل هذه البعثات إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن ثم الوصول إلى الهند. وإذا كان البرتغاليون قد اتجهوا شرقاً، فإن الإسبانيين اتجهوا غرباً باتجاه القارة الأمريكية. وقد استطاع كولومبوس إقناع فردناند وإيزابيل بدعم رحلته الأمريكية عندما كانا يحاصران غرناطة.

* رئيس تحرير جريدة المستقبل اللبنانية.

وقبل سقوط غرناطة بأكثر من ثلاثة قرون كانت المسيحية الأيبيرية قد بدأت بالتوسع في مواجهة مسلمي الأندلس. فقد سقطت طليطلة في أواخر القرن الثاني عشر، واستمر الصراع طوال هذه الفترة، وما كان باستطاعة مسلمي الأندلس الصمود دون الدعم الآتي من المغرب. فقد تعاقبت على المغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ثلاث دول هي دولة المرابطين (١٠٥٥-١١٤٦م) ثم دولة الموحدين (١١٣٥-١٢٧٦م) ثم دولة المرينيين (١٢٤٤-١٤٦٥م)، وكان العبور إلى الأندلس للقتال إلى جانب مسلميه جزءاً أساسياً من برنامج عمل كل من هذه الدول.

لكن دول المغرب المتعاقبة، وكذلك دول الطوائف في الأندلس، كانت جميعها في موقع دفاعي إذ لم يمتلك أي منها مشروعاً يدفعه للاستمرار في الهجوم، وكانت الأيديولوجيا التي تجاهد تحت رايتها كل من هذه الدول ذات طابع محافظ، تعاقبت في تلك الدول ثلاثة أو أربعة أجيال على الطريقة التي وصفها ابن خلدون دون أن تنجح في إحداث تحول اجتماعي ودون أن يؤدي قيامها إلى تغيير جذري في المفاهيم أو في الممارسات، بل كان التجديد لديها أمراً مكروهاً كما تشير المعاملة التي لقيها ابن رشد وكُتُبُه على يد الموحدين.

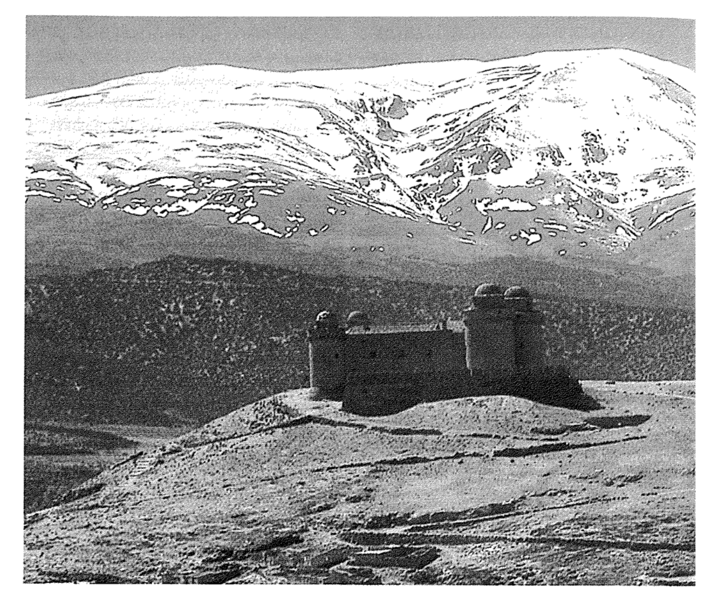
في الطرف الآخر من المتوسط، كان الأناضول يتحول في الفترة نفسها من المسيحية إلى الإسلام، إذ كان البيزنطيون غير قادرين على المحافظة على مواقعهم في وجه السلاجقة، ثم العثمانيين. فقد حقق السلاجقة انتصارهم الكبير في موقعة ملازكرد عام ١٠٧١م، ثم جاءت الحملات الصليبية ابتداء من العام ١٠٩٥م، وكان من أهدافها المعلنة نصرة المسيحية الشرقية، إلا أن الحملات الصليبية المتعاقبة أدت إلى إضعاف الدولة البيزنطية، وخصوصاً عندما احتل اللاتين القسطنطينية إبان الحملة الصليبية الرابعة، عام ١٢٠٤م، وأسقطوا إمبراطورها وأنشأوا دولة لهم فيها. ودام احتلالهم لها أكثر من نصف قرن. ولم تستطع الدولة البيزنطية بعدها أن تسترد مكانتها العالمية ولا أن تستعيد مركزيتها في التجارة الدولية. وقد سقطت القسطنطينية أمام العثمانيين في العام ١٤٥٣م، أي قبل سقوط غرناطة بأربعين عاماً، أي في المرحلة التاريخية نفسها. وما يلفت الانتباه في كل من التجربتين ليس السقوط بل قدرة كل منهما على الصمود لأكثر من قرنين بعد فقدان المقومات. وما يلفت الانتباه أيضاً أنه في الحالتين كانت الدولة الأكثر تقدماً حضارياً هي التي تسقط أمام قوى أقل تقدما (وحداثة؟ حسب التعابير المعاصرة).



وقد كانت سياسة المسيحية الأيبيرية حيال الأديان الأخرى في شبه الجزيرة تؤدي إلى القضاء عليها. وكان إنشاء محاكم التفتيش يهدف إلى محاكمة كل من يخالف الدين الرسمي، وحتى الكاثوليك كانوا يخضعون لملاحقات لمنع الهرطقات. وكان المخالفون يتعرضون لأقسى العقوبات. وكان المطلوب ألا يجتمع في شبه الجزيرة الأيبيرية دينان. وهذا ما لم يحدث في شبه جزيرة الأناضول، أو في الإمبراطورية العثمانية بعد سقوط القسطنطينية. فالتحول عن المسيحية هناك حدث تدريجياً، ودون تدخل من الدول. فقد حرص العثمانيون على تنظيم الملل لا على اجتثاثها.

* * *

لا ندري كيف كان أبو عبدالله الصغير ينظر إلى المسرح التاريخي في حينه. لكن إدراك الصعوبات التي تواجهها غرناطة ما كان صعباً، فقد كانت الأقاليم التي يسيطر عليها المسلمون تضمر تدريجياً في مواجهة المسيحية الأيبيرية. وأدى الضعف الذي حل بدول المغرب المتعاقبة إلى تضاؤل القدرة على دعم الأندلسيين. وما كان المرينيون يمتلكون القوة والزخم بمستوى دولة الموحدين أو المرابطين. لذلك ما كان منتظراً أن تستطيع غرناطة الصمود لفترة طويلة في نهاية القرن الخامس عشر، فكان عليه الخروج أو البقاء، وفي الخروج التخلي، أما البقاء ففيه الفناء



بشكل أو بآخر. وكان خياره في عقد اتفاق مع محاصري غرناطة من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه. لم يؤد هذا الاتفاق إلى نتيجة مرضية طبعاً.

تتطلب المواجهات الكبرى قرارات بالمستوى نفسه. وفي كل قرار تحصل مغامرة، إذ تبقى هناك عوامل غير متوقعة أو غير منظورة مهما كانت إحاطة القائد بالوقائع شمولية ونفّاذة. وإذا كان ما يقرر النصر أو الهزيمة هو ميزان القوى، فإن حيوية الجماعات أو الشعوب أمر يصعب إدخاله في حسابات موازين القوى. وفي تاريخنا مثل ملموس على أنه لو أخذ المسلمون الأوائل بموازين القوى حينذاك لما كانوا خرجوا من شبه جزيرتهم ولما حققوا تلك الانتصارات العظيمة والفتوحات الواسعة.

والمهادنة بحد ذاتها ليست عيباً، فعندما عقد الرسول الكريم ﷺ صلح الحديبية، كان ذلك على الرغم من معارضة معظم أصحابه، وهو نفسه الذي هادن مكة وأهلها اتخذ القرار، بعد فترة وجيزة، بغزو امبراطورية الروم، على ما هنالك من فارق كبير بين قوى المدينة وقوى بني الأصفر، كما كان العرب يسمونهم. في المرة الأولى كان العرب مشتتين والمسلمون مازالوا أقلية في شبه الجزيرة، وفي المرة الثانية كان العرب المسلمون قد توحدوا، لكن ميزان القوى كان مايزال في غير صالحهم، وما قادهم للنصر هو تلك الحيوية الهائلة التي منحهم إياها الإسلام.

يفسر الاقتصادي الأمريكي المعروف كندل برغر تعاقب هيمنة الشعوب الأوروبية (البرتغاليون والأسبان، ثم الهولنديون ثم الإنجليز ثم الأمريكيون) بعامل الحيوية، ويشبه حياة الشعوب بحياة الأفراد الذين يمر كل منهم بمرحلة هي الأكثر حيوية في شبابه ويستخدم

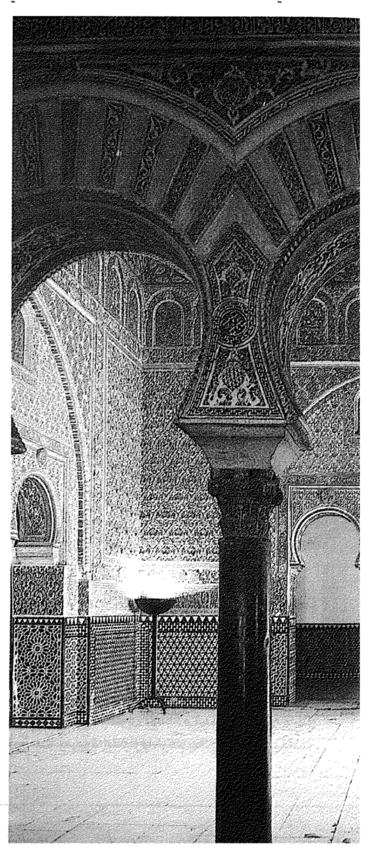
في ذلك ما يسمى (منحنى إس S-Curve) فهو يفسر ظواهر اقتصادية بعوامل غير اقتصادية. ويستخلص المرء من قراءة كتاب دبليو دبليو روستو عن تاريخ النظريات الاقتصادية أن العامل الأهم في النهوض الاقتصادي هو العنصر البشري، فهو العنصر الذي يصنع العناصر الأخرى (تراكم رأس المال، المواد الأولية، إلخ...) ويذكرنا كل ذلك بنظرية ابن خلدون حول العصبية، فهي إذا توافرت لدى شعب ما فإنها تتيح له تكوين عصبية الدولة. والأرجح أن الحيوية (أو العصبية) هي ما يصيغ التقدم لا العكس. فالتقدم يعكس حالة النهوض، أو القدرة على الفعل، أي الحيوية.

ربما كان سهلاً إدانة أبي عبدالله الصغير لما فعله فقد اتهمته والدته، وهي أقرب الناس إليه بالتخلي، وقولها في ذلك مشهور، ومن الممكن لمن كان لديه معرفة بما يجري في العالم آنذاك أن يقيس فعله بما أنجزه العثمانيون، وهم انطلقوا من قاعدة صغيرة كانت إمارة على أطراف السلطنة السلجوقية الأناضولية، فرفعوا راية الجهاد واستطاعوا الحلول مكان السلاجقة ثم إزالة الإمبراطورية البيزنطية الموغل مجدها في القدم. والهولنديون في القرن السابع عشر سيطروا على تجارة العالم، وكان لهم الدور القيادي المهيمن فيه، على الرغم من صغر حجم أرضهم وشعبهم، وعلى الرغم من كونهم تابعين للدولة الأسبانية، ولم يكن لهم ملك بل تشكلت دولتهم من سبعة أقاليم عاصمتها أمستردام التي تتحمل أعباء الأقاليم الأخرى عندما تتخلف عن المساهمة. والبرتغال في القرن السادس عشر كان لها الدور القيادي في العالم وحققت انتصارات كبرى في أراض بعيدة، على شواطئ الهند والعرب، وذلك على الرغم من صغر حجمها. وما حققه البرتغاليون والهولنديون في البحر شبيه بما حققه العثمانيون في البر، فشعب صغير الحجم قليل الموارد يمكن أن يحقق ما يشبه المعجزات متى توافرت الإرادة، أي المشروع السياسي ذو البعد التاريخي. والإرادة من هذا النوع هي ما يعكس الحيوية التي يتمتع بها القوم أو الشعب في برهة تاريخية مناسبة، وهذا أمر صعب، ففي بداية القرن الخامس عشر، كان لدى الصين الأكثر عدداً وقوة وجبروتاً من البرتغال في ذلك الحين، ومن هولندا بعد ذلك بقرن، أساطيل ذات سفن أكثر ضخامة، وكانت أكثر تقدماً ووصلت أساطيلها إلى سواحل جزيرة العرب وأفريقيا بين عامي ١٤٠٥ و ١٤٢٥م لكنها قررت فجأة إحراق الأسطول والعزوف عن التوسع البحري، وتبقى الأسباب لغزاً. ويذكرنا ذلك بالخليفة العباسي المقتدر الذي أحرق أسطول المتوسط دون ذكر الأسباب التي لا تزال غير معروفة.

فشعوب صغيرة ذات إرادة وحيوية تستطيع التفوق

أو تحقيق ما لا تستطيعه دول كبيرة قوية فاقدة القرار. فهذه تهدر قواها وتلك تستطيع تعبئة قوى أكثر مما تتيحه إمكانياتها المنظورة. وليس في الأمر سحر، لكننا نعجز عن وضع حسابات القوى غير المنظورة (الحيوية، الإرادة، العصبية... إلخ) في تقدير موازين القوى.

لقد كانت غرناطة إمارة مواجهة، أي على الطرف المحاذي لأوروبا المجاورة، كما كانت الإمارة العثمانية في

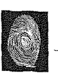


الأناضول، لكن غرناطة انهزمت أو هزمت نفسها، والإمارة العثمانية حققت إنجازاً كبيراً. هذا مع العلم أن التاريخ لا يسير على خط مستقيم، إذ إن الإمبراطورية العثمانية التي بقيت تتوسع براً بعد سقوط القسطنطينية وحتى نهاية القرن السابع عشر عندما حاصرت فيينا (١٦٨٣م) عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي كانت أقوى دول أوروبا، لم تستطع أن تحقق انتصارات موازية في البحر. فقد انهزم العثمانيون وهم في أوج قوتهم أمام البرتغاليين في المحيط الهندي رغم الظروف المناسبة (إذ كان مسلمو الهند بجانبهم)، ورغم تقدمهم إذ كانوا يرسلون خبراء مدفعية إلى الممالك الإسلامية في مصر، وفيما أصبح إندونيسيا الآن ورغم تفوقهم العددي على البرتغاليين، وذلك في النصف الأول من القرن السادس عشر. كما انهزموا في العام ١٥٧١م في معركة ليبانتو البحرية أمام البندقية، وحاصروا مالطا أكثر من مرة ولم يستطيعوا أخذها في حين كانوا ينشئون امبراطورية ضخمة في البر الأوروبي.

لقد كانت غرناطة إمارة مواجهة، وفشلت في تحقيق ما أنجزه العثمانيون، فقد كان المغرب حينذاك يشيح بنظره عن الأندلس.

وكان المنصور الذهبي في القرن السادس عشر يقود الحملات باتجاه الداخل الأفريقي ويصل إلى تمبكتو (بحثاً عن مصادر الذهب؟ في مدينة ونغارة التي سيعرف الجميع أنها موقع وهمي). وفي الوقت نفسه كان باستطاعة الأوروبيين، عن طريق الحملات الصليبية المتجددة، محاصرة جزيرة جربة في تونس، واحتلال مدينة المهدية لبعض الزمن، وتأسيس مواقع لهم على شواطئ المغرب (سبتة)، وهي باقية حتى اليوم.

مسكين أبو عبدالله الصغير، كان عليه أن يحيط بما يجري في العالم بأسره كي يتخذ القرار الصحيح الذي يحدد موازين القوى بدقة، فيعرف كيف يهاجم ومتى ينسحب، وهل يصمد حتى الموت أو يتراجع تكتيكياً كي يستعيد قواه، وما كان ينقصه هو مؤتمرات قمة عربية أو إسلامية تعينه وتسدد خطاه! لقد قاتل بشجاعة هو وأصحابه كما تحدثنا كتب التاريخ المعاصرة، لكن كان عليه في النهاية أن يوازن بين شرف الاستشهاد مع النساء والأطفال والعجزة مع سقوط المملكة، أو يخسر المملكة ويخسر الشرف بالاستسلام، وقد لجأ للحل الثاني غير مختار، فلقي سخط الأجيال. ■



الأندلس وصقلية، ويعدان تاريخياً إقليماً واحداً، لتقاربهما سكاناً وبيئة، الاستثناء الوحيد في قاعدة تاريخية تقرر: حيثما بلغ الإسلام أرضاً استقر فيها إلى الأبد.

كان فتح الأندلس أواخر القرن الهجري الأول يمثل ظاهرة فذة، نادرة المثل في العصور الوسطى، في سرعته وآثاره السياسية والعسكرية والاجتماعية، فقد طوى الإسلام تحت جناحية خلال سنوات أربع، كل شبه جزيرة إيبيريا، رغم صعوبة المواصلات،



ابن خلدون يحدد الأسباب :

ضياع العصبية والانغماس في النعيم

الطاهر أحمد مكي *
القاهرة

وكثرة الجبال الشاهقة، وتباعد المدن، ودخل الناس طواعية في دين الله أفواجاً في زمن يسير، ولم يتخلف منهم غير القليل، دون إرغام أو قهر أو قسوة، وأقبل الناس على تعلم اللغة العربية، لغة الدين الجديد، فكانت أداة التفاهم بين كل الطبقات، مسلمين ومسيحيين، أغلبية وأقلية، وصارت لغة التعليم والإدارة والسياسة، والدبلوماسية.

* أستاذ الأدب بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
عضو مجمع اللغة العربية.



وكما كان الفتح ظاهرة فذة وعملاً استثنائياً جاء السقوط والتلاشي، في شموله وعمقه، قليل النظير والمثل، فقد ذهب بأصول الحضارة الإسلامية ولما يبق منها غير خافت الصدى.

وراء الظاهرتين، الفتح والسقوط، أسباب متشابهة، أورد لنا ما يتصل بالثانية منهما، وأدرك بداياتها: المؤرخ العظيم، عبدالرحمن بن خلدون، وهو عربي يمني، هاجرت أسرته إلى الأندلس في أواسط القرن الثالث الهجري تقريباً، واستقرت في إشبيلية، وبلغت فيها شأواً بعيداً: غنى وجاهاً وحسباً، فلما سقطت هذه المدينة في يد النصارى أواسط القرن السابع الهجري، هاجرت إلى المغرب، ثم استقرت في بعض مدنه.

عاد ابن خلدون إلى غرناطة، وبقي فيها فترة قصيرة، سفر فيها لسلطانها عند ملك قشتالة، الذي أعجب بعلمه وذكائه، فحاول أن يغريه بالبقاء معه مستشاراً، وأن يرد إليه كل أملاك أسرته في إشبيلية، فأبى أن يخون دينه ووطنه ورفض العرض.

ولكن الأحوال السائدة في غرناطة لم تعجبه، ولم يرض عنها، وعجز عن إصلاحها، وأدرك أن الدولة في طريقها إلى التلاشي، فعاد إلى تونس من جديد، ولم يجد الحال فيها أفضل مما ترك في غرناطة، فتركها إلى المشرق، واستقر في القاهرة، حيث تولى التدريس في الجامع الأزهر، وأصبح قاضي قضاة المالكية، وسفر لسطان مصر عند تيمور لنك عندما استولى هذا على دمشق فأحسن استقباله، وأكرم وفادته، وعرض عليه أن يعمل مستشاراً له فرفض.

فابن خلدون، كما ترى، خبر الحياة على أيامه عن قرب، في الأندلس والمغرب والمشرق، وعاش في كبرى حواضر العالم الإسلامي إذ ذاك، وكل ذلك أهّله لأن يراقب الأحداث ويتابعها ويتأمل سيرها، وانتهى إلى قواعد تحكم حركة المجتمع، وضمنها مقدمته التي كانت في البدء جزءاً من تاريخه، ثم استقلت وذاعت شهرتها، وفيها عرض، ولأول مرة على مستوى العالم كله، نظرية التطور التاريخي التي تأخذ بعين الاعتبار أثر المناخ والبيئة والجغرافيا والعوامل الأخلاقية والروحية، وفصل القول في القوانين التي تحكم قيام الدول وسقوطها، وقوتها وضعفها، وتقدمها، وتدهورها، معتمداً على ملاحظاته الشخصية للظواهر والأحداث، خلال حقبة من التاريخ الإسلامي، عاش جزءاً منها، وشارك في صنع أحداثها، وهي قوانين تنطبق على الأندلس، كما تنطبق على غيره، حين تتشابه الظروف.

إلى أي الأسباب يعزو ابن خلدون تدهور الأمور في الأندلس، ثم سقوطه؟

* ضياع العصبية، وهي غير التعصب، ويعني الولاء، فبها يكون الرقي والثبات والقوة والحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يُجتمع عليه.

* من أسباب زوال الملك (السلطة والحكم والدولة) حصول الترف، وانغماس القبيل في النعيم، وإذلال الجماعة، والانقياد إلى سواها، لأن من يرتضي المذلة يعجز عن المدافعة والمقاومة والمطالبة.

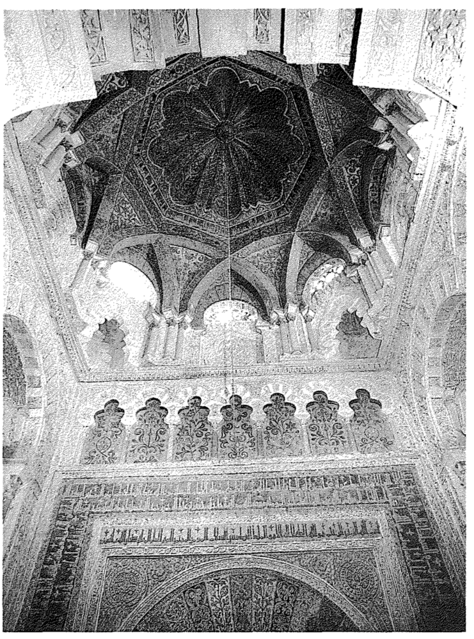
* العصبية تحمي ذهاب الملك عن الأمة جملة، فإذا ذهب عن بعض شعوبها عاد إلى شعب آخر منهم، مادامت لهم العصبية.

*الملك يحصل بالتغلب، والتغلب يكون بالعصبية، واتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها، إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه. فإذا تداعت القلوب إلى أهواء الباطل، والميل إلى الدنيا، حصل التنافس وفشا الخلاف. أما إذا انصرفت إلى الحق، ورفضت الدنيا والباطل، وأقبلت على الله، اتحدت وجهتها، فذهب التنافس وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاضد.

* الترف يزيد الدولة في أول أمرها قوة إلى قوتها، فإذا تمكن منها انقلب بها إلى الدعة والسكون وأصابها الهرم.

* الاستعانة بالموالي والصنائع (الأجانب من المرتزقة) على أهل العصبية بداية الانفراط والسقوط.

كان فتح الأندلس ثمرة كل الإيجابيات التي تحدث عنها ابن خلدون، ومع بدايات القرن الخامس الهجري، بدأت السلبيات تتغلب وتسود وتفرض نفسها. لقد صنع المجد الباذخ في الأندلس عربيان عظيمان: عبدالرحمن الناصر، والمنصور بن أبي عامر، ولكن، كما تكون إنجازات العباقرة عظيمة تجيء أخطاؤهم من المستوى نفسه، وكان الخطأ الذي وقع فيه الاثنان، والتبعة على الأول أكبر، لأنه الذي بدأ، أنهما لينفردا بالأمر، ويتمكنا من السلطة، أتيا على النفوذ العربي، فاستغنيا عن أبناء البيوتات، وأذلاّ كبار الرجال فيها، واستعاضا عنهم



المركزية، وسقطت الخلافة، وسطا على أمجادها مجموعة من السفهاء، يتقاتلون فيما بينهم طمعاً، ويتدافعون حول أشبار ويدفعون كلهم الجزية للنصارى القائمين على الحدود وهم صغار، ولم يكونوا بأقوى منهم لو اتَّحدوا، ومع التفرقة ضاعت القوة الواحدة الموجهة للسياسة العامة الأندلسية، واختفى ما هو أخطر من ذلك، وهو المثل الأندلسي الأعلى، الذي هبط الأندلس قبل ذلك بقرون، مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله، وظهر اليهود على المسرح السياسي، ومكّنوا لأنفسهم في إمارة غرناطة، وتغيرت الأمور حول الأندلس تغيراً خطيراً، استيقظت إسبانيا النصرانية، ومدت يدها لأوروبا، ومن ورائهم البابا يوحد ويدفع يغفر الخطايا، ويدخل الجنات لكل من يذهب

بولاء الرقيق الصقالبة، والنازحين إلى الأندلس من الأفارقة، وأولئك ولاؤهم مأجور، وهؤلاء إحساسهم بالوطن واهن، وحين سقطت دولة الحجابة تجمع كل أولئك الذين يريدون أن ينقضوا على السلطة، يريدونها لهم، أو لأناس يرضون عنهم، وتحول الأمر إلى فوضى، وأخذ كل الذين في الأندلس يتقاتلون لغير سبب، أو لسبب أناني مفرط، يهجمون ويرتدون، وخلال التقدم والانسحاب يُدمرون وينهبون، حتى أصبح كل شيء أسود قاتماً، في العين وفي الأمل، وخرائب وأنقاضاً في الواقع والحياة، وماتت الضمائر في النفوس، وانحلت عقدة الولاء للجماعة، واستبيحت كل الحرمات، وانقض كل خَوَّان على جانب من الدولة وأعلن نفسه أميراً، وهكذا تهاوت السلطة

متطوعاً لقتال المسلمين. على حين توزعت الفتن شمال أفريقيا، وشُغل المسلمون في المشرق بالحروب الصليبية، ومن بعد ذلك اهتم العثمانيون بمواجهة الأوروبيين، وأخذت الحضارة الإسلامية طريقها إلى السفح شرقاً وغرباً للأسباب التي أوردها العلامة ابن خلدون. وأطفأت الخيانة كل محاولات المقاومة في الأندلس، حتى إن آخر ثورة قادها محمد بن أمية في القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري، وأرهقت جيوش فيليب الثاني إمبراطور إسبانيا، فشلت لأن إسبانيا اشترت صديقاً لقائد الثورة، ودسته عليه، فقتله غدراً.

ثم جاءت محاكم التفتيش فاستأصلت شأفة من بقي من المسلمين، والحديث عنهم محزن ويطول. ■



لماذا سقطت الأندلس؟

«الديكتاتورية» والتصوف .. والت

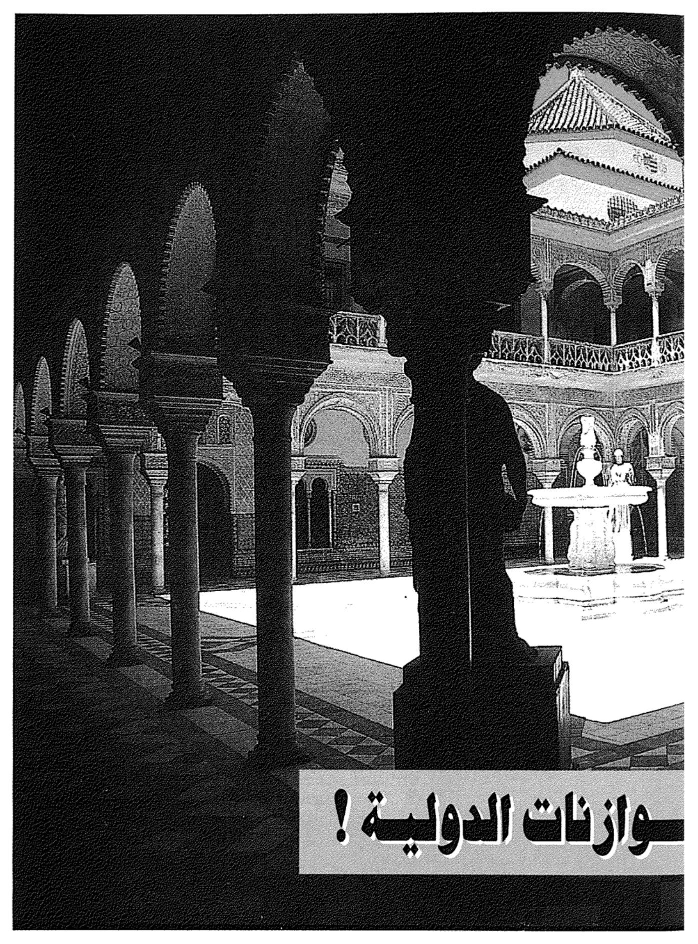
جمعة شيخة *
تونس

إن البناء الحضاري صرح يشيد باستمرار عبر العصور، ولكل أمة راقية عبر التاريخ دورها في وضع لبنة جديدة فيه، ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين نتخيل بانبهار وإعجاب كيف سيكون في القرون القريبة المقبلة!

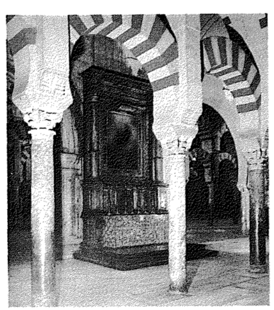
ولقد كان للمسلمين بتعدد أجناسهم ولغاتهم، وبمختلف مناطقهم الجغرافية في غرب المعمورة وشرقها، دورهم في إعلاء هذا الصرح الحضاري للبشرية، فتركوا عليه بصماتهم التي تلاحظ إلى يوم الناس هذا، وهم لم ينطلقوا في دورهم هذا من الصفر بل اعتمدوا على من سبقهم من الأمم صاحبة الحضارات الكبيرة. فلم ينكروا دور من سبقهم، وفتحوا المجال فسيحاً لمن يأتي بعدهم.

---

* مدير تحرير مجلة دراسات أندلسية.


ـوازنات الدولية !

والتجربة الأندلسية الحضارية هي جزء من هذا الدور الكبير الذي لعبه المسلمون في بناء صرح الحضارة البشرية. لقد كانت الأندلس بوتقة وبوابة: هي بوتقة بما انصهر فيها من عناصر إيجابية للحضارة العربية الإسلامية فكان أن برز بين ظهرانيها شعراء أبدعوا فأمتعوا، وعلماء اخترعوا فطوروا، وفلاسفة نَظَّروا فأبهروا، وفقهاء اجتهدوا فنجحوا، من أمثال ابن زيدون، وابن حزم، والزهراوي، وابن البيطار، وابن رشد. وهي بوابة عندما أصبحت معبراً لعلوم العرب والمسلمين إلى قارة أوروبا، بعد ترجمتها إلى لغات العلم آنذاك. وأهم ما أخذته أوروبا عن طريق الأندلس هو منهجية البحث العلمي، لقد ضبط العلماء المسلمون بعد جهد وعناء، منهجاً علمياً قوامه العقل: نظراً وفكراً، وآلته التجربة: مادة واستقراء.



ولا يمكن لهذه التجربة أن تمحى بسقوط الأندلس سياسياً لأنها تجربة ثرية مقامة على مجموعة من العناصر كالعقلانية [1] والتسامح[2] ولها جذور متأصلة في تراث كان ومازال. وهي جذور لا تزول بزوال الجذع المرئي فوق الأرض (أي الأندلس ككيان سياسي) وإنما تنساب تحت الأرض انسياباً لتبرز في أماكن أخرى، وتستمر في عطائها لكامل المجموعة البشرية. إن التجربة الأندلسية لم تمح فمازال الإسبان يعيشونها آثاراً ومعماراً زراعة ورياً، ومازالت تعيشها أوروبا علماً ومنهجاً، ومازال يعيشها العرب - وخصوصاً الأقطار المغاربية - سلوكاً وفناً. نعم زالت الأندلس سياسياً كدولة، ولكنها تسربت كحضارة في مشارق الأرض ومغاربها لدى المسلمين وغيرهم.

إن النظم التربوية لدى كل شعب وأمة هي الأسس التي تبني عليها حضارتها قديماً وحديثاً، والنظام التربوي بالأندلس هو جزء من النظام التربوي الإسلامي. وهو نظام منطلقه القرآن: عقيدة وأخلاقاً، وقوامه العقول: تجربة واعتباراً، وهدفه الإنسان: روحاً وجسداً.

والناظر إلى تاريخ الأندلس لا يمكن أن ينكر ما أصاب الأندلس في جل فترات وجودها من انهيار أخلاقي. لكن الأمة الأندلسية لم تفرط - إلا جبراً وبتضحيات كبيرة - قيد أنملة في مقومات حضارتها الدينية والأخلاقية، بل استمر انتقال هذه المقومات من عصر إلى عصر حسب نظام تربوي سليم إلى آخر عهد الدولة الإسلامية بالأندلس.

ومن الخطأ أن نرجع سقوط التجربة الأندلسية إلى خلل تربوي أخلاقي، لأن هذا السقوط له أسباب عديدة تتجاوز المسائل التربوية الأخلاقية. إنه يرجع بالدرجة الأولى إلى نظام حكم فردي مطلق مارسه حكام الأندلس دون أي اعتبار لتعاليم الإسلام السمحة المنظمة لعلاقة الحاكم بالمحكوم. وأدى هذا التصرف في مرحلة أولى إلى سقوط الخلافة الأموية بقرطبة وقيام دويلات الطوائف في القرن (الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي) وأدى في مرحلة ثانية إلى سقوط جل المدن الكبرى في القرن (السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي)، وفي مرحلة ثالثة إلى سقوط غرناطة في أواخر القرن (التاسع، الخامس عشر الميلادي).

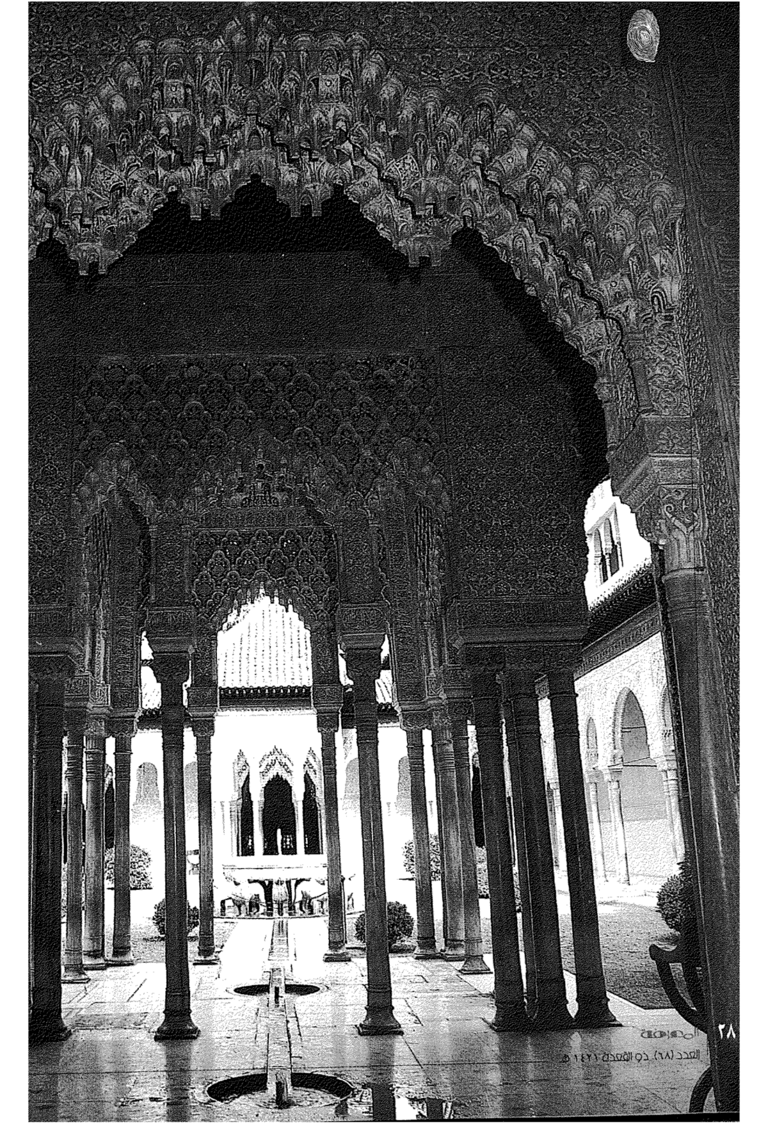
ويمكن أن نضيف إلى هذا العامل عاملاً ثانياً - هو نتيجة للعامل الأول - وهو انتشار ضرب من التصوف المرضي في ربوع الأندلس والمغرب، يقوم على تغييب قدرات العقل البشري في محاولة لقتل الوعي الجماعي قصد الوصول إلى السلطة. وإذا غيب العقل فتح المجال فسيحاً لكل أدران النفس التي لا تعد، وعقدها التي لاتزول، وأهوائها التي لا تكبح.

وهناك عامل ثالث راجع إلى وجوب تواجد ضرب من التوازن في السياسة الدولية في القرون الوسطى. فأوروبا التي اقتطع العثمانيون جزءاً لا بأس به من شرقها لابد أن تستولى على قطعة هامة من أرض الإسلام في غربها، فكانت الأندلس كبش الفداء لإعادة التوازن نسبياً بين الهلال والصليب! ■

الهوامش :

١- خصصت مجلة، دراسات أندلسية القادرة بتونس عددين ممتازين للفيلسوف الكبير ابن رشد لإبراز هذه الظاهرة وهما العدد ١٩، سنة ١٩٩٨، والعدد ٢٠ سنة ١٩٩٩.

٢- انظر العدد ١٤ سنة ١٩٩٥، من مجلة دراسات أندلسية فقد خصص بأكمله لإبراز هذا الجانب وما فيه من خير وتسامح ومحبة بين الأجناس والأمم والشعوب.



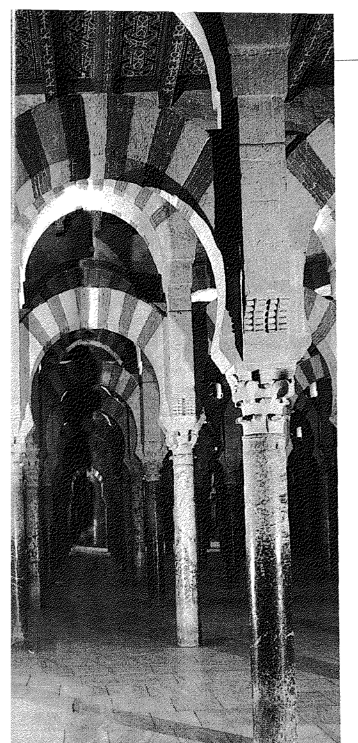
أركستهم الذنوب

أحمد الدعيج *
الكويت

كان هناك خلل تربوي وأخلاقي باعد بين الإنسان الأندلسي المسلم وبين حضارته، خذ مثلاً ما حل بمدينة بربشتر وهي من مدن مملكة سرقسطة «الثغر الأعلى» عندما حاصرها النورمان الصليبيون في جمادى الآخرة من سنة ٤٥٦هـ، ثم اقتحموها وارتكبوا بها مجازر مروعة، وفظائع مهولة، انظر ما قال ابن حيان صاحب كتاب «المقتبس في أخبار بلد الأندلس»، وكان معاصراً لهذه الأحداث، يقول: «وأنحي باللائمة على الناس والحكام لما ارتكبوا في جنب الله من ذنوب،بإهمالهم وبتقصيرهم في الأخذ بالشريعة، وبتهاونهم في تنفيذ أوامرها، فقد أركستهم الذنوب، ووصمتهم العيوب».

* أستاذ التاريخ بجامعة الكويت.





وهذا المأمون بن ذي النون ملك طليطلة، استعان بفرناندو الأول ملك قشتالة، ودفع له الجزية في سبيل مساعدته على سليمان بن هود ملك سرقسطة، فقام ابن هود بفعل الشيء نفسه، ودفع من الأموال أكثر مما دفع المأمون للملك الصليبي حتى يهاجم طليطلة، وهنا يقوم المأمون بن ذي النون بدفع الأموال إلى جارسيا ملك النافار وهو شقيق ملك قشتالة. وهذا محمد بن عبدالعزيز بن عامر حاكم بلنسية يتحالف مع الملك القشتالي ألفونسو السادس، ويدفع له الجزية ويتنازل له عن الكثير من الحصون والقلاع الاستراتيجية، وهذا في النهاية أدى إلى استيلاء ألفونسو على مملكة طليطلة في صفر ٤٧٨هـ.

وهذا القادر بن ذي النون حاكم طليطلة الأخير، كان حليفاً للنصارى، ضعيفاً جباناً تربى في أحضان النساء والجواري والعبيد والمخصيين، تنازل عن طليطلة لحليفه الصليبي على أمل أن يعطيه بلنسية، ولما أخذها أصبح شراً على المسلمين من الصليبيين، فثاروا عليه وقتلوه في ٤٨٥هـ.

وانظروا إلى هذا المثال الغريب، وذلك لما حاصر المرابطون قرطبة، قام أميرها الفتح بن المعتمد بن عباد بإرسال زوجته الجميلة الأميرة زائدة، وأبنائه منها إلى حصن المدور على نهر الوادي الكبير، ثم لما اقتحم المرابطون قرطبة في صفر ٤٨٤هـ، فرت زائدة إلى ألفونسو السادس الصليبي ملك قشتالة، وارتدت عن دينها العظيم، وتنصرت هي وأولادها وخدمها وتسمت بإيزابيل، وتزوجت من الملك الصليبي وأنجب منها ولده الوحيد سانشو الذي قتل بعد ذلك صغيراً في معركة أقليش ضد المرابطين في شوال ٥٠١هـ.

كل هذه الأمثلة، وهناك الكثير غيرها تدل على ضعف عقيدة ملوك الطوائف، وانعدام الولاء والبراء عندهم، بل من يصدق أن محمد بن يوسف بن الأحمر الذي أسس المعقل الأخير، مملكة غرناطة، يعقد اتفاقية مع فرناندو الثالث ملك قشتالة، يتعهد بها أن يكون من أتباعه، ويعترف بسلطة ملك قشتالة على مملكة غرناطة، وتنازل له عن الكثير من الحصون بما في ذلك مدينة جيان المهمة، ودفع له الجزية، وأصبح عضواً في الكورتيس القشتالي (البرلمان)، وتعهد له بمساعدته ضد أعدائه بما في ذلك إخوانه المسلمون، ولذلك اشترك جيش غرناطة مع جيوش قشتالة في حصار إشبيلية في عام ٦٤٦هـ، ما أدى إلى سقوطها. ثم انظر إلى المرابطين الذين كانت بدايتهم بداية جهادية طيبة، وكانوا بدواً خشنين، ثم لما سيطروا على الأندلس في ٤٨٤هـ، انغمسوا في الملذات والترف، وانتشر بينهم الغناء والخمور، والأولاد المخنثون (الجنس الثالث)، واختلاط الرجال بالنساء، بل إن الخمور كانت تباع بصورة عادية في العاصمة مراكش، في عهد أميرهم علي بن يوسف بن تاشفين، وعم اللهو والمجون، وسيطرت نساء

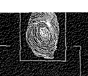
المرابطين على الأوضاع، وكن وراء معظم الشرور والمفاسد، وكان الأمير علي بن يوسف يتغافل عما يحدث، حتى عمت الكارثة عندما اكتسحهم «الموحدون».

ثم لما قامت دولة الموحدين ورثت دولة المرابطين في المغرب والأندلس، دب في أوصالها الضعف والوهن لدرجة أن الأمير الموحدي المأمون بن المنصور عقد في عام ٦٢٤هـ معاهدة مع الملك القشتالي الصليبي فرناندو الثالث، يتعهد له بدفع جزية كبيرة، ويسلم له عشرة من الحصون التي يختارها الصليبي، ويبني له كنيسة في مراكش، وإذا أسلم نصراني يتعهد الموحدون بإعادته إلى النصارى، وإذا ارتد مسلم ليس للموحدين عليه سبيل. وهذا الأمير الموحدي السيد (يدعى كذباً وزوراً نسباً إلى المصطفى ﷺ) أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، حاكم بلنسية، لما ثاروا عليه التجأ عند خايمي الأول ملك أراجون الصليبي، وارتد عن الإسلام، وتنصر، وتزوج من نصرانية ، وغير اسمه من عبدالرحمن إلى فيسنتي.

عصر القوة في الأندلس هو عصر الدولة الأموية التي أسسها الأمير عبدالرحمن الداخل في ١٣٨هـ، كانت قوية لأنها كانت موحدة، ولأنها كانت تجاهد في سبيل الله نصارى تلك النواحي، ولأنها كانت موحدة، فإنها كانت قوية ولذلك ازدهرت العلوم والمعارف في ظلها، وانظر إلى المستنصر بالله، الحكم الثاني ابن عبدالرحمن الناصر الذي تولى الحكم في ٣٥٠هـ، كان منصرفاً في أوقات فراغه إلى طلب العلم والقراءة، وكان يحرص على اقتناء الكتب النافعة فيرسل في طلبها من الأمصار الإسلامية، ويدفع في ذلك الأموال الكثيرة، وكانت مكتبته في قصره بمدينة الزهراء في قرطبة، مكتبة ضخمة عظيمة، بها أكثر من ٤٠٠ ألف مجلد.

ولكن هذه الدولة، الدولة الأموية، ضعفت، ولما ضعفت انهارت، وأدى انهيارها إلى تقسيم الأندلس، وظهور دويلات وممالك الطوائف، فكانت بداية النهاية. وسبب ضعفها هو تولي هشام الثاني، المؤيد بن المستنصر بعد وفاة أبيه في ٣٦٦هـ، وكان هشام الثاني صغيراً في السن، أمه جارية أسلمت، أصلها من بلاد النافار (إقليم الباسك الحالي في إسبانيا)، تولى هشام الثاني الحكم، وهو دون العاشرة، فقربت والدته المنصور بن أبي عامر، وكان لا شأن له في البداية حتى أصبح أقوى رجل في الدولة، وعظم نفوذه، ولما توفي المنصور في ٣٩٢هـ تولى ابنه عبدالملك، ثم توفي في ٣٩٩هـ، فتولى أخوه عبدالرحمن وأمه ابنة سانشو جارسيا أمير النافار، وطمع في الحكم فاشتعلت الفتنة، وكانت النتيجة ظهور دويلات الطوائف.

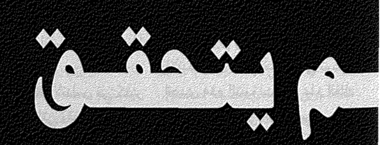
وخلاصة لما تقدم، نستطيع أن نجمل أسباب السقوط في عدة أسباب - لا يتسع المجال هنا للتفصيل فيها - ولكن أهمها الابتعاد عن شرع الله، والإقبال على الدنيا وملذاتها، والانغماس في اللهو والمجون، وتدخل النساء في شؤون الحكم، وما نتج عن ذلك من فتن داخل قصور الحكم.■



الموريسكيون ..

حلم العودة الذي

محمد عبدالواحد العسري *
المغرب



من المعروف أنه لم يرحل بدينهم جميع الأندلسيين عن بلادهم لا قبيل سقوطها بيد النصارى، ولا بعده. فلقد بقيت مجموعات منهم بجهات مختلفة من إسبانية. ومن المعروف كذلك، بأن هؤلاء لم يستفيدوا إلا أياماً معدودات من معاهدة تسليم آخر ملوكهم أبو عبدالله محمد الصغير لغرناطة إلى الملكين الكاثوليكيين الشهيرين: فرناندو وإيزابيلا، لقد التزم النصارى في بعض بنود هذا الاستسلام باحترام دين رعاياهم المسلمين وممتلكاتهم ومميزات هويتهم[1]، غير أنهم سرعان ما استولوا على أراضي هؤلاء ثم نصَّروهم، وسموهم تبعاً لذلك بالمورسكيين تحقيراً وإذلالاً لهم، وبالنصارى الجدد كذلك، تمييزاً لهم عن النصارى القدماء. ولا غرو في ذلك فلم يكن من الممكن إيقاف ما يترتب بالضرورة عن منطق الغلبة والقهر، من طغيان وجبروت.

---

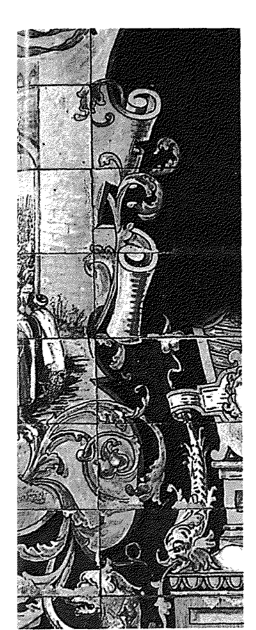
* أستاذ بجامعة عبدالملك السعدي ـ كلية الآداب بتطوان.

ولقد كان من الطبيعي أن يثور هؤلاء المسلمون على هذه الوضعية التي آلت إليها حالهم، فانخرطوا في انتفاضات وثورات مسلحة اشتهرت منها انتفاضة البيازين وثورات: البشرة، والجبل الأحمر[٢]، ورغم انهزامهم في كل ذلك أمام النصارى، وخضوعهم إلى هؤلاء فإنهم لم يدخلوا أبداً في النصرانية، ولم يكفوا لحظة واحدة عن التشبث بهويتهم الإسلامية والعربية. وكل ما في الأمر. أنهم اضطروا إلى إظهار اندراجهم في النصرانية، وممارسة طقوس ذلك التشبث وشرائعه بشكل خفي وسرّي لاتقاء شر الكنيسة ومحاكم التفتيش[٣] ولا أدل على ذلك، من اضطرار إسبانية الكاثوليكية إلى طرد هؤلاء وإجلائهم عن أرضها. تعبيراً منها عن فشلها في تنصيرهم وإدماجهم في الحياة الثقافية التي اشتهتها لهم[٤].

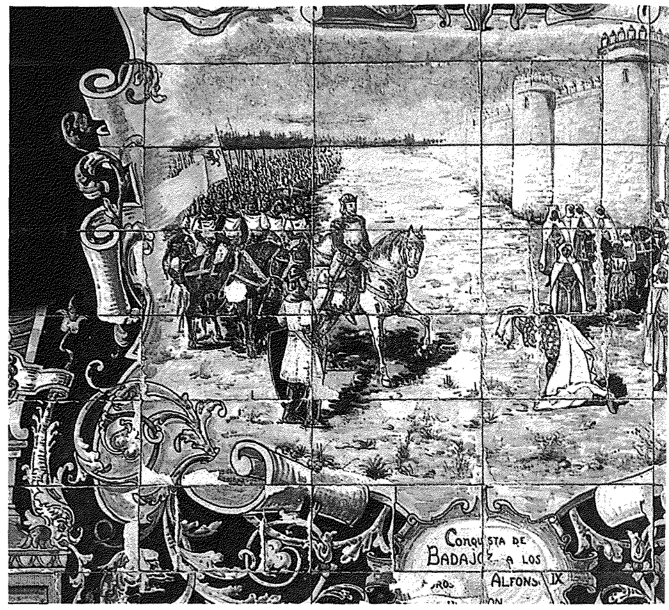
لكن ما الذي أدى بمسلمي الأندلس إلى هذه الوضعية؟ ما الذي حَوّلهم من أسياد إلى رعايا؟ أو بعبارة أخرى ما الذي أدى إلى فشل التجربة الأندلسية الإسلامية بالرغم من قيمتها وأهميتها التي لا يجادل فيها حتى خصومها أنفسهم؟ مما لاشك فيه أن تضافر عوامل خارجية تعود إلى الصليبية الغربية، مع عوامل داخلية تؤول في مجملها إلى أسباب اقتصادية وسياسية وأخلاقية مختلفة، قد أدى بالضرورة إلى هذه الوضعية التي تسمى بسقوط الأندلس وضياع الفردوس المفقود عند المسلمين. ولقد كان من الطبيعي، بل من الضروري. أن يستحضر الموريسكيون عوامل هذا الضياع وذاك السقوط، للاستعانة بذلك على دغدغة حلمهم في تجاوز هذا الوضع. وعودة الأندلس إلى ما كانت عليه وتقوية عزيمتهم على الصمود في وجه هجمات التنصير والإدماج القسريين في الثقافة الإسبانية الكاثوليكية، كما كان من الطبيعي كذلك، أن يعبروا عن كل هذا وذاك ويواكبوه بأدبيات متعددة. منها ما عرف. ومنها ما ينتظر هم الباحثين.

والواقع أن تراثهم في هذا المضمار قد توزع بين إنتاجات دينية صرفة: ترجمات وتفسيرات للقرآن الكريم وللحديث الشريف، ومجادلات للنصارى، وذود عن الإسلام وعن خاتم المرسلين ...إلخ، وبين إبداعات أدبية في أدب الملاحم والفروسية، وأدب الرحلة وفن الترسل، وفي أخرى تبوأوا بها مكانة الريادة في الفن القصصي والروائي بأوروبا ...إلخ، ومن إبداعاتهم كذلك في هذا المجال، ما وضعوه من حكايات عن سقوط الأندلس، وما تخيلوه من أساطير ونبوءات حول نهاية إسبانية وعودة هذا الفردوس المفقود[٥].

يرجع سقوط الأندلس في كثير من النصوص التي وقفنا عليها من هذا النوع الأخير إلى تفريط

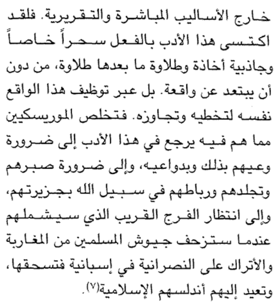


الأندلسيين في دينهم وفي مكارم أخلاقهم، أما عودتها فترجع إلى منة الله تعالى وتبارك عليهم بالفرج بعد الضيق، جزاء لهم على صبرهم وتحملهم وللدفاع عن هذا الطرح بين أوساطهم وتدعيمه في مخيلتهم، لم يتردد الموريسكيون أو الأندلسيون المتأخرون في نسبة إحدى هذه التنبؤات إلى علم الفلك والنجوم، وإلى القديس سان إيزدرو بوصفه إحدى الحجج



العلمية القوية في إسبانية، كما أنهم لم يتورعوا عن نسبة كثير منها إلى كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام، وإلى خاتم المرسلين محمد ﷺ. فأما نسبة ذات التنبؤات إلى الفلك والقديس المذكور، فالظاهر أن الموريسكيين قد راموا بذلك البحث عن سند علمي لها بينهم، وبين النصارى الإسبان بصفة خاصة، لترهيب هؤلاء أو على الأقل لتخويفهم والتشويش عليهم[٦]. وأما نسبتها إلى رسل الله وخصوصاً إلى خاتمهم، فالظاهر أنهم قد اضطروا إلى ذلك، للبحث عن مسوغات دينية لآمالهم ورغباتهم في سقوط إسبانية وعودة الإسلام إلى الأندلس. وربما حملوا هذا الكذب على الرسل محمل اللمم الاضطراري. وإلا فكيف نفهم تشبثهم بمحمد ﷺ وتبجلهم له، وهم يعلمون أن الكذب عليه حرام. فإذا علمنا أن أغلب أدب الموريسكيين هو أدب شعبي قد وضعه أهله لروايته وتداوله شفوياً بينهم، علمنا أنه كان من الطبيعي جداً أن تتسرب إليه مثل هذه الأمور.

أما إذا نظرنا إلى هذا الأدب بوصفه كذلك، فإنه لا يمكننا إلا ننبهر بجماليته التي يشترك في إنتاجها كل من واضعيه ومتلقيه الذين يتداخلون فيه ولا يمكن الفصل بينهم، وذلك على الرغم من صعوبة تجسيد أهدافه المذكورة،

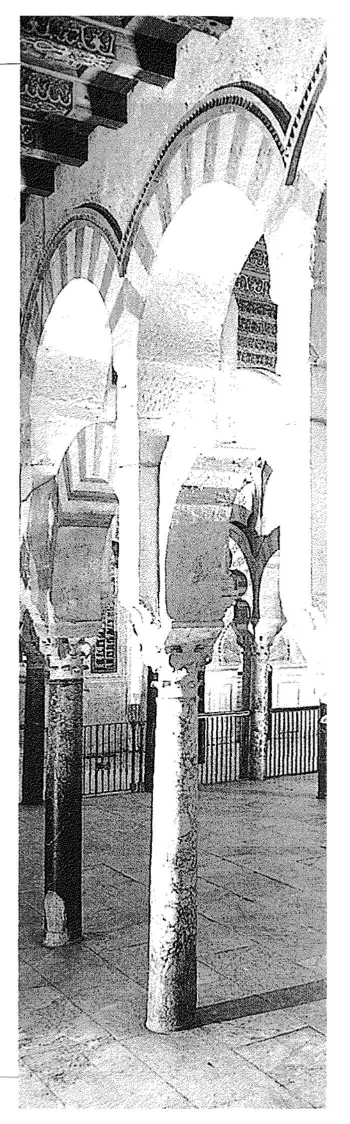


خارج الأساليب المباشرة والتقريرية. فلقد اكتسى هذا الأدب بالفعل سحراً خاصاً وجاذبية أخاذة وطلاوة ما بعدها طلاوة، من دون أن يبتعد عن واقعة. بل عبر توظيف هذا الواقع نفسه لتخطيه وتجاوزه. فتخلص الموريسكيين مما هم فيه يرجع في هذا الأدب إلى ضرورة وعيهم بذلك وبدواعيه، وإلى ضرورة صبرهم وتجلدهم ورباطهم في سبيل الله بجزيرتهم، وإلى انتظار الفرج القريب الذي سيشملهم عندما ستزحف جيوش المسلمين من المغاربة والأتراك على النصرانية في إسبانية فتسحقها، وتعيد إليهم أندلسهم الإسلامية(٧).

وإلى القارئ الكريم مسك الختام مقتطفات متفرقة من هذا الأدب ترجمت بعضها بتصرف طفيف، عن الإسبانية وأخرى عن الألخامية(٨)، معتذراً عن التضحية بجمال هذا الأدب في أصوله اللغوية، ولا غرو في ذلك فكل ترجمة خيانة بالتعريف للمعنى، فما بالك للفن وجماليته.

قال سان أيزدريو: احذري نفسك يا إسبانية، فعندما سيستعبد القشتاليون المسلمين بك، سيأتي من سيجدد لهم دينهم، وذلك من بعدما ستقوم حية ضخمة من المشرق لتلتف حول مدينة القسطنطينية، وتقتل الأمير اليوناني، وتحتل بعد ذلك مقدمة العالم (٩).

وسيرسل عليهم الله (لما اقترفوه من ذنوب) حكاماً قساة، يأخذون أموالهم، ويأسرونهم ويقتلونهم، ويجبرونهم على الدخول في شريعتهم، وعندما سيحرق كثير من رجالهم ونسائهم وولدانهم وشيوخهم سيرسل إليهم ربهم سحابة من طيور يتقدمهم جبرائيل وميكائيل، وستعلن ببغاوات الأرض كلها عن قدوم ملوك الشرق والغرب لنجدة هذه الجزيرة، وستقوم الحروب بين النصرانية والإسلام، وفي هذه السنة ستخيم سحب كثيرة في السماء، وتثمر الأشجار ويبني النحل مساكنه في هذه السنة المباركة(١٠). ■



هوامش البحث ومصادره:

١- جاء في أحد البنود هذه المعاهدة بالحرف: «لن يجبر أي مسلم أو أمة مسلمة على الدخول في النصرانية ضداً عن إرادته» يراجع النص الكامل لهذه المعاهدة كما أعادت نشره:

carcia Arenal Mctcedes , Moriecos Madrid 1975

٢- يراجع فيها: سعيد بشتاوي عادل الأندلسيون المواركة، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ط٢، دمشق , ١٤٧،٨٥١٩٨٥.

٣- يراجع نموذجاً دالاً من نماذج محاكمة هذه المحاكم للموريسكين، وبصفة خاصة صك الاتهام، في كتاب ميرسيدس غارسيا أرنال المذكور،٧٩-١٠٦.

٤- لقد عد الأندلسيوم المتأخرون هذا الطرد نعمة وليس نقمة. يراجع ذلك، وتراجع تفاصيل هذا الطرد من وجهة نظر هؤلاء في كتاب الحجري، أحمد بن قاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين تج، وتق، وتر. شورد فان كونينبكزفلد وقاسم السامرائي وخيرارد فيخرز، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٧، ١٥٠-١٥٥، اشكر بالمناسبة خادم العلم وأمينه الدكتور قاسم السمرائي على تفضله بتمكيني من نسة من هذا الكتاب.

٥-لأخذ نظرة عامة عن الأدب الموريسكي، تراجع مقالة «الفارو غالميس دي فوينتس».

Fuentes .Alvaro Galmes la Ijtcrtura eapanola aljamia-do -moriuca in:La Litterature dann la pcninsule iberjque aux xtv et xv siecle Heide Ibreg 1985.

٦- يتضمن مخطوط رقم ٧٧٤ المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريز النص الألخامي لنبوءة هذا القديس عن انحدار إسبانية النصرانية بعد غلبها للمسلمين الأندلسيين، أمام الجيوش الإسلامية ولقد نشرت هذا المخطوط.

sanchez Alvares Mercedee El Manuscrito Miscelaineo 774 de la Biblioteca Nacional de paris Madrid 1993.

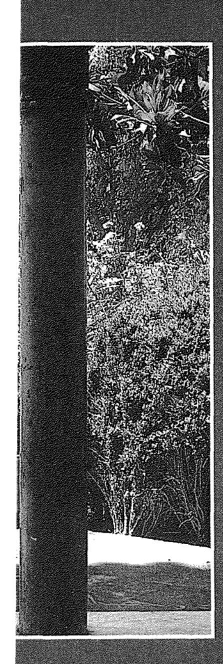
٧- لقد حلم الموريسكيون كثيراً بهذا الأمر، وتمنوا تحققه، كما أنهم سعوا إلى ترجمة هذا الحلم إلى الواقع. في هذا المضمار، لم يكلوا عن مراسلة الأتراك واستثارة هممهم، كما أنهم اشتغلوا لحساب ملوك المغرب السعديين، وخصوصاً المولى أحمد والمولى زيدان، وحاولوا كذلك التنسيق بين هذا الأخير وبين الهولنديين للظفر بملك إسبانية على حد تعبيرهم، ولكن ذهبت جهودهم سدى، فرياح الضرورة التاريخية كانت تهب في غير اتجاه مثل هذه المشاريع. يتضمن كتاب الحجري المذكور بعض المعطيات والمعلومات عن هذا الأمر.

٨- الإلخامية، أو الأعجمية هي اللغة الإسبانية المرسومة بحروف عربية،وتلك تقنية اعتمدها الموريسكيون لتعجيم الإسبانية على أصحابها أنفسهم.

٩- **Sanchez Alvares. Mercedes, io. cit, 247**

١٠- **Garcia Arenal. Mercedes, op. cit, 61,62**





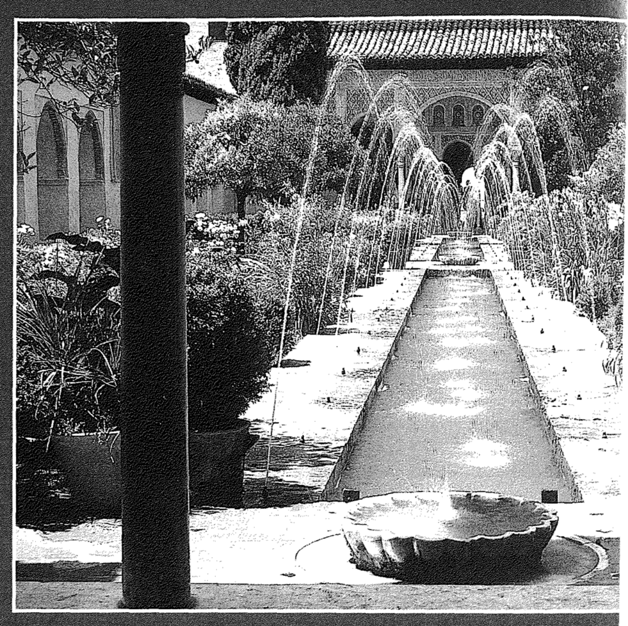
آداب الموريسكيين:

عندها اختفت أشعار الغزل والهزل

فريدة أحمد بنعزوز *
المغرب

لقد دأب دارسو الآداب الأندلسية على تناولها داخل حقبة زمنية امتدت من الفتح الإسلامي لشبه جزيرة إيبيرية إلى نهاية الحكم العربي الإسلامي بها، وكان هذه الآداب قد انطفأت. وقررت نهايتها وتوقفها، عشية سقوط غرناطة، آخر معاقل الإسلام بهذه الجهة من العالم. ومن المعلوم أنه بعد هذا الحدث ـ الذي يعد حدثاً كارثياً بالنسبة للحضارة الإسلامية ـ لم يرحل جميع الأندلسيين عن هذه الجزيرة، واستمروا في إنتاج آدابهم بها إلى القرن الحادي عشر من التقويم الهجري، وحتى الذين خرجوا منها بعد ذاك الحدث، أو بعد هذا القرن، أو خلال المرحلة الفاصلة بينهما، فإنهم لم ينقطعوا أبداً عن مواصلة إنتاج أدبهم.

* أستاذة بجامعة عبدالملك السعدي ـ كلية الآداب بتطوان.



غير أن هذه الآداب قد عرفت تحولات مختلفة، باختلاف تحولات الصراع الحضاري بين الإسلام والنصرانية الذي دار بهذه الجهة السالفة الذكر. فلقد واكبت تلك الآداب هذا الصراع، لتعبر عنه، ولتجسده ضمن مختلف أجناسها وأنواعها، ووفق مقوماتها وأساليبها وسيماتها المخصوصة. ولا عجب في ذلك، فالواقف عليها كما هي مبثوثة في مخطوطات أهلها وفيما نشر منها، يدرك بكل سهولة انصهارها في وحدة انتسابية إلى الآداب العربية الإسلامية، بالرغم من اضطرار أصحابها إلى إنتاجها واستهلاكها في غالب الأحوال بغير اللغة العربية. لكن إلى أي حد يمكن الحديث أصلاً عن وجود فعلي لهذه الآداب، ثم كيف عبرت عن ذاك الصراع؟ وكيف واكبت تحولاته؟ وكيف خضعت بدورها إلى تحولات موازية؟

إن كان لابد من مقاربة التساؤل الأول من هذه التساؤلات مقاربة كمية، فالجواب عنه سهل ومتيسر. فما فتئت المخطوطات الموريسكية تكتشف بكثرة بإسبانية وخارجها منذ

بداية الأزمنة الحديثة إلى يومنا الحاضر، ومازالت تنتشر وتدرس بكثافة، خصوصاً بموطنها الأم، وبفرنسا، وبهولندا، وبيورتو ريكو، وبتونس، ويكفي دليلاً في هذا المضمار، الرجوع إلى مقال لألفارو غالميس فونيتس، الذي ذيله بكشاف ضخم للنصوص الأدبية الموريسكية، وأين يحفظ كل واحد منها في المكتبات العالمية، وهل نشر أو درس ...إلخ.

أما عن التساؤلات الأخرى. فمن المعروف أن مختلف الحضارات تنتج تصورات عن نفسها، وتجهد في تأسيسها وتدعيمها، بحثاً عن الوحدة والتطابق، ونفياً لكل تعدد واختلاف. وإذ تتغيا هذه الحضارات ذلك، فإنها تضطر داخل ثقافتها وبواسطتها، إلى تشكيل تصورات مختلفة عن الحضارات الأخرى وخصوصاً تلك التي تدخل في صراع معها وتروم تقويضها والقضاء عليها. ولا عجب في ذلك، فلا يمكن لأي حضارة أن تكتشف خصوصياتها وأن تهتم بتأسيسها، إلا عبر ملاحظة اختلافات ربيباتها. وملاحقتها باستمرار. أي إلى الدخول معها فيما يسمى بالصراع الحضاري. ومن المعروف كذلك، أن هذا الصراع يستلزم مما يستلزمه بالضرورة إبداع آداب للتعبير عنه ومواكبته، وإذا أجبر الموريسكيون على العيش في أسبانيا، بوصفهم أقلية دينية واضحة أو متسترة داخل نصرانية يتظاهرون باقتسامها مع أعدائهم، فلقد اضطروا إلى رفع هذا التحدي الذي فرض عليهم، والاستجابة للمبدأ الناظم لحضارتهم، الذي هو الدين الإسلامي. كما اضطروا تبعاً لذلك إلى إنتاج آداب خاصة بهم واستهلاكها للتعبير عن هذا الصراع وتأجيجه ومتابعته. لذلك نرى بأنه قد بات على مؤرخي الآداب العربية الإسلامية الأندلسية، مراجعة تحقيبهم لتاريخ الآداب العربية الإسلامية الأندلسية في ضوء هذه الملاحظات.

والواقع أننا قد وقفنا، مثلما وقف غيرنا، على نصوص كثيرة دالة في هذا المضمار. لا يتسع المجال هنا للتعريج عليها. ومع ذلك فقد يمكن أن يحتج على ما ندافع عنه في هذه السطور، بالتساؤل المتشكك في القيمة الأدبية لهذه الآداب الذي ندعي وجودها، وكذا عن شرعية نسبتها إلى عائلة الآداب العربية الإسلامية مادام أهلها قد تداولوا في الغالب باللغة الأسبانية واللغة المعروفة بالأعجمية Aljamiado. فأما القسم الديني وما هو في حكمه من ترجمات القرآن الكريم إلى الإسبانية والأعجمية ومن تفسيرات ودراسات له وللسنة النبوية الشريفة، ومن مجادلات دينية ضد النصرانية للدفاع عن الإسلام والذود عن حماه، فإنه لا يمكن أن يطاله مثل هذا التساؤل. وأما القسم الأدبي الصرف من هذه الآداب، ومن أشعار نظمت لأغراض مختلفة، ومن سرديات في مجال القصة والرواية وأدب الملحمة وأدب الرحلة وفن الترسل ...إلخ. فإنه يحقق بامتياز كبير أدبيته المخصوصة، سواء وفق التصورات التقليدية أو الحداثية لمفاهيم الأدب والأدبية. وأما عن علاقة هذه الآداب العربية، فالواقع أنه كان للقرار الذي اتخذه النصارى بمنع الأندلسيين المتأخرين من التخاطب باللغة

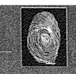


العربية وتداولها قراءة وكتابة أثر كبير في انحسار هذه اللغة وتراجعها لدى عموم هؤلاء. ولقد وقفنا بالفعل على نصوص عربية من نصوصهم لم تستطع احترام قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها وإملائها وبنية جملتها وتركيبها التي عهدناها في نصوص أسلافهم الأندلسيين القدماء. كما وقفنا كذلك على نصوص أخرى راعت تلك القواعد دون أن تتمكن من التخلص بصفة تامة وكاملة من بعض المفردات والتراكيب الصوتية العامية الأندلسية العربية والإسبانية، غير أن هذا لا يمنع من كون ذات النصوص وإن لم تراع الرونقة والتنميق بقدر ما اهتمت بتصوير



ذاتها ومواكبة مأساتها بالاندراج في استراتيجية التعبير عن الصراع الحضاري بين الإسلام والنصرانية في غرب البحر الأبيض المتوسط، فلقد جاءت مفعمة بحس أدبي ملحوظ في كثافة التصوير وسمته وعمقه. وينسحب هذا الأمر كذلك على مختلف النصوص النثرية والشعرية التي اضطر الأندلسيون إلى وضعها سواء بالإسبانية أو بالأعجمية المخترقتين ببعض العبارات العربية المسكوكة، وببعض الصيغ والأساليب العربية الواضحة، مما يدل على أنها نبعت من وجدان وخيال أدبيين عربيين إسلاميين وأندلسيين متوخية بذلك تأسيس هذا الوجدان والحفاظ على روحه بين أوساط المتلقين. في هذا المضمار عرف هذا الأدب تحولات متعددة، بالنظر إلى أدب أسلافه الأندلسيين القدماء، ولقد انعكست هذه التحولات نتيجة تحولات الصراع الحضاري المذكور، على أنواعه ومضامينه وأشكاله التعبيرية. فلم نعد نعثر على أشعار الغزل والخمر، ولا على رسائل هزلية وجدية من مثل رسائل ابن زيدون، ولا على موشحات وأزجال ابن قزمان ...إلخ. وإنما أخذنا نقف على أشعار وقصص وملاحم ومغاز وفروسية، وعلى رسائل ورحلات، وعلى مناظرات ومجادلات دينية، تهتم بأغراض بعيدة كل البعد عن أغراض أسلافه من الأندلسيين المتقدمين. حيث تكاد لا تعنى إلا بالتعبير عن مأساة أصحابه، وعن اندراجهم بالفعل وبالوجدان في صلب مقاومة الإسلام للنصرانية ورفضه للاستسلام لها. ولعل ذلك يفسر لمَ لمْ يحل الموريسكيون في أدبهم على هؤلاء الأسلاف وتعمدوا الإحالة على المسلمين والعرب المشارقة والتماهي معهم.

ولنكتف في الختام بشهادة أحد الشاهدين من أهلها فلقد ذهب في هذا المضمار أحد الإسبانيين إلى أن: «السياسة الإسبانية لم تكتف بنفي الموريسكيين، وما ترتب عليه من نضوب حقولنا ومصانعنا، ولم يقتصر الأمر على انتصار التعصب، وبربرية ديوان التحقيق، بل تعداه إلى اختفاء الشعر، وشعور الجمال الموريسكي، والأدب السليم الذي رفع سمعة بلادنا». ■



الخطـاب التربـوي عنـ

...د الأندلسيين

(الحلقة الأولى)

حسن الوراكلي
مكة المكرمة

لا يشك أحد في أن التربية ترتبط، في منطلقاتها وأهدافها، ببنيات المجتمع العقدية والعقلية والشعورية؛ لذا تباينت مضامين الخطاب التربوي ومقاصده من مجتمع لآخر تبعاً لتباين المعتقدات والتصورات من مجتمع لآخر. وإذن فما من خطاب تربوي إلا ويقوم على أساس من معتقدات ويستند إلى مرجع من تصورات يستمد منها «رؤيته» للكون والحياة والإنسان والمجتمع، ومنها تنبثق منظومة القيم والمثل والمبادئ التي يتوجه بها إلى متلقيه يرسخها، بهذا الأسلوب أو ذاك، في عقولهم ويجذرها في نفوسهم حتى يغدوا وهم لا يصدرون إلا عنها فيما يأتون من فعل أو يذرون، وفيما يتخذون من موقف أو يدعون[1].

* أستاذ مغربي، بجامعة أم القرى.

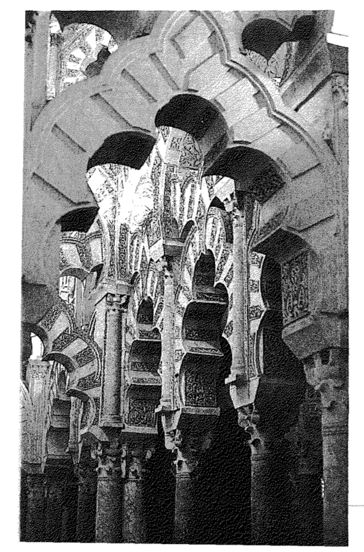
وإذا سلمنا بهذا فإنه يسوغ لنا القول بأن الخطاب التربوي الإسلامي يتمحور حول «رؤية» تشكلت من ثقافة القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهي ثقافة ألحت على (ثنائية) العلم والعمل وحثت المسلم على الأخذ بهما في جميع المجالات التي يتحرك فيها. يقول الحق تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾[٢] ويقول سبحانه وتعالى ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا﴾[٣] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾[٤]. وروى الإمام مسلم في صحيحة أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت (إن خلق نبي الله كان القرآن)[٥] وعلق الإمام النووي عليه بقوله (معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه...)[٦]. وفي الأثر الذي أخرجه الدارمي وابن عبدالبر (تعلموا العلم وانتفعوا به ولا تتعلموه لتتجملوا به)[٧] وفي أثر آخر أخرجه الدارمي والخطيب البغدادي وابن عبدالبر (تعلموا فإذا علمتم فاعملوا)[٨].

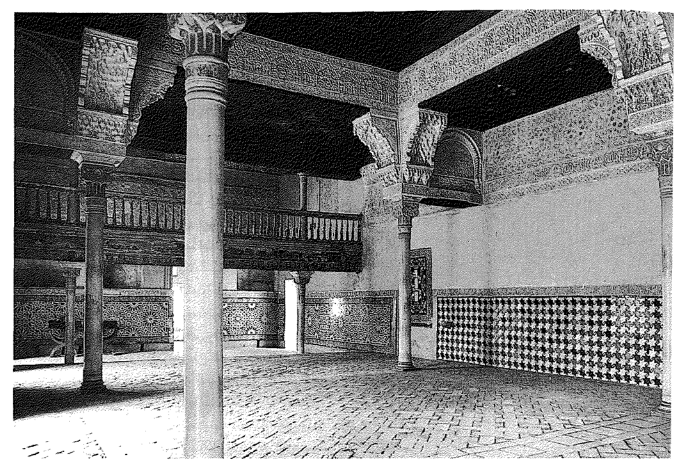
كما يسوغ لنا القول بأن (رؤية) هذا الخطاب تميزت،باسترفادها الثقافة الربانية التي تلحم بين العلم والعمل، عما سواها (الرؤى) التربوية التي عرفتها البشرية في ماضيها وحاضرها بجملة خصائص من أبرزها خصيصتان ذواتا خطر وشأن، هما الشمولية والواقعية[٩]. أما الأولى فبها استوعب الخطاب التربوي الإسلامي جوانب الشخصية الإنسانية كلها روحية ومادية وعقلية ووجدانية، تتعهدها بما كرس الإسلام من عقديات وعبادات، وأخلاقيات وسلوكيات. وأما الثانية فلأنها - أي الرؤية - وهي على بينة من طبيعية الإنسان الخِلْقية والخُلقية لا تحتكم في قياس نجاحه أو فشله إلى علمه وإنما إلى عمله باعتبار أن هذا هو الذي يُصَدّق (العلم) أو يُكذّبه. وقد نقل الخطيب البغدادي عن أحد الحكماء قوله (العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يُطلب علم، ولولا العلم لم يُطلب عمل)[١٠]. ومعنى هذا أن الخطاب التربوي الإسلامي، بمضامينه وآلياته، هو الذي يُشكّل لدى متلقيه ثقافاتهم بوجهيها النظرى والإجرائي، أي أنه هو رافد (علمهم) و(عملهم) بآن[١١].

ولا شك أن مراجعة ما كان من أثر لهذا الخطاب في حياة المسلمين العلمية والعملية في هذا الصقع أو ذاك من أصقاع العالم الإسلامي في المشرق أو في المغرب قمينة بأن تقفنا على جملة حقائق ومعلومات وخبرات وتجارب نستكشف من خلالها مضامين هذا الخطاب التصورية وتطبيقاته العملية وما كان لهذه وتلك من فاعلية في عميق الوعي لدى المسلمين بهويتهم العقدية وذاتيتهم الثقافية بما تبلور في أبعاد نظرية وأخرى عملية تشكل منها نسيج مدنيتهم وحضارتهم. وهذا ما تهدف هذه الحلقات إلى استجلاء جوانب منه عند أهل الأندلس.

إن اهتمام المسلمين بالتربية، على جميع المستويات التي ينشأُ فيها المسلم، ابتدأ مع بزوغ الدعوة الإسلامية التي بُعث بها الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ يُتَمِّم بها مكارم الأخلاق، وينتقذ بها الناس من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الحكمة ويزكيهم.

وكان لاستهلال الحق تعالى وحيه المنزل على قلب رسوله المصطفى ﷺبالدعوة الآمرة بالقراءة دلالة بينة على أن لحمة الدعوة الخاتمة العلم. قال تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم﴾[١٢]. أما سداها فالعمل كما تبينا مما أوردنا، آنفاً، من الآي والحديث والأثر. وقد وعى المسلمون الأول من صحب رسول الله ﷺ هذه الحقيقة فاجتهدوا في تطبيقها.،





روى أبوعبدالرحمن السلمي، قال (حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺعشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا مافيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً)(١٣). وعلى هذا النحو كان أبناء الأمة، رجالهم ونساؤهم، بعد جيل الصحابة، يدركون ضرورة ارتباط العلم بالعمل. ولعل في هذه الكلمات التي سمعها ووعاها سفيان الثوري من والدته ما يجلي لنا ذلك خير جلاء. فلنستمع إليها (يابني: خذ هذه عشرة دراهم وتعلم عشرة أحاديث، فإذا وجدتها تُغَيِّر في جلستك ومشيتك وكلامك مع الناس فأقبل عليه - أي العلم - وأنا أعينك بمغزلي هذا وإلا فاتركه فإني أخشى أن يكون وبالا عليك يوم القيامة)(١٤).

وهذا يفضي بنا إلى النظر في غاية العلم. وإن مما لا يحتاج إلى بيان أن الشرط الرئيس للعلم في التصور الإسلامي هو (النفع)، خاصاً وعاماً، أي ما ينفع حامله والمحمول إليه في الحال والمآل. من هنا ندرك مغزى التماس العلم النافع وتجنب غير النافع منه فيما روي عن رسول الله ﷺيسأل ربه تعالى ﴿اللهم إني أسألك علماً نافعاً)(١٥) ويوجه صحابته لنفس السؤال حين يقول لهم (سلوا الله علماً نافعاً)(١٦) ويتعوذ من العلم الذي لا نفع فيه حين يقول ﷺ(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)(١٧).

ومما لا يحتاج إلى بيان كذلك أن العلم النافع لا يفرز عند صاحبه إلا فعلاً راشداً فإذا به (لامداهن ولا مشاحن، ولا مختال ولا حسود، ولا حقود ولا سفيه، ولا جاف ولا فظ ولا غليظ ولا طعّان ولا لعّان، ولا مغتاب ولا سباب)(١٨). وجماع القول أن العلم النافع مدعاة للفضائل، ولا يأتي الفضائل - كما يقول ابن حزم - من لم يتعلم(١٩)، وغير النافع من العلم مدعاة للرذائل.

كذلك كان فهم الصدر الأول من المسلمين لتلازم العلم النافع بالفعل الراشد، وعلى نهجهم نحا الفاتحون في المشارق والمغارب يبلغون دعوة التوحيد بالعلم والعمل معاً.

ومن ينظر في أخبار الفتح الإسلامي للأندلس سرعان ما يسترعي انتباهه حرص قادة الفتح على ترسيخ الاعتقاد الصحيح والإيمان الثابت في قلوب الذين أسلموا من الإسبان ومراقبة أثرهما في عملهم وسلوكهم. وقد نهض بهذه المهمة الجليلة طائفة من حملة كتاب الله تعالى وسنة رسول ﷺ. كان فيهم من الصحابة والتابعين كالمنيذر اليماني أو الإفريقي، وحنش الصنعاني، والمغيرة

بن أبي بردة العذري، وعبدالله الحلي، وحيوة بن رجاء التميمي، ومحمد ابن أوس بن ثابت الأنصار(٢٠). وكلهم كانوا قراء فقهاء ندبهم القائد موسى بن نصير إلى سائر الجهات ينشرون تعاليم الإسلام ويشيعون بين الناس حب القرآن والتعلق به(٢١). وعلى أيدي هؤلاء وعلى أيدي من وفد على الأندلس من الحفاظ في الفترة التي تلت الفتح تلقى الأندلسيون حروف القرآن فاستظهروا منه ماشاء الله لهم أن يستظهروا من قصاره وطوله، وتعلموا من هذه وتلك ماشاء الله لهم أن يتعلموا من أصول ديانتهم وحدود شريعتهم ما انطوت عليه قلوبهم، وأفصحت به ألسنتهم، وبلورته جوارحهم.

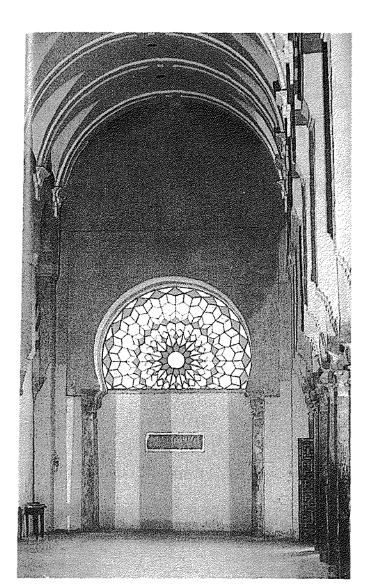
ومنذ ذلك الحين وتعلق الأندلسيين بالقرآن يتزايد ويتضاعف مما تواترت به الأخبار عن حرصهم على:

أ ـ تحفيظه أولادهم وتعليمهم إياه في سن باكرة من أعمارهم فلا يكادون يشارفون العاشرة إلا وهم قد حفظوا نصه وحذقوا فصه، وفَتَّق الله به ألسنتهم وشرح به صدورهم للعلم. وفي سِيَرِ العلماء وتراجمهم أمثلة على ذلك لا نطيل بذكرها(٢٢).

ب ـ تعهد القرآن وتلاوته دونما انقطاع وفي وفور عزم ودرور حزم كما كان شأن ابن وضاح الذي ختم القرآن في عشرين يوماً من شهر رمضان ستين ختمة، وكان يعتزم ـ فيما روي عنه ـ أن يختمه أكثر من مائة مرة لولا أنه مرض في العشر الأواخر(٢٣). وكما كان شأن يحيى بن يزيد الأزدي الذي لم يمنعه حَبْسُه أن يختم القرآن أربعين مرة، فلما أخبر بذلك الفقيه يحيى بن يحيى الليثي قال له (ما أشقى من ختمت القرآن في حبسه أربعين مرة)(٢٤).

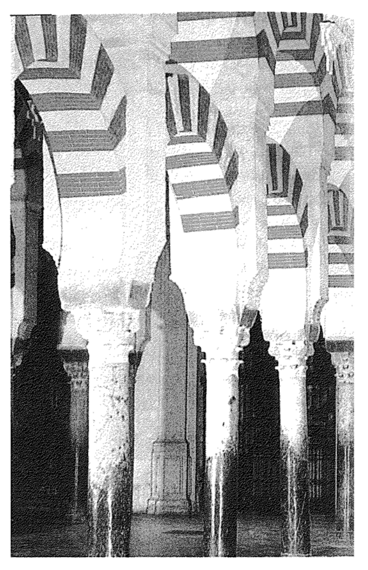
ج ـ انتساخ القرآن وكتابته في المصاحف، وهو عمل إذا أردنا أن نتصور مبلغ إقبال الأندلس عليه ذكرنا أنه لم يكن حُكْراً على الرجال: بل شاركتهم فيه شقائقهم النساء، فكان (بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي)(٢٥).

د ـ خدمة القرآن وعلومه في دأب وجلد موصولين كان من آثارهما هذا النتاج القيم الذي أسهم به علماء الأندلس في جميع العلوم القرآنية وخصوصاً علمي التفسير والقراءات مما حملهم على التباهي به على نحو ما وجدنا ابن حزم يفضل تفسير بقي بن مخلد على جميع التفاسير لا يستثنى تفسير ابن جرير الطبري(٢٦)، وعلى نحو ما وجدنا ابن الزبير الغرناطي يُزْهَى بسبقه في عمله عن ترتيب سور القرآن(٢٧). ويدلنا على اتصال العناية عند الأندلسيين بالقرآن



وعلومه وغناء مكتبتهم القرآنية حتى القرن الأخير من الوجود الإسلامي بالجزيرة ما ذكره المنتوري في فهرسته من مروياته في علوم القرآن التي بلغت أزيد من تسعين مصنفاً(٢٨) وكذلك ما طالعه من مؤلفات حين أراد أن يؤلف كتابه في القراءات(٢٩) بلغ عددها تسعاً وسبعين ومائة كتاب، سبعة وعشرون منها في القراءات والباقي في غيرها(٣٠).

وعلى غرار عناية الأندلسيين البالغة بالقرآن الكريم، حفظاً وكتابةً وتلاوةً ودرساً، منذ أن حمله جُنْدُ الفتح من مهبطه بالجزيرة إلى جزيرتهم القاصية حتى قضى ربك بجلائهم عنها، كانت عنايتهم بحديث رسول الله ﷺ حفظاً وفهماً وروايةً ودرايةً. والراجح أن القراء والفقهاء الذين كانوا في رفقة القائدين موسى وطارق والذين تولوا، بعد الفتح، تحفيظ الأندلسيين سور المفصل من القرآن الكريم لإقامة الصلوات أولاً ثم لمعرفة أصول الدين وقواعد الإسلام هم أنفسهم الذين حدثوهم



بما كانوا يحفظون من حديث رسول الله ﷺ وحببوه إليهم فما إن خالطت بشاشته قلوبهم حتى جعلوا يضربون في مناكب الأرض ويمخرون أثباج البحر في طلب الحديث والأثر من أفواه رواتهما في مكة والمدينة وفي غير مكة والمدينة من حواضر العلم والرواية في أقطار المشرق. فعادوا إلى الأندلس وقد ملأوا أوطبهم بما قيدوا من الحديث وجمعوا ورووا ونقلوا. وعلى يد أمثال الغازي بن قيس، ويحيى بن يحيى الليثي، ويحيى بن مزين الطليطلي وغيرهم عرف الأندلسيون (الموطأ) للإمام مالك بن أنس. وكان لثانيهم أثر ملحوظ في نشر أحاديث كتاب مالك بين الأندلسيين فقد انتهوا - كما يقول القاضي عياض - إلى سماعه منه (وأعجبوا بتقييده فقلدوه وتبعوه)[٣١].

حتى إذا كان مطلع المائة الثالثة اشتهر الحديث في الأندلس بعبدالملك بن حبيب، وصعصعة بن سلام الشامي، وداود بن جعفر ومحمد بن عيسى بن نجيح المعافري، وقاسم بن أصبغ. ثم رأس في الحديث بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ) الذي شهد له ابن حزم بالعلم في الحديث وبثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله وجودة شيوخه مما جعله (جارياً في مضمار أبي عبدالله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج وأبي عبدالرحمن النسائي رحمة الله عليهم)[٣٢] ومحمد بن وضاح (ت نحو ٢٨٧هـ) الذي (سمع منه الناس كثيراً ونفع الله به أهل الأندلس)[٣٣] و(انتشر بها عنه علم جم)[٣٤]. وبهذين العلمين الحافظين صارت الأندلس - كما يقول ابن الفرضي - دار حديث[٣٥]. وليس هذا موضع الإفاضة في الكلام عن العناية التي أولاها شيوخ العلم وطلبته للحديث الشريف في حلقات الدرس ومجالس الإقراء وما كان لها من آثار على خطاب القوم التربوي الذي هيمن على حياتهم العلمية وحركتهم الثقافية. ويكفي للدلالة على بالغ هذه العناية عند فئتين من الناس بهما يصلح - على حد قول ابن حيان - أمر الرعية إذا صلحوا ويفسد إذا فسدوا، هما فئة الحكام وفئة العلماء، أن نسوق لك هاتين الحادثتين: الأولى حين أنكر بعض الفقهاء على بقي بن مخلد إقراءه مصنف ابن أبي شيبة لما فيه من الخلاف فدعاهم الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم (ت٢٧٣) وجعل يتصفح (الكتاب جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن كتبه «هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخة لنا» وقال لبقي «انشر علمك وارو ما عندك» ونهى الفقهاء أن يتعرضوا له)[٣٦].

وأما الثانية فحين أرسل الخليفة الحكم المستنصر في طلب الفقيه أبي إبراهيم، فلما وافاه في المسجد وقد غصت حلقته بالطلبة سلم وأبلغ الفقيه أن الخليفة يريده على عجل فأجابه الفقيه «سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين، ولا عجلة، فارجع إليه وعَرّفه، وفقك الله، عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلاب العلم أُسمعهم حديث ابن عمه رسول الله ﷺ فهم يقيدونه عني، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضا الله وطاعته، فذلك أوكد من تسييري إليه الساعة، فإذا انقضى أمر من اجتمع إليَّ من هؤلاء المحتسبين في ذات الله الساعين لمرضاته مشيت إليه إن شاء الله تعالى». ثم أقبل على شأنه[٣٧].

فذانك رافدان من ربك لخطاب الأندلسيين التربوي ليس يتسع حيز هذه الفقرة لبسط القول في منظومة القيم والمثل والمبادئ التي اشتملا عليها لتكون للمؤمنين بصائر وهدى في علمهم وعملهم، تنشد صلاحهم وفلاحهم وفوزهم وسعادتهم في الأولى والآخرة؛ لكن علينا أن نقرر بأن هذه المنظومة التي شكلت، بلا مزاحم لها، الفكر التربوي عند

أهل الأندلس على نحو ماشكلته عند غيرهم من أهل الأقطار الإسلامية الأخرى وكانت لها الهيمنة على خطابهم التربوي ونظامهم التعليمي لم تتبلور في حياتهم العملية على مستوى واحد؛ بل بمستويات مختلفة تبعاً لتباين درجة الوعي بمضمونها وتفاوت نسبة حرصهم على تطبيقها في أعمالهم وممارساتهم في اليوم والليلة، وهذا أمر ليس الأندلسيون بدعاً فيه؛ بل هو ملحوظ في جميع المجتمعات الإنسانية. وقد نبه إليه معلم الإنسانية ومربيها صلوات الله وسلامه عليه حين قال (مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفه أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به)(٣٨).

ولنا بعد هذين الرافدين الرئيسين أن نُلِمَّ بذكر رافدين آخرين لهذا الخطاب لانشك في أنه كان لهما من خلاله أثرهما في ترشيد أساليب التربية عند الأندلسيين وتوجيه مناهجهم التعليمية، ونعني بهما التراث واللغة.

فأما اللغة، والمراد لغة الوحي، فقد حملها إلى أهل الأندلس الذين حملوا إليهم العقيدة والشرعة والمنهاج التي تنزلت بها من فوق سبع سماوات بإذن العزيز الحكيم. ولما كانت العربية بهذه المنزلة من الدين فقد أقبلوا عليها مثلما أقبلوا على الدين يتعلمونها من نصوصه في الكتاب والسنة ويتلقفونها من أفواه أبنائها وهم عرب أقحاح شارك بعضهم في الفتح صحبة موسى بن نصير وطارق ابن زياد، وقدم بعضهم الآخر، بعد الفتح، في حملات

الهوامش:

١- انظر عملنا «الخطاب التربوي الإسلامي: المرتكزات والأهداف» ضمن كتابنا (المسلمون وأسئلة الهوية) ص.٧٧
٢- سورة محمد: ١٩ .
٣- سورة الجن: ٧٢ .
٤- سورة الأنعام: ١٥ - ١٦ .
٥- صحيح مسلم، ١:٥١٣ - ٥١٤ .
٦- شرح النووي على صحيح مسلم، ٦:٢٦ .
٧- خرجه الدارمي في مقدمة مسنده رقم ٣٧٥ كما أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ص٦، وإسناده صحيح. انظر صحيح جا مع بيان العلم للزهيري ص٢٤ .
٨- أخرجه الدارمي في مقدمة مسنده بقم ٣٧٢ كما أحرجه الخطيب البغدادي في (اقتضاء العلم العمل) برقم ١٠ وابن عبدالبرفي (جامع بيان العلم وفضله) ص٩ .
٩- انظر عملنا «الخطاب التربوي الإسلامي: المرتكزات والأهداف» ضمن كتابنا (المسلمون وأسئلة الهوية) ص٢٦ .
١٠- انظر اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص١٥ .
١١- انظر عملنا «الثقافة والهوية: أيهما يشخص الأخر؟» ضمن كتابنا (المسلمون وأسئلة الهوية) ص٢٣ .
١٢- سورة العلق: ١-٥
١٤- انظر سير إعلام النبلاء ٨:٤٠٤ .
١٥- أخرجه ابن ماجة في السنن رقم ٩٢٥ وإسناده صحيح. انظر (صحيح ابن ماجة) للالباني ١:٢٧٧ .
١٧- أخرجه مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم.
١٨- انظر أخلاق العلماء للأجري ص٤٦ .
١٩- انظر رسالة مداواة النفوس لإبن حزم.
٢٠- انظر المعجب في أخبار المغرب للمراكشي ص٩ - ١٠، ونفح الطيب ٣:٥ وما بعدها.

من مثل حملة بلج بن بشر التي انطلقت من الشام وقد ضمت آلافاً من الجند العرب وحملة أبي الخطار الكلبي ولم تكن أقل منها عدداً. وبعد استتباب الأمر لبني أمية على يد عبدالرحمن الداخل توالت الهجرات العربية إلى الأندلس وخصوصاً من الأمويين وأشياعهم. وكان لأولئك وهؤلاء أثر بعيد في نشر اللغة العربية بين المسلمين من سكان الجزيرة الأصليين وبين الطارئين عليها من أهل العدوة المغربية؛ بل حتى بين أهل الذمة من اليهود والنصارى حتى أنسي هؤلاء بخاصة لغتهم وأقبلوا على تعلم اللغة العربية يدرسون بها مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، ولم يعد الموهوبون من شبانهم يعرفون إلا لغة العرب يجمعون كتبها ويعجبون بآدابها[٣٩]. وإذا كان هذا هو أثر العربية في غير المسلمين من سكان الجزيرة فما ظنك بأثرها في المسلمين الذين كانوا أدركوا أنها من دينهم الذي ارتضوه؛ لا جرم أنها غدت، بعد أن تلوا بها كتاب ربهم وقرأوا بها حديث رسولهم ليس، فقط، أداتهم في التخاطب والتواصل؛ بل وعاء فكرهم ومستودع معرفتهم وجماع ثقافتهم. ومن ثم ندرك مدى أثرها البالغ في خطابهم التربوي مما سنقف - إن شاء الله تعالى - على تجليات له في موضعه من هذه الحلقات.

وأما التراث فنعني به ذلك النتاج، المتعددة مناحيه من عقدية، وشرعية، وفكرية، وأخلاقية، ولغوية، وأدبية، الذي تظافرت عدة عوامل على وصوله إلى الأندلس، ومن أهمها رحلة طلبة العلم من الأندلسيين إلى المشرق حيث كانوا يختلفون إلى مجالس العلماء يتلقون عنهم ويروون ثم يحملون تواليفهم وتواليف غيرهم إلى بلدانهم في عودتهم إليها. ولائحة أسماء هؤلاء طويلة الذيل وبحسبنا في التمثيل لها أن نجتزئ بذكر أسماء الغازي بن قيس، وعبدالملك بن حبيب، ويحيى بن يحيى الليثي، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح؛ بل إن غالبية هؤلاء وضعوا مؤلفات صار بعضها كما قيل، بحق في مؤلفات بقي بن مخلد (قواعد للإسلام لا نظير لها)[٤٠]. ورحلة شيوخ العلم والرواية والآثار من المشارقة إلى الأندلس يحملون معهم كتب اللغة والأدب والشعر والأخبار. ومن أقدم من وصل منهم وأشهرهم أبو اليسر الرياضي[٤١]. أضف إلى هذا العامل وذاك اهتمام أمراء بني أمية بالعلم والأدب وحرصهم على استجلاب التآليف المشرقية في مختلف العلوم والمعارف والآداب. وقد أقبل طلاب العلم على هذا التراث العلمي والأدبي ينهلون منه في حلقات شيوخهم ومجالسهم فيغنون به رصيدهم المعرفي ويقبسون منه حين يحلقون للإقراء أو يجلسون للتأليف.

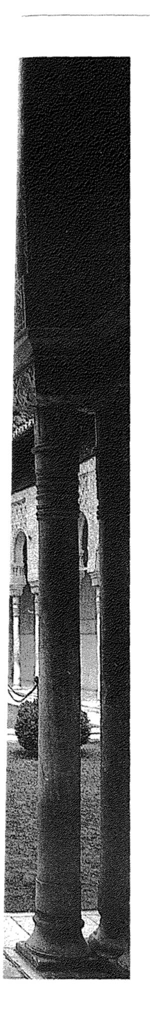
تلك هي روافد الخطاب التربوي وموارده عند مسلمي الأندلس. كرّس الأولان، أي الكتاب والسنة، منظومة القيم الإيمانية والمثل الأخلاقية والمناهج السلوكية، وبلور الأخيران من مقاصد هذه المنظومة وغاياتها الحظ الوفير والنصيب الكبير.

ولا شك أن تمثل الأندلسيين لمضامين هذه الروافد وإدراكهم لأهدافها إنما تهيأ لهم عبر قنوات معرفية وثقافية وخبرات نظرية وسلوكية. فكيف تم ذلك؟ وما الأساليب التربوية، والمناهج العلمية، والوسائل التعليمية التي أخذ بها الأندلسيون لإنجاز خطابهم التربوي وتحقيق غاياته؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة وما قد يتفرع عنها هو مدار حديثنا - بحول الله تعالى - في الحلقة الثانية. ■

٢١. انظر معالم الإيمان للدباغ ١:٢١٣ .
٢٢. انظر كتب الصلات والفهارس ومعاجم الرجال الأندلسية.
٢٣. انظر ترتيب المدارك ٤:٤٣٧ .
٢٤. انظر تاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضي ٢:١٧٧ .
٢٥. انظر معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى ص١٦ .
٢٦. انظر رسالة ابن حزم في فضل الأندلس، وعملنا «تراث أبي جعفر الطبري في الأندلس» ضمن كتابنا (أبحاث أندلسية) ص٩١ وما بعدها.
٢٧. انظر البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص١٨١، وعملنا «مصنفات الأندلسيين في الإعجاز» ضمن كتابنا (المكتبة القرآنية الأندلسية) ص٥٦
٢٨. انظر فهرست المنتوري ورقة ٢ ومابعدها.
٢٩. يشتغل بتحقيقه باحث مغربي في إطار رسالة جامعية.
٣٠. انظر فهرست المنتوري ورقة ٣١ .
٣١. انظر ترتيب المدارك ٣:٣٧٩ .
٣٢. انظر رسالة ابن حزم في فضل الأندلس والصلة لابن بشكوال رقم ٢٧٥ .
٣٣. انظر تاريخ العلماء بالأندلس، ٢:١٦ .
٣٤. انظر بغية الملتمس للضبي ص١٢٣ .
٣٥. انظر تاريخ علماء الأندلس، ٢:١٨ .
٣٦. انظر بغية الملتمس ص١٢، وأزهار الرياض ٢:٢٨٤ .
٣٧. انظر نفح الطيب، ١:٣٥٣ .
٣٨. انظر صحيح مسلم، ٤:١٧٨٧، ومسند الإمام أحمد، ٤:٣٩٩ .
٣٩. انظر تاريخ الفكر الأندلسي ص٤٨، وانظر عملنا «الترجمة في الأندلس: التاريخ والمعطى» ضمن كتابنا (ياقوتة الأندلس) ص٩ ومابعدها.
٤٠. انظر رسالة ابن حزم في فضل الأندلس.
٤١. انظر نفح الطيب ١:٢٩٩ .



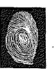


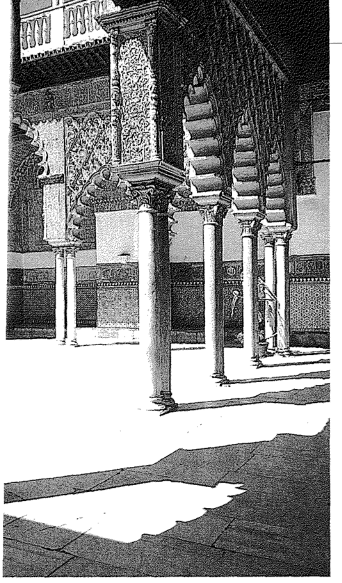
تحفة الأندلس الخالدة

قصر الحمراء

يمثل قصر الحمراء في الأندلس واجهة حضارية ورمزاً مشرقاً للفن الإسلامي الذي ساد في البلاد الأندلسية إبان الحكم الإسلامي؛ حيث بلغت عناصره الزخرفية حداً عالياً من المهارة والإبداع والإتقان، لم تكن موجودة في الحضارات الإسلامية السابقة. ويمثل قصر الحمراء الذي شيدت أسواره بخليط من الصلصال والجير والحصباء، الأثر الأعظم والأشهر على مر التاريخ الإسلامي، وهو أكثر ما تناولته الدراسات والأبحاث بوصفه أهم صرح معماري بناه المسلمون وأهم موقع أثري تجلت فيه العبقرية الإسلامية فيما يتعلق بالفن والجمال.







يقع قصر الحمراء على أرض غير منتظمة أشبه بالشكل البيضاوي فليس لها شكل هندسي واضح، كما أنه يتكون من طابق واحد «أرضي» حيث يتكون من عدد من القاعات والأبهاء والممرات جاءت بجوار بعضها بعضا.

وأشهر هذه الأبهاء بهو الريحان وبهو السباع وبهو الأسود وبهو الآس التي تعد تحفاً فنية صارخة، ففيها الحدائق والتماثيل والنافورات التي تأخذ لب زائرها، وتجعله في حالة من الإبهار. ويقع هذا القصر الذي يسميه الأسبان «الهامبرا» بين سلسلة من الجبال الثلجية في جهة مرتفعة شرقي غرناطة كأشهر قلعة محصنة في جنوب الأندلس.

ويسجل قصر الحمراء تاريخ أسرة بني نصر ملوك غرناطة الذين امتد حكمهم إلى أكثر من قرنين ونصف من الزمان.. بوصفهم أول من أظهروا هذا القصر للوجود... وأول من جعل غرناطة مدينة ملكية مرفهة تجري بها المياه بواسطة الأقنيه من الجبل وتنتشر بها الحدائق الغناء والحمامات العامة.

أما سبب ازدهار الفنون في غرناطة، فإن الدراسات التاريخية تذكر أن ذلك يعود إلى فرار المسلمين من الأجزاء التي سقطت في أيدي الأسبان إبان حركة

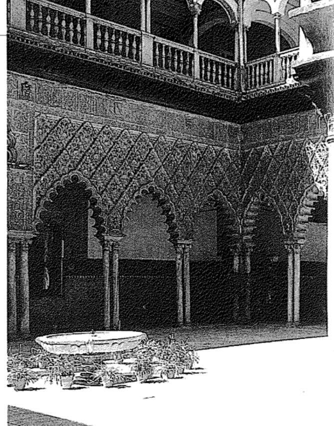
مكتبة قرطبة

أنشئت هذه المكتبة في عصر الحكم الثاني الملقب بـ«المستنصر» الذي حكم مابين «٣٥٠ - ٣٦٦هـ»، «٩٦١ - ٩٧٦م». على مدينة قرطبة وسائر بلاد الأندلس. وقد تابع سيرة بني أمية الأندلسيين المولعين في جمع الكتب، وهو الخليفة الذي يشغل مكانة رفيعة بين الحكام العرب في القرون الوسطى. ولكن أحداً منهم لم يطلب الكتب القيمة والنادرة بمثل الهمة التي طلب بها الحكم الثاني.

فقد كان له في القاهرة، وبغداد ودمشق، والإسكندرية وبلاد ماوراء النهرين عمال مكلفون بشراء واستنساخ الكتب والمخطوطات القيمة قديمة كانت أو الحديثة بأثمان غالية، وكان قصره حافلاً بالكتب وأهلها. حتى بدا هذا القصر وكأنه مصنع لايُرى فيه إلا نسّاخون وخطاطون، ومجلدون، ومزخرفون يلونون الكتب والمنمنمات والرسوم الجميلة وجميعهم يعملون لصالح المكتبة في القصر.

وقد ذكر «المقري» في كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» أنه جمع من الكتب ما لا يحدّ ولا يوصف في كثرة نفائسه حتى قيل إنها أربعمئة ألف مجلد. وإنهم لما نقلوها من مكتبة القصر أقاموا ستة أشهر في نقلها.

وذكر الفقيه الأندلسي الشهير أبو محمد ابن حزم نقلاً عن «تليد الخصي» المتولي لخزانة العلوم والكتب والمخطوطات بدار بني مروان «خلفاء بني أمية على





الاسترداد التي جمعوا لها كل قواهم.. فتجمع بذلك عدد كبير من الفنانين الإسلاميين في شتى الفنون بشكل أسهم في رقي الفن الغرناطي وتميزه.

ويروي المؤرخ واشنطن إيرفنج في كتابه «قصر الحمراء في الأدب والتاريخ» قصة قصر الحمراء عندما آل إلى النصارى:

«كانت قلعة الحمراء في عهد المسلمين تتسع لجيش تعداده أربعون ألف جندي وضابط، وكانت كثيراً ما يلجأ إليها الملوك للتحصن وراء سورها في أزمنة الشغب والثورات، ولما خرج من يد المسلمين وسقط في يد النصارى، اتخذه الملوك مقراً لهم وسكنه في مناسبات ملوك قشتالة».

ويضيف:

«شرع الإمبراطور شارل الخامس في بناء قصر فخم داخل أسوار قصر الحمراء، ولكن وقوع هزات أرضية في المنطقة ثَبَّطت عزيمته عن إتمام بنائه، وقد كان الملك فيليب وزوجته إليزبث دوبارم، هما آخر الملوك الأسبان الذين سكنوا قصر الحمراء في أوائل القرن الثامن عشر» وعن مكانة قصر الحمراء في القصور الأسبانية يقول:

«أصبح قصر الحمراء مكاناً مهجوراً موحشاً ومع ذلك فقد احتفظ بالقصر لأغراض عسكرية، وقد كان الملك

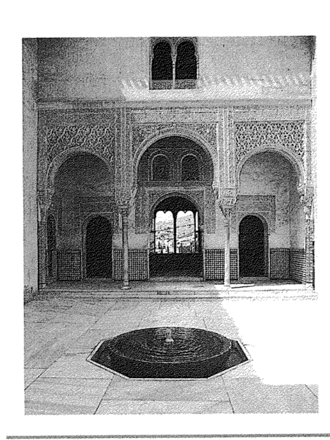
الأندلس» أن عدد فهارس مكتبة الحكم الثاني «المستنصر» كانت تشتمل على أربع وأربعين فهرساً بكل فهرس عشرون ورقة بعناوين الكتب فقط.

وقد أكد «فالنسب» المستشرق الإسباني الكبير صحة هذا الرقم «أي أربعمئة ألف مجلد» قرأها الحكم الثاني معظمها على ما يقال، وكان يكتب في أول كل مجلدة أو في آخرها نسب المؤلف ومولده ووفاته.

وكان أهل قرطبة من أشد الناس احتراماً للكتب وأكثرهم شغفاً لاقتنائها، واعتناءً بخزائنها حتى أصبح ذلك على قول المؤرخ المغربي عبدالملك بن سعيد، من رسوم الرئاسة إذ كان أعيان المدينة يتبارون في جمع الكتب النادرة، ويتباهون بأنهم يملكون منها في خزائنهم ما لايملكه غيرهم في خزائنه.

ومما يروى عن شهرة قرطبة في اقتناء الكتب ما ذكره ابن رشد الحفيد للطبيب ابن زهر في تفضيل قرطبة على إشبيلية فقال ابن رشد: «ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم في إشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها. وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية». فقد كانت قرطبة مدينة العلم بقدر ما كانت إشبيلية حاضرة الفن.

ومن المؤسف أن مكتبة الحكم الثاني العظيمة هذه كان مآلها إلى بوار، وذلك عندما توفي الحكم فخلفه ابنه هشام الملقب «المؤيد بالله». وكان يومئذ غلاماً لم يحتلم، فتغلب على تدبير ملكه بالأندلس حاجبه «أي وزيره» أبو عامر محمد المنصور وقد ذكر صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم إنه «عندما تغلب المنصور على هشام الغلام عمد إلى خزائن أبيه الحكم الثاني «المستنصر» الجامعة للكتب المذكورة وأبرز وعرض مافيها من ضروب التأليف بمحضر خواصه



هو الذي يعين حاكم القصر الذي اتسعت حدود منطقته لتشمل ضواحي مدينة غرناطة، وكان وضعه مستقلاً عن والي غرناطة، وقد احتفظ بالقصر بحامية عسكرية كبيرة، وأما حاكم القصر فقد كان يشغل منزلاً مقابلاً للقصر العربي، ولا ينزل إلى غرناطة إلا بمرافقة كوكبة من الجنود».

ويضيف:

«وكان هجرُ ملوك أسبانيا له في العهود التالية ضربة قاضية لقصر الحمراء فقد أهملت قاعاته الجميلة، بل إن بعضها أصبح خراباً في الوقت الذي يبست فيه حدائقه وغاضت المياه من نافوراته، ومع مرور الزمن تدهورت حالة القصر وبلغ به الأمر أن أصبح موئلاً للأشرار واللصوص الذين كانوا يستغلون وضعه القانوني المستقل لكي يقوموا بعمليات جريئة للتهريب، بينما اتخذ منه اللصوص وكراً للقيام بغارات للنهب والسلب في غرناطة وضواحيها. وفي نهاية الأمر

مكتبة قرطبة

من أهل الفقه والعلم بالدين وأمرهم بإخراج مافي جملتها عدادها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في المنطق وعلم النجوم والفلسفة وغير ذلك من علوم الأوائل باستثناء كتب الطب والحساب، واللغة والأشعار والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحة في مذاهب أهل الأندلس ثم أمر بجمع باقي الكتب وإفسادها أو إحراقها فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة ومحيت رسومها» ويضيف أن الحاجب المنصور فعل ذلك تحبباً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم إذ كانت تلك العلوم مهجورة عندهم ومذمومة عند رؤسائهم، وكان كل من قرأها يتهم عندهم بالخروج عن الملّة ويظن به الإلحاد بالشريعة» وقد أمكن إنفاذ بعض الكتب من الاندثار فبعث إلى طلابها في المدن الأندلسية الأخرى فورثت بذلك مكانة قرطبة العلمية فيما آلت قرطبة نفسها إلى انحسار وانحطاط.

وفي وصف آخر للحالة التي كانت تحتلها قرطبة، فقد كانت تقف قرطبة شامخة بصفتها عاجمة للمعرفة الدينية والدنيوية، وفكرتها التفوق الثقافي الأندلسي على سكان شمال أفريقيا، وحتى المناطق الإسبانية «المسيحية» المجاورة تبدو أكثر شيوعاً ورسوخاً في قرطبة ولدى القرطبيين. لنستمع إلى شهادة والد ابن سعيد فيما يخص هذه النقطة:

«إن أهل قرطبة يتميزون على غيرهم بأناقة ثيابهم ومظاهر تدينهم وكثرة صلواتهم وتوقيرهم لمسجد المدينة الكبير، وهم يكسرون زجاجات الخمرة عندما يرونها ويتمنعون عن المحرمات ويفتخرون بالأصل النبيل لعائلاتهم وشجاعتهم وعلمهم. وأهل الأندلس هم أكثر الناس حباً للكتب واعتناء بالمكتبات، إن مجرد امتلاك مكتبة يعتبر في قرطبة علامة على التمايز والنبل».

وبهذا الخصوص يقول «المقري» في كتابه «نفح الطيب..» وهي على لسان رجل أندلسي قال: «أقمت بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة، أترقب فيها وقوع كتاب كان لي يطلبه اعتناء، وهو بخط فصيح وتجليد مليح، ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع المنادي بالزيادة عليّ إلى

تدخلت الحكومة بقوة فأبعدت منه جميع المشبوهين، ولم تسمح للإقامة بين أسواره إلا للأشخاص ذوي الصحائف النقية والذين يتمتعون بحق شرعي».

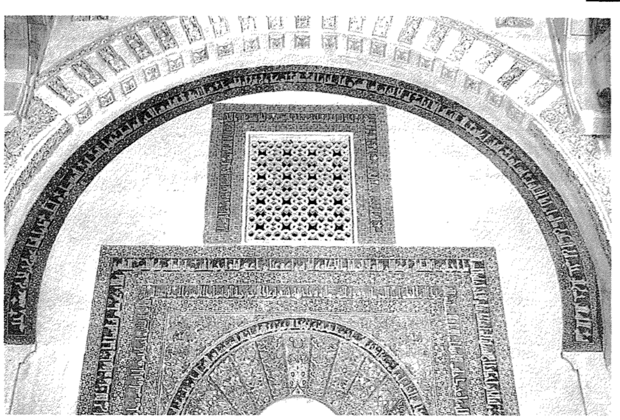
أما قصر الحمراء في زمن الفرنسيين الذين أسقطوا أسبانيا فيقول: «وعندما احتل الفرنسيون أسبانيا وسقطت غرناطة في أيديهم وضعوا حامية عسكرية في قلعة قصر الحمراء، وكان قائد الحامية يقيم في القصر نفسه وبذلك أنقذ هذا الأثر العظيم من الخراب التام الذي كان يهدده، فقد رمم سقف القصر وقاعاته، وحميت ممراته من آثار الطقس وراحت نافوراته تطلق المياه من جديد..»

.. ولما جلا الفرنسيون عن قصر الحمراء نسفوا بالديناميت عدداً من الأبراج التي تتخلل السور الخارجي وبذلك فقد الحصن كثيراً من قيمته العسكرية».



أن بلغ فوق حَدّه، فقلت له: ياهذا أرني من يزيد في هذا الكتاب، فأراني شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده، فقال لي: لست بفقيه ولا أدري بما فيه، ولكن أقمت خزانة كتب وحافظت عليها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط، جيد التجليد، استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير، فقلت لنفسي: لك حكمتك يارب، تعطي البندق لمن لا نواجذ له» ومع ذلك فإن هذا الكتاب لم يشكل شيئاً أمام ثمن كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني، الذي أرسل الحكم المستنصر من اشتراه من المشرق بألف دينار ذهباً».

وقال الكاتب الأوروبي «كوندية» إن الإسبان عندما استولوا على الأندلس وبالأخص مدينة قرطبة أحرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب فيها مايزيد على مليون وخمسين ألف مجلد. ويبدو هذا الرقم كبيراً جداً للوهلة الأولى لكنه يبدو عادياً إذا عرفنا أن قرطبة كانت العاصمة السياسية للدولة الأموية بالأندلس حتى سقوط الخلافة هناك. ■



ويروي أفيرنج بعض الأساطير حول القصر في العصور المتأخرة.. يقول:

«ومضى دليلنا ـ ما يثو ـ الذي شجعه إصغاؤنا بعناية لروايته، فقال: إنه كثيراً ما تسمع بالليل في قاعة السباع أصواتاً منخفضة مختلطة تشبه أنيناً من مجموعة من الناس، يتخللها رنين خفيف كأنه رنين سلاسل يأتي من بعيد.. وهذه الأصوات تصدر عن أرواح المذبوحين من بني سراج، وهي تحوم حول مسرح آلامها متضرعة إلى الله أن ينتقم لها من الجلادين.

ولكن الفرصة أتيحت لي فيما بعد لأن أتأكد من أن هذه الأصوات المزعومة ليست إلا خرير الماء الذي يجري في قنوات وأنابيب مدفونة تحت البلاط، والذي يغذي النافورات. ولكن شفقتي على ضحايا هذه المذبحة وتقديري لدليلنا منعني من أن أصحح له روايته.

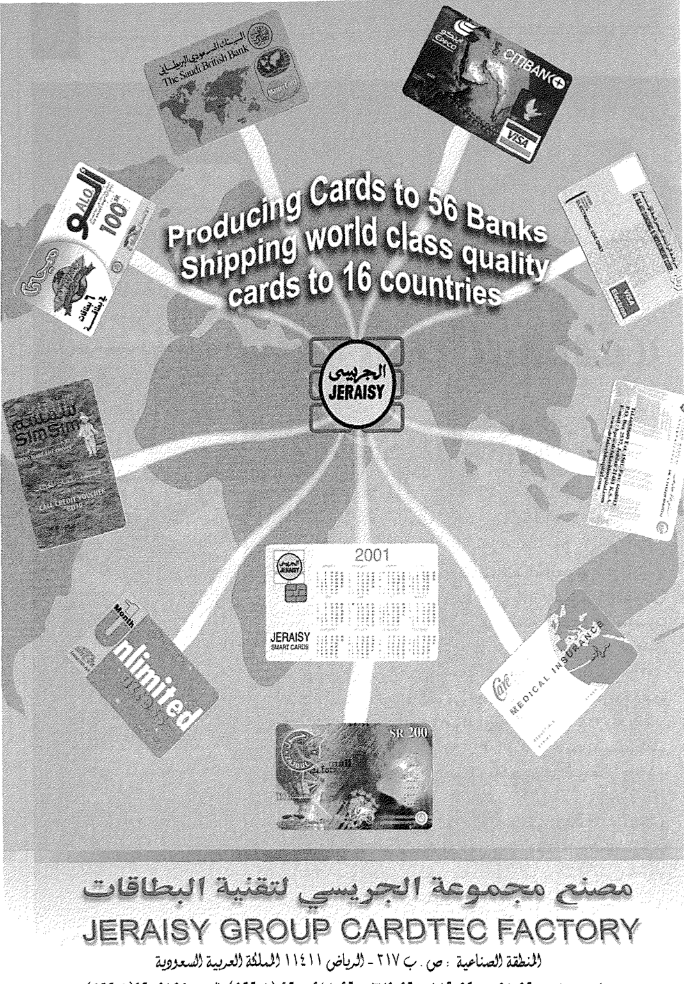
تشجع دليلنا بما أبديته من الاستعداد لأن أصدق رواياته، فقص عليّ ما يلي، باعتباره حقيقة سمعها من أبيه:

كان قصر الحمراء في وقت من الأوقات قد عهد برعايته إلى جندي قديم جرح في الحرب، وكان هو الذي يطوف بالزوار الأجانب في القصر.

وذات مساء مرّ بقاعة السباع وقد أخذ الليل يسدل أستاره، فسمع وقع أقدام في قاعة ابن السراج، فخيل إليه أن بعض الزوار الأجانب بقوا يتسكعون هناك، فتقدم إليهم ليعتني بهم، ولكنه، لدهشته، وجد أمامه أربعة من الفرسان من العرب يمشون في القاعة وهم يلبسون أفخر الثياب حاملين الدروع، وفي يد كل واحد منهم خنجر مرصع بالياقوت والأحجار الكريمة، كانوا يسيرون جيئةً وذهاباً بخطوات متزنة. ولما شاهدوا حارس القصر وقفوا ونظروا إليه نظرة متأملة، ولكن الأخير لم يحتمل الموقف فأطلق العنان لساقيه. ومنذ ذلك الوقت، فشلت جميع الجهود لحمله على العودة إلى منصبه في قصر الحمراء.

وهكذا قدر لبعض الناس في فترة ما من حياتهم أن يديروا ظهورهم للثروة وللحظ المبتسم: لأن الفرسان العرب الأربعة ـ فيما يقول دليلنا ـ لم يكونوا يريدون بالحارس شراً، وإنما كان قصدهم أن يكشفوا له سرّ الكنز المدفون في قصر الحمراء. وأما الحارس الذي خلف الجندي العجوز في رعاية قصر الحمراء، فقد كان أكثر حصافة من سلفه، لأنه دخل إلى القصر وهو فقير، ولكنه بعد مضي سنة واحدة فقط، ذهب إلى مالقة واشترى منازل هناك وأملاكاً وأصبح من أغنى الأغنياء وعاش مع ذلك في القصر حتى تقدمت به السن.

وأما سبب الثروة التي نزلت عليه فجأة، فإن ماثيو يعيدها بحكمته المعهودة إلى أن الحارس عندما بدت له أشباح الفرسان العرب لم يصبه الذعر. مثل سلفه، وبالتالي، فقد أرشدوه إلى مكان الكنز المدفون». ■

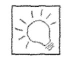


Producing Cards to 56 Banks
Shipping world class quality
cards to 16 countries
الجريسي
JERAISY
البنك السعودي البريطاني
The Saudi British Bank
CITIBANK
VISA
SimSim
CALL CREDIT VOUCHER
2001
JERAISY
SMART CARDS
Month
Unlimited
MEDICAL INSURANCE
SR 200



معهد العالم العربي ينظم المعرض و٨٠ متحفاً أسهمت بالمقتنيات:

«أندلسيات» يعيد زمان الوجد



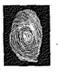
بعد أن استضاف «معهد العالم العربي في باريس» معارض عديدة مثل: (اليمن: في بلاد ملكة سبأ) (السودان: ممالك على النيل) (لبنان، الضفة الأخرى) و(مغرب ماتيس) يستضيف الآن معرض (أندلسيات: من دمشق إلى قرطبة) من ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٠ إلى ١٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠١م.

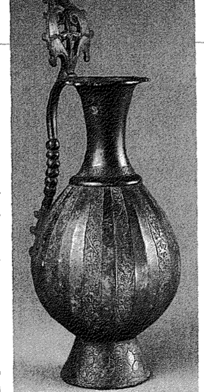
اختار معهد العالم العربي الأندلس في أوجها كي يقدمها لجمهوره، ولا سيما أندلس الأمراء الأمويين (٧٥٦ ـ ٩٢٩م) وأندلس الخلافة الأموية في قرطبة (٩٢٩ ـ ١٠٣١م) التي كانت تنسحب على ثلاثة أرباع شبه الجزيرة الإيبيرية بما في ذلك البرتغال وأخيراً أندلس ملوك الطوائف.

المفارقة هي أن هذا الأوج التاريخي لا يلتقي إلا قليلاً مع الأندلس في المخيلة الغربية المحصورة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر المختزلة إلى حجم فاتن وصغير محدد بما يقارب مملكة بني نصر في غرناطة وبقصر الحمراء وحدائقه..

لم يتوجه المعهد إلى هذه الازدهارات الأخيرة بل اختار فترات البدايات والتفتح التي ستفرض فيها الأندلس نفسها وتأخذ مكانها بين بقية الأمم في تلك الفترة التاريخية المهمة.







إن الأندلس، تاريخياً، جزء من الإمبراطورية العربية منذ فتحها في بداية القرن الثامن، وقد كان قيام الخلافة العباسية في بغداد عام ٧٥٠م نهاية الخلافة الأموية في دمشق، وعندما نجح الأمير الشاب عبدالرحمن، الوريث الذكي الوحيد للعائلة الحاكمة الأموية، في الهرب من أعوان السلطة الجديدة والوصول إلى شبه الجزيرة الأيبيرية تسلح بحقوقه القانونية ليضع نفسه على رأس المقاطعات الأندلسية التي حولها إلى إمارة مستقلة سيكون حاكماً قديراً ينظم شؤون المملكة التي يرسي قواعدها. بفضله سيصبح الأندلس قوة اقتصادية وزراعية. سيبني في عاصمته قرطبة الجامع الكبير، وهو من أجمل مباني الهندسة الإسلامية، وسيتابع الخلفاء بعده تجميله وتوسيعه.

فتح عبدالرحمن الثاني (٨٢٢ ـ ٨٥٢م) المولع بالثقافة بلاطه لأهل الأدب والعلم والفن وكان منهم زرياب المغني الموسوعي الذي أدخل إلى الأندلس عادات وتقاليد البلاط البغدادي، وكذلك العالم عباس بن فرناس الذي اكتشف سر صناعة الكريستال وكان أول من حاول الطيران بتثبيت جناحين من الشمع على ذراعيه.

أعلن عبدالرحمن الثالث نفسه خليفة عام ٩٢٩م وبنى قرب قرطبة مدينة الزهراء التي ستصبح مقر السلطة، ستعرف إسبانيا المسلمة عصرها الذهبي في عهده وعهد ابنه الحكم الثاني. وقد كانت قرطبة بطرقها المعبدة والمضاءة وحماماتها العامة ومدارسها ومكتباتها هي المدينة الأكثر تطوراً في أوروبا والمدرسة ـ الجامع كانت تجذب إليها الطلاب من جميع أنحاء العالم.

ساهم انهيار الخلافة (عام ١٠٣١م) وانقسام الأندلس إلى عدد من الإمارات المستقلة «ملوك الطوائف» في إضعاف السلطة السياسية، لكن ازدهار القرون السابقة ساعد هذه الممالك الصغيرة على متابعة التألق الثقافي. وتنافست العواصم طليطلة وسرقسطة وقرطبة وغرناطة وإشبيلية في الهندسة المعمارية وبذخ العيش، كان الفلاسفة والفنانون يأتون من العالم كله، ولعب اليهود والمسيحيون دوراً فعالاً ولا سيما

مكتبة الإسكوريال

بعد حدوث النكبة الكبرى في الغرب الإسلامي إسبانيا «الأندلس» وما حصل من تنكيل بالعرب الأندلسيين والدمار الهائل في الممتلكات.. ثم تهجير ما تبقى من العرب من أمكنتهم ومدنهم، وأبيحت حرمة ممتلكاتهم وثقافتهم وخزائن مكتباتهم. نهب مانهب، واحترق قسم كبير من المخطوطات والكتب. وبيع بالمزاد بعض المكتبات، ونقل ما توفر من الكتب النفيسة «الطب، والعلوم..» إلى بعض المكتبات التي كانت موجودة في قصور ملوك الإسبان، أو الأديرة والكنائس.

ومن أهم هذه الأديرة، دير الإسكوريال في العاصمة الإسبانية مدريد. يؤوي دير الاسكوريال مكتبة مهمة جداً ورائعة في الجمال، المكتبة هذه لم تكن من قبل عامة بل خاضعة للتاج الإسباني ولايمكن الوصول إليها إلا بإذن «ملكي» أما اليوم فالمكتبة في تناول الجميع من زوار وسياح وباحثين وطلبة.

هناك إجماع تشويه غصة على أن إسبانيا كان يمكنها أن تملك أكبر كمية من المخطوطات العربية والإسلامية في العالم لو لم يعمد الكاردينال سيسنيروس وآخرون إلى إحراق آلاف المخطوطات العربية في ساحة باب الرملة الغرناطية بعد خروج العرب من إسبانيا عام ١٤٩٢ ميلادية.

لكن من حسن حظ إسبانيا والعلم والمعرفة أن قيض للمملكة ملك اسمه فيليب الثاني أحاط نفسه بعلماء وفقهاء وخطباء



في العلوم التطبيقية كالطب وعلم الفلك.

هذه المرحلة المزدهرة التي أوقفها سقوط طليطلة على يد الملك ألفونسو عام ١٠٨٥ هي التي يقدمها معرض معهد العالم العربي.

يحرص المعرض على توضيح انتساب الأندلسيين للسلالة الأموية وتطورهم على محور دمشق - قرطبة - طليطلة، برغم تركيزه على القرنين العاشر والحادي عشر.

والزائر يرى تأثيرات المشرق: العقائدية عندما تأتي من دمشق عاصمة الخلافة الأموية، وفنية وثقافية عندما تنبع من بغداد عاصمة الدولة العباسية المنافسة والجاذبة في آن واحد. ونلاحظ تأثير المحيط القوطي المعاصر لاستقرار العرب على الأرض الإسبانية، ولكن الأساس في المعرض يبقى ازدهار قرطبة وخلفائها وغنى طليطلة في عهد ملوك الطوائف.

عرفوا أهمية الكتابات العربية في التراث العلمي والثقافي، فقد طلب هذا الملك من عماله وسفرائه ومبعوثية في جميع الأصقاع الإسبانية وغيرها جمع المخطوطات والاهتمام بها ونقلها إلى المكتبة الإسكوريالية، وبالفعل هذا ما حصل فقد جمع ما يقارب أربعة آلاف تبحث في الدين. وتحتوي مكتبة الدير قسماً لا بأس به من مكتبة «مولاي ابن زيدان» التي كانت في جامع قرطبة الكبير، والذي حوله الإسبان فيما بعد إلى كنيسة. كما هو معروف، وقد بلغت الكتب التي نهبت من الكنيسة بنحو ٤٠٠٠ كتاب كما ذكرنا سابقاً. ووضعت في إحدى أجنحة المكتبة الإسكوريال.

وعام ١٦٥٦ سجل أعلى رقم للمخطوطات العربية والإسلامية في هذه المكتبة قبل أن تأتى نيران حريق عليها عام ١٦٧١م وتلتهم عدداً كبيراً منها. وتروي الحكايات أن عدد المخطوطات المحترقة قدر بأربعة آلاف مخطوط. بينما استمرت المحاولات المغربية حتى الأمس القريب باسترجاع ما تبقى من مكتبة مولاي زيدان، لكن كل المحاولات باءت بالفشل حيث الإسبان يعتبرون أن هذه المخطوطات الثمينة والنادرة هي جزء من تراثهم.

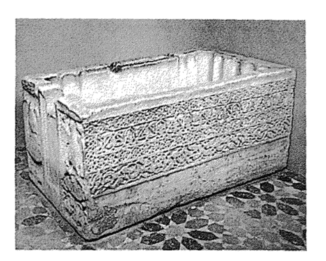
ومن المخطوطات التي تتباهى فيها أجنحة المكتبة على سبيل المثال لا الحصر:

المخطوطة ٨٣١:

أرجوزة ابن سينا توفي عام ٤٢٨ / ١٠٣٧ عن مسائل طبية عامة مع تعليق لابن رشد، تحوي ٦٠ ورقة.

المخطوطة ٨٣٩:

«الجامع في الطب» المسمى أيضاً «جامع مفردات الأدوية» لضياء الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد الأندلسي المالقي المعروف بابن البيطار توفي عام ٦٤٦ / ١٢٤٨، نسخة جميلة كتبت عام ٩٦٦ / ١٥٥٩ تحتوي ٢٣٨ ورقة.



ساهم في إعارة القطع المعروضة ثمانون متحفاً من عشرين بلداً لتقديم نظرة شاملة ومتكاملة تعمل على إنجاح المعرض. ومن المعروضات عدد لا بأس به من القطع الفنية النادرة التي تأتي للمرة الأولى إلى فرنسا.

والغاية من هذه القطع المعروضة هي إعادة تشكيل أجواء العصر الأندلسية، ولاسيما عبر عناصر من الهندسة المعمارية والأثاث والخزف المتميز مما يعطي الزائر انطباعاً بأنه ينتقل في بلاط الأندلس في عهوده المختلفة.

العلم والثقافة حاضران في كل زاوية من زوايا المعرض، ويمكن لنا أن نكتشف المخطوطات والآلات المتميزة، مثل «رسالة في الجراحة» للزهراوي بنسخها العربية واللاتينية والعبرية، أو الكرة الأرضية التي تعود إلى نهاية القرن الحادي عشر وتنسب إلى إبراهيم بن سعيد السهلي «المكتبة الوطنية - فرنسا».

ويتضمن مسار المعرض تحقيقات مصورة بالفيديو تكشف للزائر ناحيتين أساسيتين من الثقافة الأندلسية هما الهندسة المعمارية والمعرفة التقنية. نرى مراحل بناء ثم توسيع الجامع الكبير في قرطبة وتفاصيل تشييده التي جعلت منه تحفة نادرة. وكذلك تحريك النموذج المصغر من الساعة المائية يرينا درجة الإتقان التقني التي وصل إليها علماء العصر الذين جمعوا بين المهارة والحس الجمالي المتطور. ■

مكتبة الإسكوريال

المخطوطة ٨٣٣:

«مقالة في سر صناعة الطب لأبي بكر بن زكريا الرازي (توفي عام ٣١١ / ٩٢٣)، مجموعة من التذاكر الطبية وقواعد الطب الأساسية، نسخها في طليطلة عبدالكبير بن عبدالحق الغافقي عام ١٣٠٢ من التاريخ «الصفري» أو التاريخ «الهيسباني» الموافق ٦٦٣ للهجرة و١٢٦٥ ميلادية.

المخطوطة ١٣٤٠:

نسخة رائعة من القرآن الكريم، مسماة «مصحف مولاي زيدان» ومعروضة في القاعة الرئيسية للمكتبة الإسكوريالية.. وكثيراً ما اعتقد خطأً أنه مصحف معركة «الليبانت» كتبت هذه النسخة في مسجد قصر البديعة في مراكش، وكان الفراغ منها في الثالث عشر من شهر ربيع الآخر عام ١٠٠٨ ميلادية.

المخطوط ١٦١٤:

بخط ابن خلدون المتوفى ٨٠٨ / ١٤٠٦، عنوانها «لباب المحصل في أصول الدين» تلخيص لكتاب «في ما بعد الطبيعة» لفخر الدين الرازي توفي عام ٦٠٦ / ١٢٠٩، ٦٢ ورقة.

المخطوطة ٦:

شرح مختصر لألفية ابن مالك توفي عام ٦٧٢ / ١٢٧٣ كتبه المكودي المغربي، توفي نحو ٨٠٧ / ١٤٠٥، نسخة كتبت في حياة المؤلف.

المخطوط ٨٥٩:

«القاموس المحيط» للفيروز أبادي توفي عام ٨١٧ / ١٤١٥ نسخة رائعة مشكلة تشكيلاً كاملاً وهي تعود إلى العام ٩٧٥ / ١٥٦٧ وتحوي ٣٨٣ ورقة.

المخطوطة ٦٣١:

«تهافت الفلاسفة» لابي حامد الغزالي توفي عام ٥٠٥ / ١١١١ .

المخطوطة ٦٣٢:

«كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» لابن رشد القرطبي توفي عام ٥٩٥ / ١١٩٨ .

وضع ابن رشد كتابه هذا عام ٥٧٥ / ١١٧٩، والنسخة المذكورة تعود إلى العام ٧٢٤ / ١٣٢٤ .

المخطوطة ٧٦٢:

«عقيدة أهل الإسلام» لمحيي الدين بن عربي المرسي توفي عام ٦٣٨ / ١٢٤٠ نسخة متقنة، ومشكلة تشكيلاً كاملاً عبارة عن تأليف ديني وإن صنفت ضمن الأخلاق والسياسة، تحتوي ٩٥ ورقة. ■

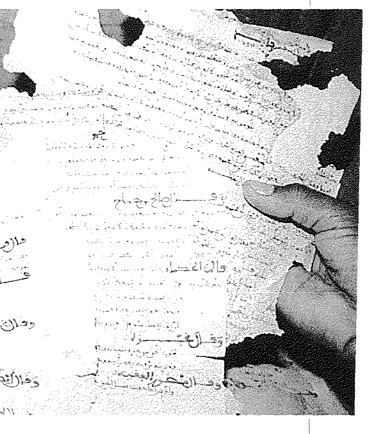


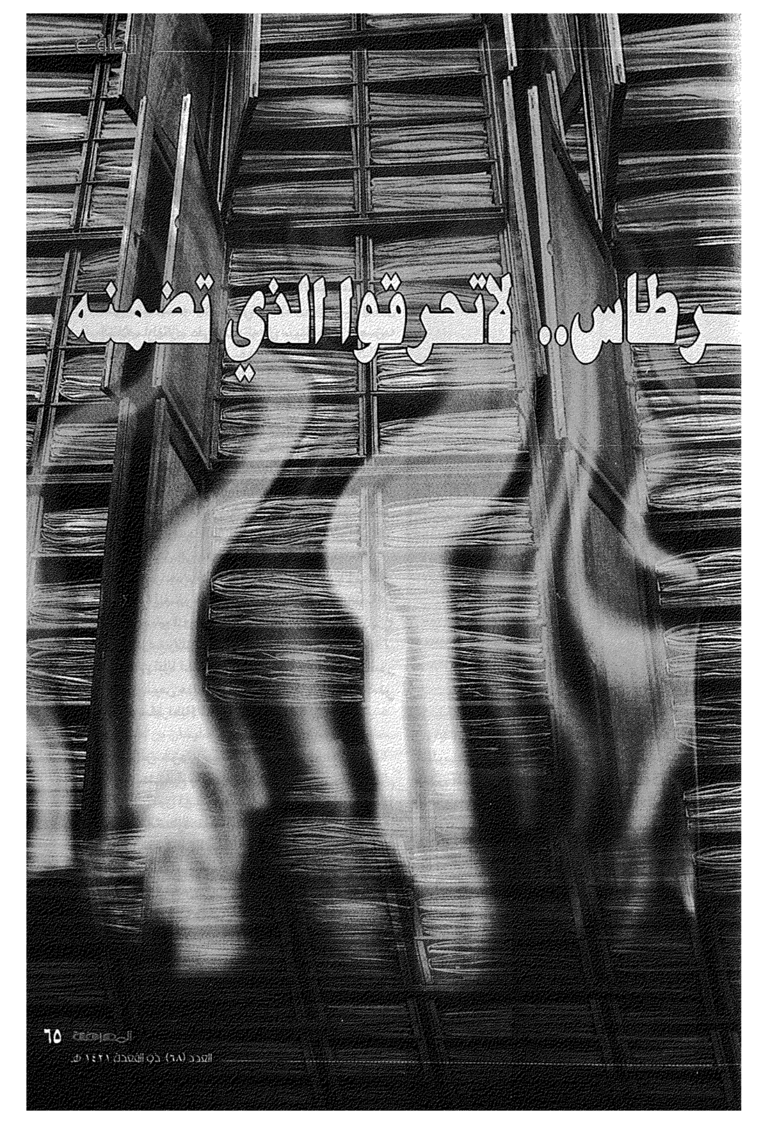
عالم الأندلس.. أبو محمد بن حزم:

وإن تحرقوا الق

إبراهيم مضواح الألمعي
عسير

هو رجل نشأ مترفاً بين النواعم، ومع ذلك كان وعراً خشناً في طباعه حتى شُبه لسانه بسيف الحجاج بن يوسف. ومع صلابته كان أندلسياً مشتملاً بثوب الحضارة والظرف، يترخص في الطرب والغناء، ويحامي عن حقوق النفس في التنفيث، ويشتد مع من يحولون بين الدين والغرائز الطبيعية العفيفة. كل ما ألفه يشهد بأنه امرؤ واثق بنفسه، قوي في عزيمته، وأنه لا يضع اليراع حتى يستقصي كل واردة، ويقنص كل شاردة، وأنه محيط بموارد الخصوم، قادر على مراوغاتهم.





...رطاس.. لاتحرقوا الذي تضمنه

رجل يقنعك بحجته، وإن لم تقتنع يخيفك بجلبته. بحسب منهجه الذي ارتضاه لنفسه يستحق أن يوصف بالجمود ويبس الفهم والوقوف على الشكليات وبوادي الرأي.. لكنك حين تخوض لجته سوف تدرك أن تحت الأمواج أعماقاً سحيقة ملأى بالكنوز والعجائب.

رجل كرهه أكثر أبناء عصره، وساجلوه في معارك علمية لم يسلم فيها من هزائم، لكن المتأخرين أحبوه على شكسه، وطووه على بلالته.

رجل بقيت كتبه نافعة ماتعة عبر الأجيال مما يشهد على إخلاصه، ولاشك في أنه كان من أشد الناس إخلاصاً لفكره، على هنات له في سبيل دحر خصومه وإلقامهم الحجارة. رجل عشق وجاهر بالعشق.. وحل حبوة وقاره فتفلسف في العشق ونظم فيه أرق الشعر، وجر معه أحلى الذكريات في كتاب يُستغرب من مثله.

اسمه ومولده

اسمه علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سفيان بن يزيد، وكنيته أبو محمد، وهي التي كان يعبر بها في كتبه، وشهرته ابن حزم. عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم «الحزمية»[١].

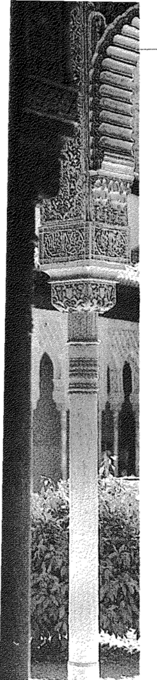
ولد ابن حزم في آخر يوم من أيام شهر رمضان سنة ٣٨٤ للهجرة. وتوفي في آخر شعبان سنة ٤٥٦ للهجرة، أي أنه عاش اثنتين وسبعين سنة، مع نهاية القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس الهجري.

وكان أبوه أحمد بن سعيد وزيراً من وزراء المنصور العامري، ومن هنا نشأ ابن حزم نشأة مرفهة ناعمة في بيئة (أرستقراطية) مثقفة[٢].

عصر ابن حزم

لا يستطيع باحث أن يتناول بالدراسة ابن حزم الأندلسي دون أن يسهب في توصيف الأندلس إنساناً ومكاناً وحضارة، فإن «المفكر تعبير وتصوير لمجتمعه، كما أن المجتمع - أحياناً - يكون صورة مكبرة لمفكره، فهناك تبادل بين الفرد والجماعة. فالفرد يؤثر في الجماعة والعكس بالعكس. وفي كثير من الحالات فإن الشخصيات الكبرى مرايا شعوبها»[٣].

فقد كانت للأندلس بيئة مغايرة لبيئة المشرق بشراً وحجراً، ومناخاً وموارد.. وجذور الحضارة الغربية المسيحية الضاربة في تربتها لا وجود لها في المشرق.. وتركيبها البشري من عرب وبربر، ومسالمة (المسلمين الأسبان) وعجم ومولدين، ويهود وصقالبة، كان شيئاً متميزاً لا مثيل له في العالم الإسلامي. وثراؤها الاقتصادي أفاض عليها بالخير والنعمة، ووفر لها الخدمات الثقافية والتعليمية، والصحة والبيئة لذلك بدأ الأندلس في عملية الاستقلال والفطام[٤].

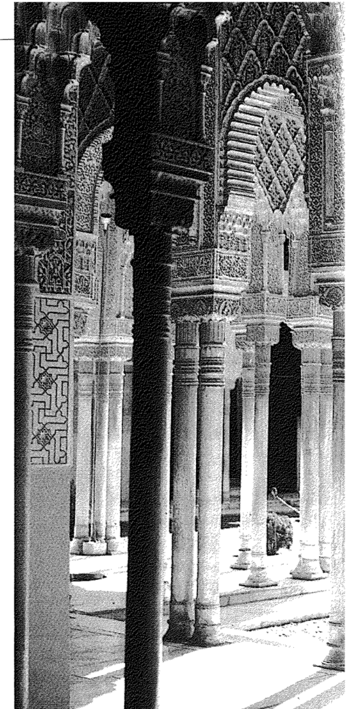


فقد كان المجتمع الأندلسي منوع العناصر، وكان الجامع المشترك بينهم المظهر الأدبي الموحد الذي وحدته لغة القرآن، وقد عرف الوسط الاجتماعي بأنه حافل بشتى مظاهر الاختلاط، كاختلاط العناصر والسلالات، واختلاط أهل الأديان، واختلاط الجنسين، وهذه وإن كان لها دور في الانحلال الخلقي والتفكك الاجتماعي، إلا أن لها دوراً في تنشيط الحركة الفكرية في الأندلس[٥].

فالاختلاط، والحياة الجديدة، والأصل العربي، بل الحياة العربية التي تملأ مخيلة الأندلس أبقت الأندلس شرقياً في تفكيره، شرقياً في أسلوب تعبيره إلى جانب بعض المميزات التي لا يمكن الفرار منها نجمت عن اختلاف المحيط الجغرافي والإنساني[٦].

ويمكننا القول بأن رغبة الأندلس في الاستقلال أسهم فيها ابن حزم بصورة واضحة وجهد كبير. ولم يقتصر ذلك على منهجه وفكره بل امتد إلى شخصيته وحياته، فابن حزم رفع شعاراً غاية في الحسم والوضوح حين قال: «المجتهد المخطئ، أفضل عند الله من المقلد المصيب».

وبذلك أسهم في التطوير والتجديد، والانفتاح والاستقلال ليس في الفقه وأصوله، بل أيضاً في الاقتصاد والسياسة والأدب والفكر، والاجتماع



عن المنهل[8]. فارتباط ابن حزم بعصره ومجتمعه ظهر في امتصاصه لكثير من القيم والاتجاهات واختلافه مع المذاهب الأربعة من جهة أخرى ما أثار عليه العامة والدهماء، والأمراء والفقهاء، وعلى الرغم من ذلك استمر في فكره وجهده بحيوية وخصوبة وحدة وقسوة دفعت الصوفي الأندلسي «ابن العريف» (المتوفى سنة ٥٢٦هـ) إلى القول بأن لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان![9].

وبعد مراجعة وفحص يمكن القول بأن نشأة ابن حزم وصعوده، وتألقه وأفوله، ثم نفيه ووفاته شريط مكثف لكل ما جرى في الأندلس من ظروف وتطورات، ومحن وإحن وشؤون وشجون... فالثراء والعزة، والتعدد والتنوع، والرفاهية والأناقة والخصب والموسوعية والصعود والهبوط يجمع بينهما بصورة واضحة وارتباط وثيق.

والأغرب من ذلك أن خاتمة كل منهما جاءت مطابقة للآخر، فالحرق والتدمير الذي لحق بكثير من حواضر الأندلس لحق بكتب ابن حزم ومخطوطاته في القرن الخامس، والتآلف والانسجام الذي جمع الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، بعث بكتبه ومنهجه مع مطلع القرن السابع، فالكساد والانهيار لحق بهما معاً، والذيوع والانتشار تجلى فيهما معاً[10].

«لم يكن ابن حزم مفكراً تقليدياً، بل له خصوصيته المميزة ومنهجه المتفرد، من هنا جاءت نسبة المفارقة والاختلاف والتباين والمواجهة والطرد والنفي»[11] .

وخلال فترة حياة ابن حزم بين العامين (٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ) ساد الاضطراب السياسي الأندلس، فقد كان الخليفة بالأندلس هشام بن عبدالملك الملقب بالمؤيد إلى سنة ٣٩٩هـ ثم خلفه محمد المهدي بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر إلى سنة ٤٠٣هـ وقد ثار عليه سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، فأخذ منه قرطبة، وكانت بينهما خطوب إلى أن قتل المهدي، وانتهت مدة المستعين سنة ٤٠٨هـ. ثم كانت البلاد الأندلسية ميداناً للنزاع بين أعتاب الأمويين والعلويين من ذرية إدريس بن عبدالله، فكانت الحال هناك في اضطراب يشبه ما كان في الشرق ويزيد عليه[12] فانتشر عقد الأندلس بين العناصر الثلاثة المتصارعة إلى أكثر من عشرين دولة: البربر في الجزء الجنوبي، والصقالبة في القسم الشرقي، أما باقي البلاد فكانت بين أسرات العرب[13].

وكان استقلال هذه الإمارات استقلالاً شكلياً، فقد كان كثير منها يدفع الجزية للأدفونش ملك قشتالة.

ولهذا لم يكن ابن رشيق القيرواني (المتوفى سنة

والعمران. فمن خلال منهج ابن حزم فتح باب الاجتهاد، وهجرت الكتب الاتباعية، وجرب التأمل والبحث الحر، وشجع الابتكار والإبداع [7].

هكذا كان موقف الأندلس رغبة في التخلص والتملص، والتجديد والانطلاق وتفاعل مع ذلك منهج «حزمي» يدعو إلى التفكير والاجتهاد والتحرر من التزام بإجماع مشكوك فيه أو قياس لا دليل عليه. ولاشك أن هذه الرغبة صادفت تشجيعاً ودعماً وهجوماً وصداً.

ففقهاء المالكية وجدوا في الظاهرية الحزمية خروجاً عن الأصول وتمرداً على القواعد. وأصحاب الثقافة المشرقية وجدوا في التجديد انصرافاً عن الأصل وعزوفاً

٤٦٣هـ) مبالغاً عندما قال:

مما يزهدني في أرض أندلس

أسماء معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[١٤]

أما من ناحية ما تنتجه هذا الإمارات من سياسة وإدارة فليس بينها تفاوت يُذكر، فكلها نظم مستبدة، مستهينة بالدماء، مكثرة من أسباب الترف وضروب العمران، واستجلاب المنافقين من الكتاب والوزراء والشعراء[١٥] كما سادت حالة من الخضوع والصغار لأعداء الإسلام حتى دفعت الإتاوات لطاغية النصارى يقول المقري في نفح الطيب: «... واستقل بأمرهم منهم ملوك استفحل وعظم شأنهم، ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم، أو يبتزهم ملكهم»[١٦].

وعنهم قال ابن حزم نفسه: «ما من مدبر مدينة أو حصن في أندلسنا هذه، أولها عن آخرها، إلا محارب لله ورسوله وساع في الأرض بفساد»[١٧].

كما سادت حالة من الرخاء في العيش الأندلسي، وعلى الرغم من المحافظة على التقاليد، فقد وجدت حالات من اللهو الماجن أحياناً في متنزهات قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس. وخلال هذه الفترة برزت ظاهرة اجتماعية «تمثلت في اتخاذ الدين وسيلة إلى الحيلة، وذريعة إلى الغض من الخصوم، وقد استغل هذا بعض الحكام ضد خصومهم، وقد اكتوى ابن حزم بنار هذه الظاهرة الخطيرة»[١٨].

أما قرطبة - مدينة ابن حزم - فقد كان فتحها على يد مغيث الرومي (المتوفى سنة ١٠٠هـ) الذي أرسله إليها طارق بن زياد (المتوفى سنة ١٠٢هـ) فحاصرها ثلاثة أشهر، وفتحها في المحرم سنة ٩٣هـ بقوة قوامها سبعمئة فارس. ومع أن قرطبة الإسلامية قد مرت بأربعة أدوار: ثلاثة منها أدوار إنشاء ونمو وازدهار، والدور الرابع عصر تدهور واضمحلال، إلا أنه خلال عصر الخلفاء حافظت قرطبة على مكانتها كأعظم مدينة في أوروبا، وثاني مدينة في الدنيا بعد بغداد[١٩].

فقد كان الثراء هو السمة الغالبة على الحياة القرطبية، في طبقات المجتمع المختلفة، وذلك على امتداد عصر بني عامر. أما خلال عصر الفتنة والطوائف، ونتيجة للتدهور السياسي، فإن الحالة الاقتصادية - بالنسبة لمجموع الشعب - كانت بالغة السوء.

وفي وسط هذا المحيط الصاخب احتلت قرطبة - مدينة ابن حزم - مكانة مهمة، نظراً لدورها البارز في التاريخ الأندلسي وخصوصاً في الفترة التي نؤرخ لها، والتي تمتد من قيام دولة بني عامر وحتى نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري. وفي هذه الفترة كانت قرطبة ما زالت بحق - كما يصفها كثير من المؤرخين - (جوهرة العالم) على الرغم من كل ما أصابها من محن[٢٠].

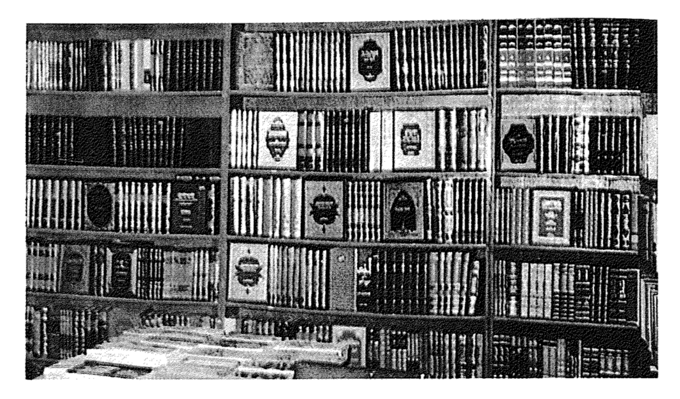


كانت قرطبة قبل الفتنة تعيش ازدهاراً وحضارة بالغة، حتى إن أهلها كانوا إذا رأوا رجلاً يتسول عنفوه وشتموه، فلم يكن أمامه إلا أن يخرج إلى الأرياف الواسعة المحيطة بقرطبة، ويلتمس قطعة من الأرض يزرعها ويعيش منها[٢١].

ونتيجة لازدهار الصناعة كان سعر العامل مرتفعاً، شأنه شأن العمال في العواصم الكبرى، وكان متوسط أجر العامل الدقيق نصف مثقال أي ما يقابل جنيهاً ذهبياً، أما العامل العادي فكان متوسط أجره نصف جنيه ذهبي، هذا في حين كان إيجار البيت الشهري عشرين درهماً أي نصف جنيه، وكات الأسرة الكبيرة لا تنفق أكثر من خمسة دراهم في اليوم، لتعيش عيشة طيبة[٢٢].

لقد عاشت الأندلس وقرطبة فترة الفتنة التي امتدت من سنة (٣٩٩هـ - حتى سنة ٤٢٢هـ). ويكفي للدلالة على ما تمتاز به هذه الفترة من قلق واضطراب كبيرين أنه قد تقلب على الأمر فيها عشرة حكام تولى بعضهم الحكم مرتين... وبديهي أن تولي بعض الخلفاء الحكم أكثر من مرة كان بتأثير الفتن الدائرة وأسلوب الانقلابات الدموية[٢٣].

ويصف لنا (ابن بسام) - نقلاً عن (ابن حيان) -



الأعوام السبعة للفتنة (٤٠٠ - ٤٠٧هـ) بأنها «كانت شداداً نكدات صعاباً، مشؤومات كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور، ولا فقد محذور، مع تغير السيرة، وخرق الهيبة واشتعال الفتنة، واعتلاء المعصية، وظعن الأمن، وحلول المخافة»[٢٤].

والذي لا شك فيه أن التجارة - أكثر من الزراعة والصناعة - قد تعرضت للكساد والتدهور، بتأثير فقدان الأمن وتسلط رجال الدولة على أموال الناس، وضرب المكوس والضرائب الفادحة عليهم وذلك في عهدي الفتنة والطوائف[٢٥].

أما من الناحية العلمية فقد كان عصر ابن حزم عصر العلم حقاً في الأندلس، فقد انصرف إليه أمراء بني أمية مجاراة لأولاد عمومتهم العباسيين في الشرق، فزخرت مجالسهم بالعلماء، وامتلأت مكاتبهم بالكتب[٢٦].

هكذا كانت قرطبة إلى حدود سنة ٤٤٠هـ حتى قال «أبو محمد بن عطية» في مفاخر قرطبة:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة
وهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة
والعلم أكبر شيء وهو رابعها

وبعد هذا التاريخ فلا شك أن قرطبة كانت قد فقدت كثيراً من أمنها واستقرارها، وبالتالي من رخائها وخصوصاً أن أشبيلية كانت قد بدأت تأخذ مكانها.

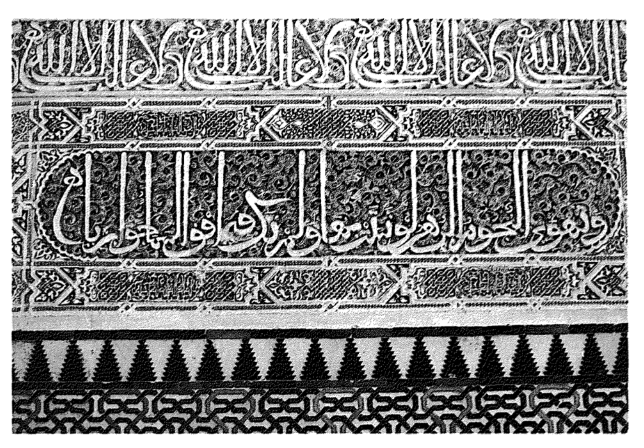
وقد كان للبربر دور في تخريب حضارة قرطبة، كما أن أهلها - وبخاصة العامة الذين كانوا مادة الفتن - كان لهم نصيب كذلك. فلم تزل تحط وتخرب، وكما عمرت بالعدل فإنها خربت بالجور: جور الحكام العرب، وجور الغوغاء، وجور البربر، وجور الصقالبة، وجور الفقهاء[٢٧].

نشأة ابن حزم

قال المقري في نفح الطيب: «نشأ ابن حزم في بيت عز ومال وجاه عريض، وكان يعتز ببيته، ويعتز بأنه طلب العلم لا يبغي به إلا النور. ويروى في هذا أنه تناظر مع الباجي (المتوفى سنة ٤٧٤هـ) شارح الموطأ، فقال الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه، فتسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق. فقال له ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في هذه الحالة رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حال ما تعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة»[٢٨].

لقد نشأ ابن حزم ربيب النعمة فاستحفظ القرآن ويقول إنه حفظه إياه النساء والجواري والقريبات، وقد ذكر ذلك في كتابه «طوق الحمامة» فقال: «لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب...





وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط»[٢٩].

تعلم ابن حزم تعلمه الأول بين النساء؛ ولكن أباه الذي كان قائماً على تربيته معنياً به العناية كلها، كان لا يني عن مراقبته وملاحظة ميوله واتجاهاته، ولقد حكى هو تلك المراقبة وأنها كانت سبب عفته مع ملازمته للنساء وحياته الناعمة. يقول في «طوق الحمامة» أيضاً: «كنت وقت تأجج نار الصبا وشره الحداثة، وتمكن غرارة الفتوة مقصوراً محظراً على رقباء ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا الحسن بن علي الفارسي... وكان عاملاً عالماً ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا، والاجتهاد للآخرة، وأحسبه كان حصوراً»[٣٠].

ويقول الإمام محمد أبو زهرة معلقاً على كلام ابن حزم:

«كانت هناك قيادة نفسية مع الرقابة الحسية فإنه ما إن شب عن الطوق حتى وجهه أبوه إلى صحبة رجل مستقيم النفس والخلق أخذ يشغل فراغه بمجالس العلماء، واختص من بين المشائخ بعزوف عن النساء ذلكم الشيخ هو أبو الحسن الفارسي، أعجب ابن حزم بذلك الشيخ الحصور - كما سماه - فكان ذلك الإعجاب سبباً في أن أغلق باب السقوط في الأهواء والشهوات»[٣١].

رزق ابن حزم ذكاء مفرطاً وذهناً سيالاً وكتباً نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة عمل بالوزارة في الدولة العامرية وكذلك وزر أبو محمد في شبيبته وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة[٣٢]، ولا شك أن لهذه النشأة آثاراً واضحة على الفكر والسلوك والشخصية والاتجاه.. وبدون التوغل في الآثار الشعورية واللا شعورية للتربية النسائية من الحريم والجواري، فالمتوقع أن يكون تأثيرها مختلفاً عن تربية الرجال والمؤدبين[٣٣].

ومجمل القول أن ابن حزم ولد وعاش في كنف أبيه الوزير أبي عمر أحمد بن حزم، وتربى في قصر شامخ في ضاحية من ضواحي قرطبة تسمى الزاهرة.. وواضح أن اسم الضاحية يعكس مستواها الاقتصادي والاجتماعي. فقد كانت ضاحية للأعيان والأثرياء تضم رجال الحكم والسلطان، والمال والجاه، تزخر بما فيها من نفائس ومجالس للعلم والثقافة، والطرب والترويح.

أما أم ابن حزم فيلحظ الباحث أنه قلما كتب عنها أو أشار إليها في كتاباته الذاتية. ولكن في الجملة كان وضع المرأة في الأندلس مختلفاً عن وضعها في المشرق نتيجة الظروف الاجتماعية والثقافية التي ارتكزت عليها الثقافة الأندلسية، ونتيجة درجة أعلى من الحرية

والتحرر الاجتماعي مما جعل للمرأة دوراً في حياة الأسرة والمجتمع أهم بكثير مما كان لبنات جنسها في بقية أنحاء العالم الإسلامي (٣٤).

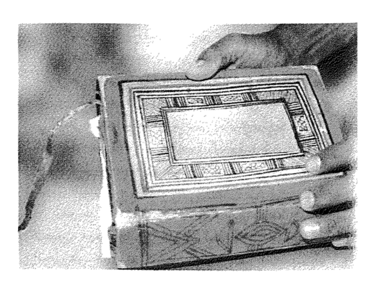
يقول الدكتور عبدالحليم عويس: «ونحن نستبعد أن يكون في أم ابن حزم مغمز، لأنه لو كان الأمر كذلك لاستغله خصومه، ولشاع وعرف» (٣٥).

ويضيف دكتور عويس: «بل نحن نميل إلى أن أم ابن حزم من كرائم العائلات، وأن الأمر لايزيد على أن إهمال الحديث عن الأم عادة عربية، ويؤكد هذا أن معلوماتنا عن أمهات كثير من عظماء الحضارة الإسلامية معلومات محدودة جداً. وحتى الخلفاء الراشدون وبقية الخلفاء ينسحب عليهم جميعاً هذا الحكم. فابن حزم ليس نشازاً في نغمة ندرة الحديث عن الأم... ومثلها الزوجة أيضاً» (٣٦).

ونستطيع القول بأن الفترة التي قضاها ابن حزم في هذا القصر هي التي وقعت بين مولده في رمضان (٣٨٤هـ) وانتقاله منه إلى دورهم القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث، في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث مئة - هذه الفترة التي تبلغ نحو خمسة عشر عاماً هي التي تشكلت فيها نفسية ابن حزم - فيها استقى كتاب طوق الحمامة.. ووصل إلى تصوير المجتمع الأندلسي من داخله وكان لها تأثيرها البعيد والعميق في فكره وتربيته» (٣٧).

طلبه العلم

ذكر الذهبي في (سير أعلام النبلاء): أن سبب تعلم ابن حزم الفقه أنه شهد جنازة فدخل المسجد فجلس ولم يركع فقال له رجل قم فصل تحية المسجد وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة، قال فقمت وركعت فلما رجعنا من



الصلاة على الجنازة دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لي اجلس اجلس ليس ذا وقت صلاة وكان بعد العصر. قال فانصرفت وقد حزنت وقلت للأستاذ الذي رباني دلني على دار الفقيه أبي عبدالله بن دحون، قال فقصدته وأعلمته بما جرى فدلني على موطأ مالك فبدأت به عليه وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة (٣٨).

وقد رد الإمام أبو زهرة هذا الخبر فقال: «هذا الخبر لا يتفق حد السن المذكورة فيه مع السياق التاريخي، وذلك أن ابن حزم تلقى عن أحمد بن الجسور الحديث، ومستحيل أن يعرف الحديث ولا يعرف تحية المسجد، وأيضاً فإنه قد ثبت أن أبا الحسين الفارسي كان يذهب به إلى مجالس كبار العلماء فمستحيل أن يكون مع تلك العناية يجهل تحية المسجد، وأن طبيعة الحياة التي كان يحياها ابن حزم تكذب ذلك. فلقد كان ابن حزم ابن وزير كبير، من كبراء الدولة وقد بلغ سن الرجولة فلا يمكن أن يكون جاهلاً تحية المسجد، لأن ذلك يؤدي حتماً إلى أن نقول إنه لم يدخل المسجد قبل ذلك أو لم يدخله إلا نادراً؛ وذلك غير معقول بالنسبة لرجل ذي جاه بلغ السادسة والعشرين.

وإن الخبر في ذاته يحمل دليل بطلان أن يكون ابن حزم في هذه السن، وذلك لأنه ذكر أن مربيه وأستاذه قد صحبه، وأشار إليه بذلك، ومن كان في السادسة والعشرين وبلغ مرتبة الوزارة لا يذكر الناس من يشير إليه على أنه مربيه.

وإن المعقول أو القريب من المعقول أن يكون ذلك وهو في السادسة عشرة من عمره، وأن يكون في ذلك تصحيف من النساخ وقد كتبوا بدل العشر عشرين»(٣٩).

ويستنتج من هذا أن ابن حزم قد طلب العلم قبل السياسة، وانصرف إليه انصرافاً كاملاً، وإن كانت حياته إبان ذلك غير قارة ولا ثابتة فهو ينتقل من قرطبة للتخريب الذي أصابها إلى المرية، ثم يقبض عليه ويسجن، ثم ينتقل إلى بلنسية، ثم إلى القيروان، وهكذا يعيش في ترحال غير مستقر، لا يقضي وقته في بلد إلا في الدرس، والاطلاع والبحث والتنقيب. ومهما يكن فإنه لم ينصرف انصرافاً كلياً إلى الفقه في صدر حياته العلمية، بل كان يدرس الحديث والأدب والأخبار، وبعض العلوم العقلية الفلسفية، ومع ذلك كان يناظر ويجادل(٤٠).

قال الذهبي: «وحدثني عنه عمر بن واجب قال بينما نحن عند أبي ببلنسية وهو يدرس المذهب إذا بأبي محمد بن حزم يسمعنا ويتعجب ثم سأل الحاضرين مسألة من

الفقه جووب فيها فاعترض في ذلك فقال له بعض الحضار هذا العلم ليس من منتحلاتك فقام وقعد ودخل منزله فعكف ووكف منه وابل فما كف وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسن مناظرة وقال فيها أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب. قلت: نعم، من بلغ رتبة الاجتهاد ويشهد له بذلك عدة من الأئمة لم يسغ له أن يقلد»[41].

ويعلق الإمام أبو زهرة على هذا الخبر بقوله:

«نستطيع بمقتضى هذا الخبر، وسياق حياته أن نقول إن ابن حزم كان عاكفاً على العلم منذ نعومة أظفاره، وإنه كان يدرس العلوم الإسلامية عامة، وأخصها الحديث والأخبار، وإنه لم ينصرف إلى الفقه انصرافاً جعله إماماً فيه وصاحب رأي من غير تقليد لأحد، غير الصحابة وكبار التابعين إلا بعد أن ذهب إلى بلنسية، وأقام فيها، ووجد طائفة من العلماء هنالك يذاكرهم العلم ويذاكرونه»[42].

وقد اتجه أول ما اتجه إلى الفقه المالكي، فقد كان هو المذهب السائد في الأندلس فوق أنه المذهب الرسمي للدولة، ولقد روي أن ابن حزم قال: إن مذهبين انتشرا بقوة السلطان، مذهب أبي حنيفة بالمشرق ومذهب مالك بالمغرب، فكان من مقتضى المنطق أن يتجه ابن حزم إلى مذهب مالك... ثم انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي لسبب غير معروف، غير أن الإمام أبا زهرة يفترض تعليلاً لهذا الانتقال فيقول: «لابد لنا من أن نفرض أنه اطلع على مأثورات للشافعي ترضي نزعته الفكرية فإنه ليس بين أيدينا مايبين لنا السبب الذي من أجله انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي، وإذا لم يكن السبب معروفاً فلابد أن نفرض فرضاً يكون قريباً من الواقع ليسد الخلة، ونجد أن روح النقد والتحرر الفكري الذي ظهر في ابن حزم يتلاقى مع المأثور من كتابات الشافعي. فإنك ترى في مأثورات الشافعي مع كتاب اختلاف مالك، اختلاف العراقيين، والرد على سير الأوزاعي، وجماع العلم، وكلها كتب نقد وجدل، وإن هذا يتفق كل الاتفاق مع روح ابن حزم، ونزوعه الفكري»[43].

ولكنه لم يلبث إلا قليلاً في المذهب الشافعي، ويعلل أبو زهرة ذلك الميل إلى القول بالظاهر بقوله: «ولقد كان ذلك لأنه كان بين أساتذته الذين تلقى الفقه عليهم (مسعود بن سليمان بن مفلت) وهو عالم زاهد يميل إلى القول بالظاهر، والاختيار من بين الأقوال المختلفة، فراق له ذلك المنظر لأنه يطلق حرية فكره، فلا يتقيد بالمذاهب المشهورة، بل يتقيد فقط بالنصوص والآثار، ولذا كان يقول أخيراً «أنا أتبع الحق وأجتهد ولا أتقيد بمذهب»[44].

ويميل إلى ذلك أيضاً الدكتور عبدالحليم عويس اعتماداً على رأي الشيخ سعيد الأفغاني بقوله: «ومن شيوخه البارزين مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار، وعنه أخذ بعض الآراء الفقهية، وربما أخذ اتجاهه إلى القول بالظاهر»[45].

كان ابن حزم يدرس كل ما يصل إليه من كتب، وعلى كل من يلقاه من شيوخ، كما تلقى العلم على آثار العلماء الذين زخرت بكتبهم مكاتب قرطبة والمرية وبلنسية والقيروان والشاطبة وغيرها من مدائن المغرب التي نزل به ذلك الكاتب العبقري والعالم الفذ، الإمام الحجة، ومن مجموع ما قرأ وتلقن واختبر تكونت شخصيته العقلية التي بهرت الأنظار واسترعت الأسماع، ودوى اسمها في التاريخ.

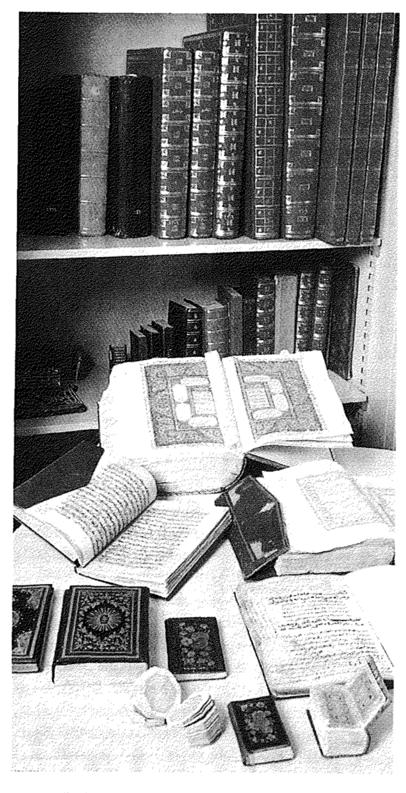
لقد عني ابن حزم بالدرس والاطلاع والقراءة في صدر حياته حتى تكون له منهاج فقهي قائم بذاته لم يكن لغيره من المعاصرين، لكن لم يتجه إلى إعلان آرائه ودرسها إلا بعد أن اعتزل السياسة وانصرف بكليته إلى العلم ونشره وتصديه للدفاع عن الإسلام مجادلاً لليهود والنصارى ومدافعاً عن آرائه مجادلاً العلماء... وفي هذا العهد تكون له الأولياء والأعداء وكان له محبون ومريدون قل عددهم، ومناوئون معادون كثر عددهم[46].

يقول ياقوت الحموي: «وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وصنف فيها مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد»[47].

علم ابن حزم

لم يعرف التاريخ قبل ابن حزم عالماً جمع بين ضروب العلم المختلفة ما جمعه ابن حزم. فهو الكاتب الأديب، وله خوض في علوم الفلسفة والمنطق، وكان جريئاً فيها كما كان جريئاً في غيرها. فهو يخطئ أرسطو في منطقه وينهج في المنطق منهاجاً يخالفه. ويتقصى التاريخ ويدونه متحرياً الحقيقة، وهو بذلك المؤرخ العميق النظرة، ويكتب في أدق أجزاء التاريخ وهو الأنساب، ويخرج من كل ذلك العالم المحقق المستوعب.

وهو مع كل هذا المحدث العظيم الذي يجمع أشتات الحديث، فيحفظها وإذا كان قد أخذ الناس عليه أنه قد أدخل عليه أحاديث فإن ذلك لا يمنع عظم حفظه



وإحاطته ومعرفته لأخبار الرجال وأحوالهم، وهو الفقيه الذي أحيا الظاهر - أو كما يقول الإمام أبو زهرة: «أحيا علم الكتاب والسنة وبين عمومها وشمولها لأحكام الأحداث التي تجري بين الناس مهما يتغير الزمان. وإذا كان قد اختار المنهاج الظاهري منهاجاً فذلك لم يكن تقليداً، بل لأنه المنهاج الوحيد الذي يتمكن به من بيان أحكام القرآن والسنة سائغة للواردين، بينة للقاصدين»(٤٨) - وهو فوق ذلك العالم بالملل والنحل في غير الإسلام والعليم بالفرق الإسلامية. وأهل النجاة منها، والعليم بوجوه الرد على غير المسلمين، والعليم بالفرق بين الفرق معرفة دقيقة، وإنه ليناقشها بطريقته الصريحة الحرة غير سائر وراء أحد. ولا ملتفت لقول قاله عالم مهما تكن منزلته ما دام يخالف ظاهر الكتاب والسنة، أو يأتي بقول لا يشتق منهما، ولا يعتمد فيه على صريحهما، وهو يبين في ذلك أنه لا يقصد في علم العقائد إلا ماكان واضحاً بيناً ولا يقصد إلى المناهج المعقدة المتأثرة بمناهج اليونان، أو هي في ذاتها اقتباس منها.

ثم هو يناقش الفلاسفة ويسبق الغزالي إلى مناقشتهم وإدحاض حججهم، ويبين بطلان اعتقاداتهم بأدلة منطقية من جنس أدلتهم.

وكذا لا نجد باباً من أبواب العلم الإسلامي إلا خاض فيه ابن حزم، خوض العارف بمراميه، المدرك لمغازيه، فيقبل الحق الذي يعتقده حقاً، ويرد في عنف ما يراه باطلاً، ويرد المسببات إلى أسبابها، والنتائج إلى مقدماتها، والأقوال إلى غاياتها في قلم مبين مصور، وعبارة صريحة واضحة نيرة(٤٩).

المحن في حياة ابن حزم

لا يكاد يسلم صاحب حق من البلاء فهو عنوان الأحقية، وعنوان النجاح، ودليل قوة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾(٥٠).

ولقد تعرض ابن حزم لمحن كثيرة في حياته(٥١) تنوعت مصادرها، كما تنوعت أشكالها، فقد أجليت عائلته من دورها المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة إلى دورهم القديمة في الجانب الغربي من قرطبة، وذلك أيام أمير المؤمنين محمد المهدي، وكان ذلك سنة ٣٩٩هـ. وقد تحدث عن هذه المحنة في «طوق الحمامة» فقال: «ثم انتقل أبي رحمه الله من دورنا المحدثة في الجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب

الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة، وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمئة»[٥٢].

ثم أجلي مرة أخرى من بلده بعد الإطاحة بهشام المعتد بالله في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة، ونودي في قرطبة بأن لا يبقى بها أحد من بني أمية. وكان قد أجلي قبل ذلك سنة ٤٠٤هـ عندما تغلب جند البربر[٥٣]. ويحدثنا ابن حزم عن جلائهم هذا فيقول: «ثم ضرب الدهر ضرباته، وأجلينا من منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت من قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمئة»[٥٤].

ولقد ذكر في آخر كتابه «طوق الحمامة» بعض ما وقع له، وثباته على الشكر رغم النكبات، فقال: «أنت تعلم أن ذهني متقلب وبالي مضطرب بما نحن فيه من نبو الدار، والجلاء عن الأوطان، وتغير الزمان، ونكبات السلطان، وتغير الإخوان، وفساد الأحوال وتبدل الأيام، وذهاب الوفر والخروج عن الطارف والتالد، واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد، والغربة في البلاد، وذهاب المال والجاه، والفكر في صيانة الولد، واليأس عن الرجوع إلى موضع الأهل، ومدافعة الدهر، وانتظار الأقدار، لا جعلنا الله من الشاكين إلا إليه، وأعادنا إلى أفضل ما عودنا، وإن الذي أبقى لأكثر مما أخذ، والذي ترك أعظم مما تحيف، ومواهبه المحيطة بنا، ونعمه التي غمرتنا لاتحد، ولا يؤدى شكرها، والكل منحه وعطاياه، ؛ ولا حكم لنا في أنفسنا ونحن منه وإليه منقلبنا، وكل عارية راجعة إلى معيرها، وله الحمد؛ أولاً وآخراً، وعوداً وبدءاً»[٥٥].

ولم يقتصر الأمر على الإجلاء، فقد تعرض ابن حزم للسجن بعد توليه الوزارة للمستظهر سنة ٤١٦ هجرية، كما سجن قبل ذلك أيام خيران صاحب المرية (المتوفى سنة ٤١٩هـ). وفي وصف سجنه هذه المرة يقول: «وفي إثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين، وقد انتقم الله منهم، عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهراً»[٥٦].

كما وقع ابن حزم في الأسر، بعد هزيمة المرتضى أمام جيوش غرناطة، ثم أطلق سراحه، وكان ذلك في أواسط سنة تسع وأربعمئة للهجرة تقريباً.

وقد تعرض ابن حزم أيضاً للتغريب من بلده، وكان ذلك أيام خيران صاحب المرية، وليس هذا فحسب بل تعرض ابن حزم لصور أخرى من البلاء كان أبشعها إحراق كتبه في أيام المعتضد بن عباد (المتوفى سنة ٤٦١هـ) ولا يخفى ما في ذلك من محنة نفسية شديدة[٥٧].

ولقد كان الذي يأخذه الفقهاء عليه أنه يخالف المذهب المالكي، ويشن عليه الغارة، ويضرب بأقوال المالكية في الرأي عرض الحائط، لأنه يعتمد على النصوص، ويحسب في زعمه أنها كل شيء[٥٨].

ومجمل القول أن ابن حزم - كما قال بعض أصدقائه - «أوتي العلم كله، ولكنه لم يؤت سياسة العلم». ولعل هذه العبارة على إيجازها توضح كيف أنه لم يستطع التوافق والتعايش، لأنه لم يقبل التنازل أو التفاوض، وكان يرد على معارضيه بردود عنيفة جارحة، فيزداد التطرف من الناحيتين: ناحية الخصوم والمعارضين، ومن ناحيته.. زادوا من الهجوم عليه، فزاد تطرفاً وحده مما أوقعه في كثير من المشكلات[٥٩].

فطبيعته الحادة، واعتداده بنفسه، وشكه في الكثيرين، واختلافه السياسي والفقهي جر عليه مشكلات وأزمات، ونفر منه الناس[٦٠].

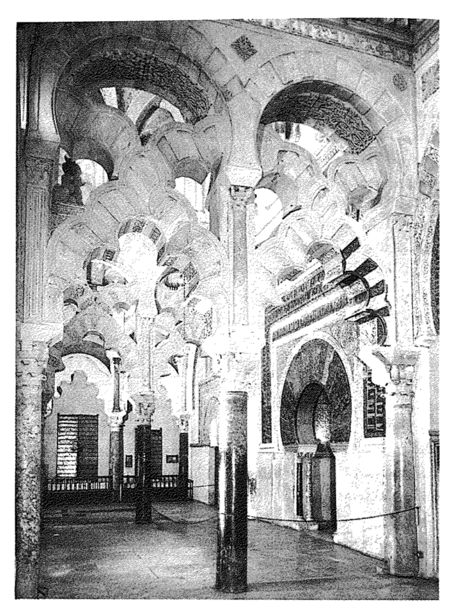
ورغم جهده وبحثه، وعلمه وفنه، كان يشعر بأنه مغبون الحق، مضطهد الجانب، ولا شك أن سجنه وتشريده كان دليلاً على ذلك، ثم الأخطر والأهم من ذلك أن كتبه حرقت، وأفكاره صودرت، من هنا كان ينشد قائلاً:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

قال الذهبي: «وقد امتحن لتطويل لسانه في العلماء شرد عن وطنه فنزل بقرية له، وجرت له أمور وقام عليه جماعة من المالكية، وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي (المتوفى سنة ٤٧٤هـ) مناظرات ومنافرات ونفروا منه ملوك الناحية فأقصته الدولة وأحرقت مجلدات من كتبه»[٦١]. وفي هذه الحادثة يقول ابن حزم:

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة
فكم دون ما تبغون لله من ستر[٦٢]

هذه صور لبعض البلاء الذي ألم بأبي محمد رحمه الله، ولقد كانت ابتلاءات شديدة عليه، لكنها صقلت



وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً»(٦٤).

المذهب الظاهري(٦٥)

لقد سبق ابن حزم إلى القول بالظاهر أبو سليمان داود بن علي البغدادي مقاماً الأصبهاني نسباً (المولود سنة ٢٠١هـ، المتوفى سنة ٢٧٠هـ) وقد كان داود شديد الإعجاب بالشافعي، وله في فضائل الشافعي مصنف. وقد كان داود فصيحاً قوي الحجة، حاضر البديهة، لا يهاب أحداً في إعلان ما يعتقد، وكان فيه عقل وكياسة، وإدراك للأمور، ولذا وصفه أحد معاصريه، فقال: «كان عقله أكثر من علمه» روي عنه أنه كان ناسكاً زاهداً ورعاً، وكان يعيش على القليل، ويرد الهدايا ولا يقبلها إفراطاً في الورع، ولكي لا يكون لابن أنثى يدٌ عليه.

درس داود على المذهب الشافعي، وقرأ كتب الإمام الشافعي وتخرج على تلاميذه وأصحابه، لكنه لم يلبث إلا قليلاً آخذاً بالمنهاج حتى خرج عنه، مع تقديره لذلك الإمام الجليل، وقال: «إن المصادر الشرعية هي النصوص فقط، فلا علم في الإسلام إلا من النص، وأبطل القياس، ولم يأخذ به، ولقد قيل له: «كيف تبطل القياس وقد أخذ به الشافعي؟» فقال: «أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس». ولذلك اتجه إلى علم السنة فهو البحر الزاخر الذي يجد فيه الفقيه مسعفاً وبذلك أكثر من السنة، وكانت كتبه مملوءة بها، فهي في جملتها فقه مروي، ولذا يقول الخطيب البغدادي فيه: «إنه أول من أظهر انتحال الظاهر ونفى القياس في الأحكام قولاً، واضطر إليه فعلاً، وسماه دليلاً».

كانت كتب داود مملوءة حديثاً، لأن فقهه هو فقه النصوص بشكل عام، وفقه الحديث بشكل خاص ولكن لم يرو العلماء عنه إلا قليلاً مع عبادته ونسكه، وكونه ثقة،

نفسه، وقوت همته. ولقد صدق فيه من قال: «وإن الناظر إلى حال صاحبنا ونشأته الأولى ثم حاله بعد ذلك ليدهش لما أصابه من تقلبات في الأحوال، وعدم تخاذله أمامها، ويدرك أن حياته صورة للإرادة التي لا تعرف التردد»(٦٣).

مصنفاته

نقل الإمام أبو زهرة عن عبدالواحد المراكشي (المتوفى سنة ٦٤٧هـ) في كتابه المعجب قوله: «له مصنفات كثيرة جليلة القدر، شريفة القصد في أصول الفقه وفروعه، على منهجه الذي يسلكه ومذهبه الذي يتقلده.. بلغني عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين، نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة،

ويرجع الإمام أبو زهرة عدم الرواية عنه إلى أمرين:

أحدهما: إنكاره القياس جملة، وبذلك خالف جمهور الفقهاء حتى أئمة السنة، مثل الإمام أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة الفقه الحديث.

ثانيهما: تصريحه بأن القرآن محدث، مع تصريحه بأنه لا حرج أن يمس الجنب والحائض المصحف الشريف، وأن يتلو القرآن، مما خالف به جمهور الفقهاء أيضاً، ونادى بذلك في وقت قد قرر علماؤه أن المبتدعة هم يقولون إن القرآن مخلوق، فهم بهذا قد عدوه في ضمن المبتدعة»[٦٦].

استقر المذهب الظاهري بما جاء به داود وكان له مؤيدون ومعارضون، وكان هو يجاهر بآرائه، غير متقيد بما يقوله الجمهور، وكان يعقد مجالس للمناظرة، داعياً إلى فكره، متجهاً بنظره إلى الكتاب والسنة وحدهما، ويعتمد على الإجماع ويبني عليه.

ومما أخذ على داود أنه منع التقليد منعاً مطلقاً، وأجاز لكل فاهم للعربية أن يتكلم في الدين بظاهر القرآن والسنة، حتى لقد جرأ العامة على ما لا قبل لهم به من أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة.

من أجل هذا اشتدت حملة العلماء على مذهب داود هذا في حياته وبعد مماته، فلم يعتد كثيرون بخلافه، وقالوا: إنه غير مناف للإجماع، فإن أجمع العلماء على رأي، وفيه خلاف لداود وأتباعه، فلا ينافي ذلك وجود الإجماع، عند هؤلاء.

وقد نقل الإمام أبو زهرة عن السبكي في طبقاته أن الأقوال في ذلك ثلاثة:

أولها: أن خلافهم معتبر في كل أحواله، سواء أكانوا يعتمدون فيه على النص، أم يخالفون لعدم وجود النص، الذي يستنبطون منه.

الثاني: أنه لا يُعتد بخلافهم مطلقاً، وعلى هذا الرأي إمام الحرمين وغيره.

الثالث: وهو قول ابن الصلاح أن خلافهم معتد به مناف للإجماع عند وجوده، إن كان خلافهم في غير القياس، أما إذا خالف قولهم القياس الجلي فلا يعتد بخلافهم[٦٧].

ومهما يكن رأي العلماء في مذهب داود فإن ذلك المذهب كانت له حياة في الشرق، وكانت له حياة في الغرب، أما في الشرق، فإن داود ألف كتباً كثيرة في مذهبه، قد اشتملت على ما يؤيده، كما اشتملت على آرائه في فروع مسائل فقهية عرضت له، فأبدى رأيه فيها بناء على الأصول التي قررها في مذهبه، وأن الكتب بذاتها آثار غير قابلة للمحو. فقد يذهب المعتنقون ولا تذهب الكتب، فهي السجل الخالد للأعمال الفكرية، وهي الأثر الباقي بعد العلماء.

ولم تكن كتب داود وحدها هي التي أبقت مذهبه من بعده مع عواطف الاعتراض الشديد عليه، بل لقد خلفه في القيام عليه والدعوة إليه أبو بكر محمد بن داود، فقام على تلك التركة الثرية من علم السنة التي تركها أبوه، فنشرها ودعا الناس إليها. وكان يجذبهم نحوها إعلاؤها لمقام السنة في وقت كثرت فيه الآراء الفقهية والتعريفات المذهبية، وفوق ذلك قد كان فيه حرية الاجتهاد والاختيار في الوقت الذي كانت المذاهب تقيد المتمذهبين بها وتمنعهم من الانطلاق والتحليق في جو الكتاب والسنة من غير أي تقييد مذهبي.

وعلى ذلك انتشر القول بالظاهر في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، حتى قيل: إنه كان رابع مذهب في الشرق، وكان الثلاثة التي هو رابعها مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك، فكأنه كان في الشرق أكثر انتشاراً وتابعاً من مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل، في القرن الرابع الهجري.

وفي هذه الفترة التي كان للمذهب الظاهري سلطان في بلاد المشرق ظهر فيه علماء أفذاذ أمدوا الفكر العلمي بعناصر قوية، وآراء تستمد قوتها من الكتاب والسنة[٦٨].

وفي الوقت الذي خبا ضوء ذلك المذهب بالشرق وحل محله المذهب الحنبلي كان يحيا حياة قوية في الأندلس، إذ ظهر فكر قوي، ونطق به لسان عضب هو لسان ابن حزم الأندلسي، فإن ابن حزم في تلك الفترة زحمه المذهب الحنبلي على يد القاضي ابن أبي يعلي (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) - أي بعد وفاة ابن حزم بسنتين - أخذ يقرر المذهب الظاهري في قوة وعنف، ويناضل عنه في غير رفق، وذلك لأن، الفقيهين الجليلين ابن أبي يعلي وابن حزم كانا يعيشان في عصر واحد، فإن كان نجم المذهب الظاهري قد أفل في الشرق فقد بزغ في ذلك الوقت بالذات في المغرب، وكان إمامه الثاني يلاحي عنه بعنف لا هوادة فيه.

وقد كانت بذور المذهب الظاهري تنبت في الأندلس، بل كان منهاجه ينتقل إليها في الوقت الذي كان يعيش فيه داود نفسه، فإنه في القرن الثالث الهجري سافرت طائفة كبيرة من علماء قرطبة المبرزين المتازين إلى بلاد المشرق ينهلون من علمها، ويردون موارده العذبة فيها، ومنهم من التقى الإمام أحمد ومعاصريه كداود



الظاهري وغيره.

ومن هؤلاء ثلاثة وإن لم يكونوا ظاهريين في أقوالهم فقد كانت آراؤهم تنحو نحو الظاهر، أو تمد الفكر الظاهري بعناصر من السنة وطوائف من الآثار، وقد أخذوا من المذهب الظاهري عدم التقيد بمذهب، والاختيار، وأخذ الأحكام من الكتاب والسنة.

أولئك الثلاثة هم بقي بن مخلد (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) وابن وضاح (المتوفى سنة ٣٨٦هـ) وقاسم بن أصبغ (المتوفى سنة ٣٤٠هـ) فالأولان انتقلا إلى المشرق، وداود حي، والثالث تلميذهما نهج منهجهما.

هؤلاء الرجال الثلاثة وقرناؤهم وتلاميذهم مهدوا لوجود المذهب الظاهري بالأندلس، بنشرهم أحاديث رسول الله ونشر الفقه المقارن، ورحلاتهم إلى الشرق، ونقل أخباره وأخبار علمائه ومذاهبه، وبعدئذ ظهر علماء يعلنون اختيارهم للمنهاج الظاهري، وعلى رأسهم قاض من أعظم قضاة الأندلس، بل أبرزهم شخصية وأقواهم أثراً. ذلك القاضي هو المنذر بن سعيد البلوطي (المتوفى سنة ٣٥٥هـ) وقد اطلع ابن حزم على أخباره، والتقى ابنه سعيد بن منذر (المتوفى سنة ٤٠٣هـ).

إذن كان للمذهب الظاهري في القرن الرابع الهجري مقام ودعاة ومدافعون، ولعله كان ذا حظ فيها أكثر من الحنفي والشافعي، ولذلك وجد ابن حزم من تلقى عليه ذلك المذهب، فوق الآثار العلمية التي دون فيها ذلك المذهب.

وقد تلقى كما ذكرنا عن مسعود بن سليمان بن مفلت (المتوفى سنة ٤٢٦هـ) وقد كان ابن مفلت لا يرى التقليد، وكان داودي المذهب يأخذ بالظاهر، وكان متواضعاً يرى أن العلم من المهد إلى اللحد، ويأخذ بالأثر «لا يزال الرجل عالماً ما دام يطلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل».

بهذا يتبين ولو بطريق الإشارة كيف حل الفقه الظاهري في الأندلس، وأنه أخذ يدخلها قليلاً قليلاً مع السنة النبوية، وكأن ذلك المذهب يسير مع السنة حيث سارت، لأنها جل اعتماده، ومنها استمد أكثر عناصره، ولأنها كانت المعين الذي لا ينضب في إمداده.

تسلم ابن حزم المذهب الظاهري في أشد أوقات الحاجة إلى مثل شخصية ابن حزم، فإن القاضي أبا يعلي في الشرق بقوة شخصيته استطاع أن يحل المذهب الحنبلي في الشرق محل المذهب الظاهري، وبذلك خبا المذهب الظاهري في المشرق، فعوض الله ذلك المذهب بأن يقف ابن حزم لنصرته ونشره وتأييده، وهو الأيد القوي(٦٩).

لقد امتاز ابن حزم باتجاهاته وجهوده الكبيرة في نواح متعددة من جوانب الفكر، ومع أنه طرق كثيراً من جوانب المعرفة، كالفقه والأصول ومقارنة الأديان (الملل) والفرق الإسلامية (النحل) والأدب شعره ونثره، واللغة والنحو والمنطق والفلسفة والتاريخ... إلا ابن حزم، في ذلك كله، كانت تغلب عليه النزعة الظاهرية، فلم ينس ابن حزم ظاهريته وهو يجوب كل هذه الآفاق، بل إنه اتخذ من هذه الظاهرية - التي ترفض التأويلات والافتراضات العقلية غير الموضوعية - منهجاً، حاول تطبيقه على هذه المجالات.

وقد كانت الدراسة الإسلامية - في فكر ابن حزم - من أبرز المجالات التي احتلت جانباً كبيراً في تكوينه الفكري، وجددت أبعاد شخصيته الثقافية. ويعتبر ابن حزم أصولياً وفقيهاً مجتهداً، سار في دراسته وبحوثه على خطى مدرسة الحديث والأثر، التي وقفت أمام مدرسة القياس والرأي.

وقد كان لابن حزم الفضل في بقاء المذهب الظاهري، ولولا جهوده لا ندثرت فروع هذا المذهب وأصوله، فلا

يعرف منها إلا ما هو مبعثر في بطون كتب التفسير، أو ما يأتي استطراداً في كتب المذاهب الأخرى[٧٠].

يقول الدكتور عبدالحليم عويس: «لقد اختار ابن حزم الظاهرية بتأثير ظروف فكرية وتاريخية أوجبت لديه ذلك. ففي هذا العصر الذي ساد فيه الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية أصبح الفقهاء أكبر عضد لأمراء الطوائف في تبرير طغيانهم وظلمهم وانحرافهم، ابتزازاً لأموالهم، وسعياً وراء المناصب عندهم... كانوا يأكلون على كل مائدة، ويتقلبون في خدمة كل قصر، وقد أفسحت طبيعة عصر الطوائف لهم مجال الاستغلال والدس، واحتضنهم الأمراء الطغاة وأغدقوا عليهم العطاء.

وقد أتيح لابن حزم أن يقرأ الفقه المالكي، وغيره من المذاهب، وأن يمعن في الأحكام التشريعية التي جاءت بها أو دونتها... وقد رأى أن من أسباب الخلاف الشديد بينها، أن القياس وما إليه من الاستحسان قد أصبح مركباً ذلولاً استطاع به جماعة من الفقهاء أن يوائموا بين أحكامهم وفتاواهم وبين مقتضيات الحياة الفاسدة التي أطرحت فيها مبادئ الخلق والضمير إطراحاً، ومسخت فيها كل أصول الدين وآدابه مسخاً، وأصبح الرجل العاقل فيها: «من حمله كل بلد، ونفق عند كل أحد» كما يقول أبو المغيرة عبدالوهاب ابن حزم (المتوفى سنة ٤٣٨هـ).

فكانت ظاهرية ابن حزم هي رد الفعل لهذه الوصولية التي سادت عصر الطوائف، وكان ابن حزم أصلح من تظهر على يديه حركة رد الفعل في شكل ثابت قوي، إذ كان رجلاً عاملاً بعلمه، واسع الاطلاع، يطلب العلم لله، ويضع دينه فوق كل مصلحة[٧١].

وأختم بقول ابن حزم عن مذهبه في كتابه (الفصل): «واعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه، واتهموا كل من يدعو إلى أن يتبع بلا برهان، وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً فهي دعوى ومخارق، واعلموا أن رسول الله لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها... ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن»[٧٢].

وفي هذا المعنى يقول شعراً[٧٣]:

قالوا تحفَّظ فإن الناس قد كثرت
أقوالهم، وأقاويل العدى محن

فقلت هل عيبهم لي غير أني لا
أقول بالرأي؟ إذ في رأيهم أفن

وإنني مولع بالنص لست إلى
سواه أنحو - ولا في نصره أهن

ولا أنثني نحو آراء يقال بها
في الدين بل حسبي القرآن والسنن

الهوامش:

(١) خير الدين الزركلي - الأعلام - جـ٤ - ص ٢٥٤ - ط٨ / دار العلم للملايين ١٩٨٩م.

(٢) انظر د. حسان محمد حسان - ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي - ص ٣٩ - دار الفكر العربي - بدون رقم طبعة، بدون تاريخ.

(٣) المصدر السابق ص ٣١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٥) محمد عبدالله أبو صعيليك - الإمام ابن حزم الظاهري إمـــام أهل الأندلس - ط١ - دار القلم - دمشق ١٩٩٥م ص ١٤ - ١٥ .

(٦) د. حسان محمد حسان. ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي - ص٢٧ مصدر سابق.

(٧) المصدر السابق - ص٢٨ .

(٨) المصدر السابق ص ٢٩ .

(٩) المصدر السابق - ص ٢٢ .

(١٠) المصدر السابق - ص ٢٢-٢٣ .

(١١) المصدر السابق - ص ١٥

(١٢) محمد عبدالله أبو صعيليك - الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس - ص ١٣ مصدر سابق.

(١٣) د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص٢٥ مصدر سابق.

(١٤) ابن رشيق القيرواني ديوانه - ص ٦٠ - دار الثقافة - بيروت - بدون رقم طبعة - ١٩٨٠م.

(١٥) انظر: د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص ٢٥ مصدر سابق.

(١٦) المقري - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - جـ١ - ص ٤١٣ دار الكتب العلمية - ط ١- ١٩٩٥م.

(١٧) د. حسان محمد حسان - ص ١٤ مصدر سابق.

(١٨) محمد عبدالله أبو صعيليك - الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس - ص ١٥ مصدر سابق.

(١٩) انظر: - د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ص ٢٧ مصدر سابق.

(٢٠) انظر: المصدر السابق - ص ٢٨ .

(٢١) انظر: المصدر السابق - ص ٢٩ .

(٢٢) انظر: المصدر السابق - ص ٣٠ .

(٢٣) المصدر السابق - ص ٢١ .

(٢٤) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول ص (٢٥) مطبعة لجنة التأليف والترجمة. وانظر المراكشي المعجب ص ٩٠ نقلاً عن: المصدر السابق - ص٢٢ .

(٢٥) المصدر السابق - ص٣١ .

(٢٦) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه - دار الفكر العربي - ص١٧ بدون رقم أو تاريخ طبعة.

(٢٧) انظر: د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص ٢٤ مصدر سابق.

(٢٨) المقري - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - جـ٦ - ص ٢٠٢ .

(٢٩) عن طوق الحمامة، انظر، الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه - ص ٢٨ مصدر سابق.

(٣٠) المصدر السابق - ص ٢٨ .

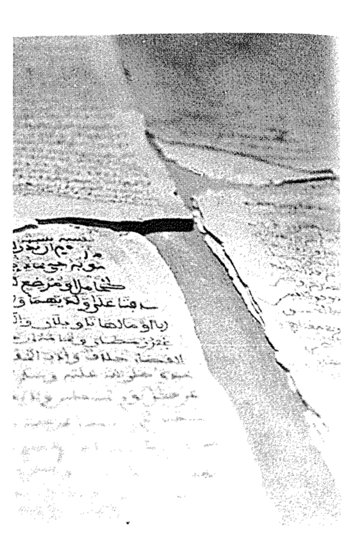
(٣١) المصدر السابق: ص ٣٠ .

(٣٢) الإمام الذهبي - سير أعلام النبلاء - جـ ١٨ ص ١٩٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٨ - ١٩٩٢م.

(٣٣) د. حسان محمد حسان - ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي - ص ٤٠ مصدر سابق.

(٣٤) المصدر السابق - ص ٤٢ .

(٣٥) د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص ٥٦ مصدر سابق.



وفاته:

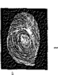
أمضى ابن حزم في قريته (منت ليشم) سنواته الأخيرة التي تقترب من عقدين، يبث علمه فيمن ينتابه بباديته تلك، من عامة المقتبسين والطلاب، الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم ويدارسهم ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف.

وفي ليلة الإثنين الثامن والعشرين من شعبان سنة ٤٥٦هـ وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي، والجدال في الحق، والصدق في الإيمان؛ توفي ابن حزم، بعد عمر بلغ اثنتين وسبعين سنة... وكأنما كان رحمه الله يرثي نفسه حين قال:

كأنك بالزوار لي قد تبادروا
وقيل لهم أودى علي بن أحمد
فيا رب محزون هناك وضاحك
وكم أدمع تذرى وخد محدد
عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً
عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحد
وأترك ما قد كنت مغتبطاً به
وألقى الذي آنست منه بمرصد
فوا راحتي إن كان زادي مقدماً
ويا نصبي إن كنت لم أتزود[٧٤]

---

(٣٦) المصدر السابق - ص ٥٦ .
(٣٧) د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص ٥٩ مصدر سابق.
(٣٨) الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ١٨ ص١٩٩مصدر سابق.
(٣٩) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص.ص ٣٥ـ٣٦ مصدر سابق.
(٤٠) المصدر السابق - ص٣٧ .
(٤١) الإمام الذهبي - سير أعلام النبلاء - جـ ١٨ ص ١٩٣مصدر سابق.
(٤٢) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٣٧ـ٣٨ مصدر سابق.
(٤٣) المصدر السابق - ص ٣٨ .
(٤٤) انظر: المصدر السابق - ص ٣٨ـ٤٠ .
(٤٥) د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص ٦٧ مصدر سابق.
(٤٦) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٤٠ـ٤١ مصدر سابق.
(٤٧) ياقوت الحموي - معجم المؤلفين - جـ٣ ص ٥٤٧ دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٩١م.
(٤٨) انظر: الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٦٧مصدر سابق.
(٤٩) انظر: المصدر السابق - ص.ص ٦٧ـ٦٨ .
(٥٠) سورة العنكبوت - الآية ٢ .
(٥١) انظر: محمد عبدالله أبو صعيليك - الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس - ص٢٣ وما بعدها - مصدر سابق.
(٥٢) المصدر السابق - ص٢٣ .
(٥٣) انظر: المصدر السابق - ص ٢٤ وما بعدها.
(٥٤) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٤٨ مصدر سابق.
(٥٥) المصدر السابق - ص ٤٨ .
(٥٦) انظر: محمد عبدالله أبو صعيليك - الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس - ص ٢٥ وما بعدها - مصدر سابق.
(٥٧) الإمام الذهبي - سير أعلام النبلاء - جـ ١٨ ص١٩٨ مصدر سابق.
(٥٨) انظر: الإمام محمد أبوزهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٥٢ مصدر سابق.
(٥٩) د. حسان محمد حسان - ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي - ص ٥٨ مصدر سابق.
(٦٠) انظر: المصدر السابق - ص ٥٢ .
(٦١) الإمام الذهبي - سير أعلام النبلاء - جـ ١٨ مصدر سابق.
(٦٢) ياقوت الحموي - معجم المؤلفين - جـ ٣ - ص٥٥٤ مصدر سابق.
(٦٣) انظر: محمد عبدالله أبو صعيليك - الإمام ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس - ص ٢٥ـ٢٦ مصدر سابق.
(٦٤) انظر: الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٦٩ مصدر سابق (نقلاً عن المعجب لعبدالواحد المراكشي).
(٦٥) انظر: أبو زهرة - ص٢٨٨ـ٣١٢ ود. عويس - ص. ٨٥ـ٩٤ .
(٦٦) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٢٩٢ مصدر سابق.
(٦٧) المصدر السابق - ص ٢٩٤ .
(٦٨) المصدر السابق - ص ٢٩٤ـ٢٩٦ .
(٦٩) الإمام محمد أبو زهرة - ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه - ص ٢٩٦ مصدر سابق.
(٧٠) د. عبدالحليم عويس - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري - ص ٨٧ وما بعدها - مصدر سابق.
(٧١) المصدر السابق - ص ٨٨ .
(٧٢) المصدر السابق - ص ٩٠ .
(٧٣) المصدر السابق - ص ٩١ .
(٧٤) ياقوت الحموي - معجم المؤلفين - جـ ٣ - ص٥٥٥ مصدر سابق.



رسالة من فقهاء المغرب إ

لم يستطع كثير من ضعفاء مسلمي الأندلس مغادرة ديارهم بعد سقوطها الكامل في يد النصارى. ومنع القادرون منهم من تجاوز شبه الجزيرة الأيبيرية.

وبدأت محاولات تنصير المسلمين تتدرج إلى أن وصلت إلى إحراق الممتنعين عن التنصّر وهم أحياء ضمن عقوبات «محاكم التفتيش» الوحشية.

هذه الوثيقة / الفتيا التي بعث بها أحد علماء المغرب إلى المسلمين الأندلسيين توضح طرفاً من المعاناة والقهر الذي صار إليه حال مسلمي الأندلس في ظل محاكم التفتيش والتنصير تحت حكم الكاثوليكيين المتنصرين.

«الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم، فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء، القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس التراق، نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه، بحسن إيمان وصدق ، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً».

«بعد السلام عليكم، من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد بوجمعة المغراوي ثم الوهراني.

كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام آمرين به من بلغ من أولادكم، إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله ما اتخذ من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها لفقيركم أو رياء، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة، ولو عوماً في البحور، وإن منعتم فالصلاة بالليل قضاء لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به، فاقصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام: «فاتوا منه ما استطعتم».

ـى إخوانهم من العرب*

«وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وانووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا إلى ما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام، وإن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيراً فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وإن زوجوكم بناتهم، فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وإنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغيرتموه».

«وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوه منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم، وتتصدقون بالباقي، إن تبتم لله تعالى. وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز فافعلوا، و إلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك، وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مَمَد، فاشتموا مَمَداً، ناوين أنه الشيطان، أو ممد اليهود فكثير بهم اسمه. وإن قالوا عيسى ابن الله، فقولوها إن أكرهوكم، وانووا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود بحق، وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله، فقولوها إكراها، وانووا بالإضافة للملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أو يحل به، وإن قالوا قولوا مريم زوجة له، فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن، أو زوجها الله منه بقضائه وقدره، وإن قالوا عيسى قد توفي بالصلب، فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وإماتته وصلبه وإنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو.

وما يعثر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله حسب ما تكتبون به، وأنا أسأل اله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله، من غير محنة ولا وجلة، بل بصدمة الترك الكرام. ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به، ولا بد من جوابكم. والسلام عليكم جميعاً. بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسع مائة عرف الله خيره».

«يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى». ■

---

* من المخطوطات المحفوظة في مكتبة الفاتيكان الرسولية بروما، وقد عثر محمد عبدالله عنان على ترجمة لهذه الوثيقة بمخطوطات «الألخيمادو» بمكتبة التاريخ بمدريد. «نهاية الأندلس»، طبعة مطبعة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٩٦، محمد عبدالله عنان ص ٣٤٢ ص ٣٤٤ (من كتاب «تذكروا من الأندلس الإبادة» لأحمد رائف).



دموع الأندلس

شعر: أبوالبقاء الرندي



لا يستعيد الناس أحزانهم في الأندلس إلا ويوردون مطلع ومختم هذه القصيدة الرنديّة.

الا يوجد قصائد رثائية أخرى غير هذه الشهيرة المتداولة؟ بالطبع: بلا، ولكن لعل هذه قد تميزت بقدرتها على إثارة الأحزان الأندلسية مرة بعد مرة بعد مرة!

ولذا.. فها نحن في «المعرفة» نمارس نفس الدور التابيني للأندلس في ختام هذا الملف.. لأن أحزاننا على الأندلس مازالت رطبة، ويبدو أنها لن تجفَّ يوماً حتى نرطّبها بدموعنا من جديد.. دموع الأندلس.

المعرفة

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

يمزق الدهر حتماً كل سابغة.. ... إذا نبت مشرفيات وخرصان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولايدوم على حال لها شان

وينتضي كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان

وأين ما شاده شداد في إرمٍ ... وأين ما ساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان

أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمان على دارا وقاتِله ... وأم كسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب ... يوماً ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة ... وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يهونها ... وما لما حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له (أحد) وانهد (ثهلان)

أصابها العين في الإسلام فارتزئت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل (بلنسية) ما شأن (مرسية) ... وأين (شاطبة) أم أين (جيان)؟

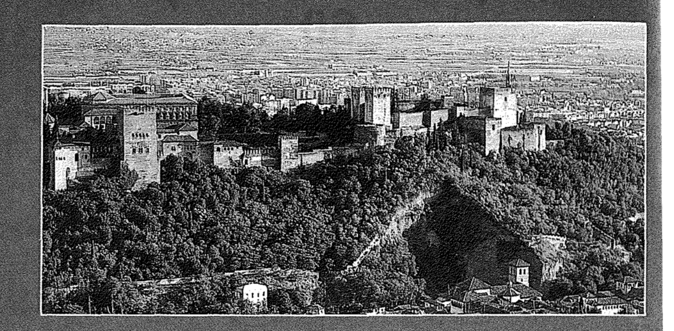
وأين (قرطبة) دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان

وأين (حمص) وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان؟

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية ... قد أسلمت ولها بالكفر عمران



حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلهيه موطنه ... أبعدَ حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان
يا أيها الملك البيضاء رايته ... أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم ... أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكمُ ... وأنتمُ يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيَّات لهم همم ... أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عُبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهمُ من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهمُ ... لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرّق أرواحٌ وأبدان
وطفلة ما رأتها الشمس إذ برزت ... كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

• • •


60
Kg
50
70
الطعم المثالي ... للوزن المثالي
EXPIRY DATE تاريخ الانتهاء
نادك
nadec
منزوع الدسم
FRESH
SKIMMED
LABAN
لبن مخيض
منزوع الدسم
طازج
الفائزة على المركز الأول لجائزة الملك للمصنع المثالي
لقطاع الصناعات الغذائية بالمملكة
تضمن (نادك) عدم إضافة
البودرة والماء والمواد الحافظة
5 281057 022021
سم ١/٢ ٪ طعم ١٠٠٪





عبدالعزيز الثنيان

وانتهى شهر رمضان

... وداعاً الشهر الكريم وانطوى بأيامه ولياليه السريعة، ولكن كيف مضى ذلك الشهر، وكيف كانت الدراسة في ذلك الشهر وكيف قضى المسلمون نهارهم في تلك الأيام المباركة؟

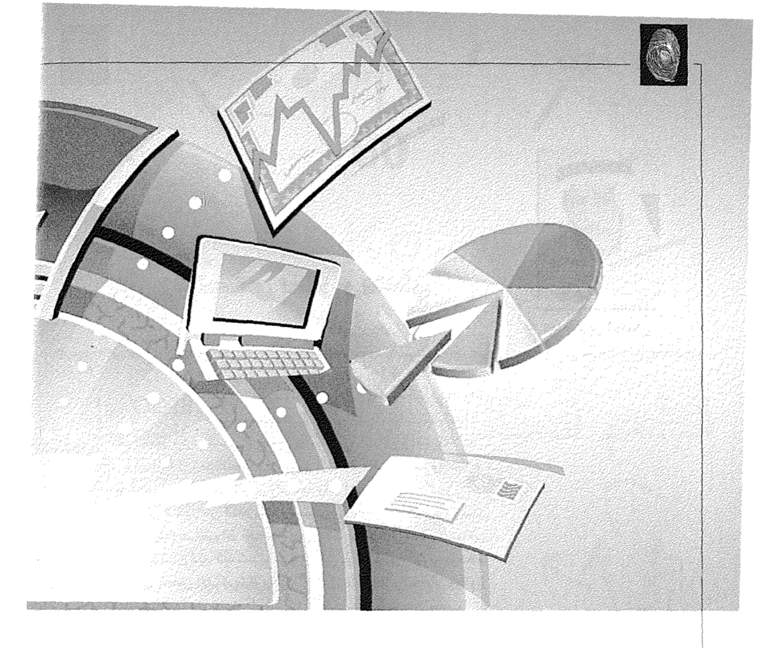
إن المتأمل يجد عجباً، فهو شهر تزداد فيه الحسنات، وتتضاعف فيه الخيرات، إنه شهر الهدى والرحمة والقرآن والفضيلة.

ولكن الكثير من الناس جعلوه شهر مرح وفرح وأكل ونوم وسهر وطرب، وتبارت القنوات الفضائية في اللهو والعبث، وأطلقت شياطين الإنس بعد أن قيد الله شياطين الجن في هذا الشهر الكريم، وكأنها تريد من الناس الاسترخاء والراحة وعدم العبادة والطاعة.. ويا ويل القائمين عليها من يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت. حسبنا الله ونعم الوكيل.

والتعليم وما أدراك ما التعليم همّ الأمة ومستقبلها ناله ذلك الاسترخاء، فتأخر الدوام للساعة العاشرة صباحاً، فسهر الآباء والأمهات، وتبعهم الأبناء والبنات، وسهر المعلمون والمعلمات. فكان الليل سمراً والنهار نوماً وأحسب كل بيت يصارع أبناءه وبناته بعد الساعة التاسعة صباحاً ويدفعهم إلى المدارس كل صباح، وهم نيام وكأني أرى الطلاب والطالبات والنوم يغالبهم والنعاس يصارعهم لا يعون الدرس ولا يركزون في الاستماع، وإني أُشفق على المعلمين والمعلمات صناع المستقبل وبناة الفضيلة، فهم بين وضع اجتماعي أربكهم وأسهرهم وبين مسؤولية تربوية وواجبات وظيفية حاصرتهم.

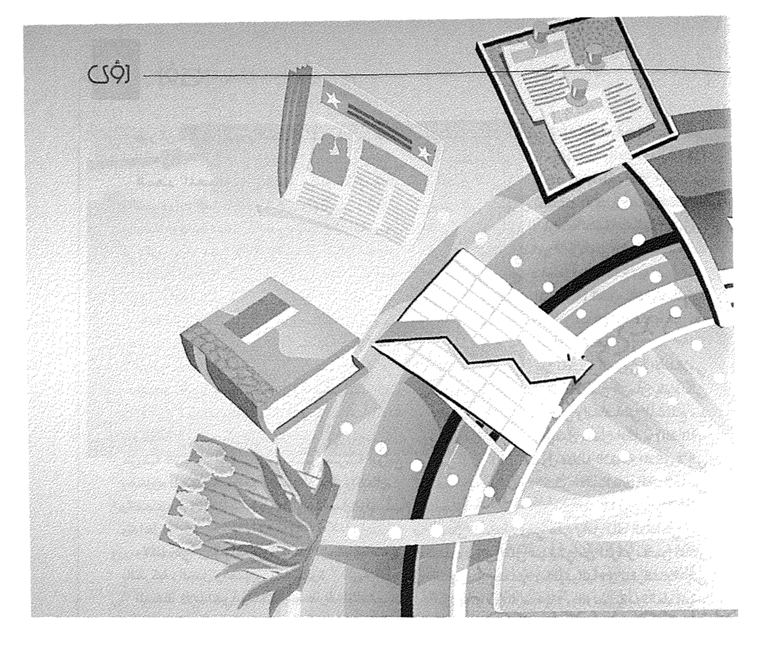
إن التعليم ليس حضوراً في الفصول والتزاماً بالدوام، إنه حيوية وحركة ونشاط وتفاعل وحوار ونقاش وأخذ وعطاء وتناغم بين المُلقي والمُتلقي، فهل يحدث هذا العمل التربوي في نهار رمضان؟.

إنه يجب أن يرتفع الصوت التربوي لصناع القرار إظهاراً للحقيقة والواقع، فإما أن يكون هذا الشهر الكريم كغيره من الشهور، نوماً في المساء وعملاً في الصباح ودواماً مبكراً، وإما يُعاد النظر في أوقات العمل بما يتناسب مع الوضع الاجتماعي الذي ألفه الناس في هذا الشهر المبارك. ■



الخطوة الأولى لمواجهة العولمة:

عملية جراحية كبرى لواقعنا الثقافي



علي القريشي *
ليبيا

توصف الثقافة - أية ثقافة - بأنها الكل المركب الذي يشتمل على العناصر المعرفية والسلوكية والمادية والإبداعية التي تعبر بمجملها عن طبيعة المجتمع وأنماطه الحياتية الخاصة. وبعبارة أخرى تمثل الثقافة مجموعة المعتقدات والقيم والآداب والتقاليد والنظم والأعراف والفنون، وحتى الأساطير والأوهام، بما يلامس كلياً أو جزئياً قضايا الكون والإنسان والحياة.

والثقافة بهذا المعنى تمثل الجهاز المركزي الذي يفرز وعي الجماعة، ويختزن سر معادلتها العامة، كما يشكل العنصر الجوهري في تكوينها وصياغة ذاتيتها بما يُعبر عنه بـ(الهوية) تلك التي يتمايز بها مجتمع عن آخر.

---

* أستاذ في جامعة عمر المختار.

غير أن تفكيكنا لمفهوم الثقافة يكشف لنا عن ثلاثة أبعاد هي:

البعد المعياري: وتمثله مجموعة العقائد والتصورات العامة نحو الكون والإنسان والخالق والحياة، وكذلك مجمل مايندرج تحت إطار ما ينبغي أن يكون، ويُعد الدين واللغة والنماذج المثالية المصادر الأساسية للبعد المعياري الذي يؤثر ولاشك بالراهنية الفكرية والسلوكية.

والثقافة عند هذا المستوى تمثل لب الهوية وروحها والعنصر الأول في تكوين الجماعة وتشكيلها التاريخي.

البعد الاجتماعي المتعين: وتجسده جملة القيم والأفكار والعادات والنظم والتقاليد والأعراف وأنماط العلاقات التي تعيش في حيز التعاطي وتعبر عن طريقة الوجود الإنساني، وتعكس حركة الواقع وصوره المختلفة بما فيها من اتساق وتضارب، وانسجام وتناقض، وتواصل وتفاصل، وتصلب وتداخل.

ولاشك في أن الثقافة في أبعادها الاجتماعية تتميز بالحركية والجدل والصيرورة المستمرة.

البعد الإبداعي: وتعكسه صفوف الإنتاجات والأنشطة الأدبية والفكرية والعلمية والفنية مما يصدر عن النخبة من الأدباء والمفكرين والعلماء والفنانين، وحتى ما ينتجه عموم الناشطين على اختلاف كيفيات الإسهام ومستوياته التي تتراوح بين التذوق والمشاركة والإبداع.

وفي إطار ذلك يبرز (المثقف) المسؤول صاحب الدور الذي لا يسعه إلاّ أن يكون صاحب رؤية وموقف إزاء الأفكار والأشخاص والأحداث والأشياء.

وإذا كانت الثقافة في المجال العربي والإسلامي تواجه اليوم - وعلى مختلف أبعادها المعيارية والاجتماعية والإبداعية - ظاهرة العولمة التي تتسارع خطاها باتجاه صهر الثقافات واختزالها في ثقافة كونية واحدة، وعلى نحو ما ينطوي عليه ذلك من قهر وإلغاء، فليس هذا بالتحدي الطارئ والغرب - كما نعلم - عمل ومنذ زمن بعيد على اختراق ثقافات الآخرين عبر مختلف الأدوات والوسائل، إلاّ أن ثمة حقيقة يغفلها الكثيرون هي أن الإشكال المذكور لا يُرد إلى ما تملكه الثقافة الغربية من أدوات وعناصر قوة وإقناع وجذب، مايُرد إلى ضعف (البنية الثقافية) العربية والإسلامية الراهنة، وتواضع أدواتها وفقدانها الحيوية في ظل مناخ غائم لا يسمح بشروق الإبداع.



لقد ظل التفاعل بين المحيط العربي والإسلامي وثقافة المركز على مدى حقب من الزمان يقوم على الانبهار بالمنجز الغربي والتعاطي المسطح مع عناصره المختلفة، بل وتقبل بعض أفكاره (القاتلة)، الأمر الذي كانت تتحول خلاله الثقافة المذكورة إلى معيار تحتكم إليه أكثر الاتجاهات السائدة في محيطنا.

حتى النخبة - وهي على رأس ذلك التعاطي - ما فتئت تراهن على ما يأتي من المركز، فمن أفكار «التنوير» و«التقدم» و«الليبرالية» و«الماركسية» إلى «البرغماتية» و«الوضعية» و«الوجودية» و«العلمانية»، ومن «التكعيبية» و«السوريالية» و«اللامعقول» إلى «البنيوية» و«الحداثة» و«مابعد الحداثة»، إلى غير ذلك مما ظل قيد التداول وإعادة الإنتاج.

أما المؤسسات التعليمية فهي الأخرى لم تخرج من



دائرة الوهم حين جعلت - ومنذ تأسيسها الحديث - علوم الغرب الإنسانية مرجعيتها العلمية الوحيدة، بل تركتها تفعل فعلها في عقلية المتعلم والمحيط الثقافي العام دون الانتباه أو التنبيه إلى (نسبية) تلك العلوم وما تنطوي عليه من أبعاد «ميتافيزيقية» و«أيديولوجية».

ومن اللافت للنظر أن لايقوى حتى أشد المعارضين للثقافة الغربية على التخلص تماماً من تأثيرها أو آثارها، وهو مانجده في سلوك من لا يتوقف عن توجيه النقد إلى ظاهرة التأثيرات التربوية الغربية، في وقت يدفع بأولاده إلى دخول المدارس الأجنبية، وهي مفارقة تؤكد جدلية التغالب التي تكشف عن أزمة حقيقية في الثقافة وفي شخصية المثقف وما وراءهما من واقع اجتماعي عام.

إذن لاغرابة أن تجد ثقافتنا الراهنة نفسها قلقة وهي تقف أمام ثقافة الغرب الحالية وتواجه طغيان عولمتها، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة التفكير في عملية جراحية كبرى تتم من خلالها المراجعة الشاملة لعناصر الواقع الثقافي والنبش في حفرياته وتحليل ظواهره ومفرداته، وتفكيك خطاب النخبة فيه والوقوف على اتجاهاته، وصولاً إلى بلورة تقوم على التأصيل وإعادة البناء والتجديد.

إن المراجعة النقدية التي تستهدف تفهم الأزمة والعمل على مداواتها، تقتضي بالضرورة التعرض إلى تجلياتها في العقائد والفكر والسلوك والممارسات الاجتماعية والسياسية والإبداعية وأنماط العلاقة مع الآخر. ونحو ذلك مما يندرج تحت المعنى الواسع للثقافة على نحو ما بيناه.

ويمكن التأسيس لمشروع كهذا انطلاقاً من المقاربات التالية:

أولاً: التمييز بين الثوابت والمتغيرات.

ثانياً: تخليص الثقافة الراهنة من نزعاتها المُعطلة وثنائياتها المفتَعلة.

ثالثاً: الموضوعية في التعامل مع الآخر وثقافته.

رابعاً: تقدير الاجتهادات الإبداعية وترجمتها تربوياً وإعلامياً.

خامساً: الدمج العضوي بين العلم والمشروع الثقافي.

سادساً: تحويل الثقافة من جدل النخبة إلى التداول الأهلي العام.

في ضوء ذلك يمكن القول بأن معالجة بنية الثقافة العربية والإسلامية وإعادة بنائها وتجديدها سواء على صعيدها التراثي أو على مستوى وضعها الراهن، وسواء في بعدها المعرفي أو في بعدها السلوكي، إنما يشكل القاعدة الأساسية والجبهة الأكثر حساسية في مواجهة العولمة وطغيان ثقافتها المتمركزة حول الذات. فالثقافة بصفتها الجهاز المركزي في حياة أي مجتمع إذا ما ضعفت أو تناوشتها الأمراض أو أصابها العقم، تعرَّض المجتمع الذي تمثله إلى الاهتزاز وفقدان التوازن، وسهل بالتالي على الثقافات الأخرى المتحركة إمكانية اختراقها.

وفي المقابل فإن شوكة المجتمع ستقوى إذا ما عفيت ثقافته وتميزت بالقوة والنضج والتكامل والقدرة على التجدد، الأمر الذي من شأنه أن يمنح الأفراد والجماعات المناعة اللازمة والقدرة على التمييز بين الثاقفة المثمرة والاختراق الهدام. ■



إدارة: ثقافة

في البدء



يوسف القبلان

لن أتحدث هنا عن الفرق بين التقييم والتقويم، وسوف أفترض أن المصطلح الأول يعني الدراسة والتحليل، وتحديد الإيجابيات، والسلبيات، والمصطلح الثاني هو التعديل وفقاً للنتائج التي ينتهي إليها المصطلح الأول.

فالتقييم هو تمهيد للتقويم، يقدم له المبررات والحيثيات ليقوم باتخاذ الخطوات التطويرية.

لو نظرنا إلى الواقع نجد أن جهودنا في معظمها تنصرف إلى التقييم ثم نتوقف، ونبدأ في عملية تقييم جديدة. نحن نعقد الندوات ونصدر التوصيات، ونجري الدراسات والبحوث، ونعلن النتائج، ونقوم بالاستطلاعات ونحصل على الآراء والمقترحات.

بعد كل ذلك.. ماذا نفعل؟

ما هو مصير تلك التوصيات والنتائج والآراء والمقترحات؟

نريد أن نسمع مرة أنه بناء على توصية ندوة من الندوات صدر قرار تنظيمي جديد، ونريد أن نسمع أن نتائج بحث من البحوث أدت إلى اتخاذ إجراءات عملية ملزمة.

قيادات متناحرة

عندما تتغير القيادات الإدارية للمؤسسات والأجهزة العامة والخاصة نلجأ عادة إلى المقارنة، ونضع القيادي الجديد في زاوية الاتهام بأنه يسعى إلى نقض ما تم بناؤه في السابق.

لا أدري لماذا ننقاد إلى هذا النوع من التفكير والتقييم ونحن نعلم بوجود فوارق فردية بين الناس ووجود أنماط متنوعة في الإدارة، وكذلك وجود سمات شخصية لكل إنسان تحددها صفحات أيامه، وطباع منزله، ومفردات تربيته، وعلاقاته الاجتماعية؟!

ونحن نعلم أيضاً أن لكل مرحلة ظروفها، وما يناسبها من سياسات وأساليب عمل وإجراءات.

إذا كانت الإدارة وسيلة فإن كل إنسان مكلف بمسؤولية معينة سيختار الوسيلة المنافسة التي توصله إلى الهدف.

ومثلما نختلف في اختيار وسيلة النقل، ونختلف في اختيار الكتاب، واختيار المطعم، واختيار مكان التسوق، كذلك نختلف في اختيار أسلوب العمل بل في اختيار المجموعة التي نعمل معها.

إن العبرة هي في المقارنة بين الخطة وما تتضمنه من أهداف وبين المتحقق منها، أما الوسيلة المستخدمة فيتم اختيارها حسب طبيعة الإنسان، وحسب قدراته، وصفاته الشخصية التي لا يشاركه فيها أحد.

ما يحدث أحياناً هو عدم التطابق بين هذا الإنسان بصفاته الشخصية وقدراته، وبين طبيعة العمل الذي يقوم به، ويؤدي ذلك إلى عدم النجاح، ويقال أن هذا الإنسان فشل في عمله.

لقد أصبحنا خبراء في التقييم، نعرف كيف نحلل، وننتقد، ونتعارك على شاشة التلفاز في حوار جدلي نظري، يحول طاقاتنا وعقولنا إلى الحديث عما تم، وكيف تم، ومن هو البطل، أكثر من الحديث عن ماذا سيتم، ومن سيعمل، وكيف سنعمل. فالحديث عن المستقبل لا يحظى إلا بنسبة ضئيلة من اهتمامنا؟

هل أنا أبالغ في ذلك؟

إذن تعالوا معي نستعرض أحاديثنا وأقوالنا وبرامجنا اليومية.

كم عدد الدراسات وأوراق العمل التي قدمت في ندوات سابقة عن موضوعات حيوية ولاتزال حيوية ولم يتم فيها أي تقدم؟

كم عدد البحوث العلمية (رسائل الماجستير والدكتوراه) في مكتباتنا، وما هي نتائجها، وما مصير هذه النتائج؟

كم عدد البرامج الإعلامية الموجهة في الإذاعة والصحافة والتلفاز، وما آثارها؟

كم عدد المقالات النثرية اليومية وكيف تتم الإفادة منها؟

أما أحاديث المجالس، فهي أحاديث يتباهى أبطالها بالمثالية، وهم يمارسون عكس ذلك سواء في ممارساتهم الإدارية أو في علاقاتهم الأسرية مع الزوجات والأبناء، فما أسهل التنظير والنقد وما أصعب التطبيق!

هذا الفرد (الإنسان) عضو المجتمع لا ينظر إلى نفسه في المرآة ولكنه يضع الآخرين في هذا الموقف ويترك لنفسه ممارسة ما يشاء من تصرفات، المهم أنه عندما يجلس مع أصحابه فسوف يتحدث عن كل ما يسمعه من شائعات وأخبار وسوف ينتقد ويتشفى، ويحلل على مزاجه، ولكن آخر شيء يفكر فيه هو أن يعمل على إصلاح أخطائه وتعديل سلوكياته وضبط ممارساته، فهو ينسى أنه أحد أفراد المجتمع الذي يتسلى بالسخرية منه.

هذا الفرد هو أيضاً يمارس التقييم ولكنه يتهرب من التقويم لا تقويم الآخرين ولا تقويم نفسه، ولو قوم نفسه لأمكنه تقويم غيره.

الفرد عضو في فريق المجتمع هو الآخر بحاجة إلى الانتقال من التقييم إلى التقويم.. وإن فعل ذلك أصبحت هذه سمة المجتمع كله. ■

هذه الحالة لو أخضعت للدراسة فقد يتبين لنا أن هذا الإنسان ليس فاشلاً أو عاجزاً، ولكنه في الموقع الخطأ، ولو انتقل إلى موقع آخر يتفق مع طبيعته لحقق النجاح.

الأمثلة على ذلك كثيرة، فالإنسان الذي يميل إلى العمل الفكري المكتبي لا يمكن تكليفه بعمل يتطلب الاتصال المباشر بالجمهور، والإنسان الذي يميل بطبعه إلى العمل الجماعي لا يصلح أن تضعه في غرفة وحده وتقول له «أنت مستشار».

أغنى رجل في العالم (بيل جيتس) سأله المذيع في لقاء تلفزيوني لماذا لا يرشح نفسه لرئاسة أمريكا؟ فقال إنه يجد نفسه في مجال الحاسب الآلي، وإن رئاسة أمريكا موقع وظيفي لا يناسبه، ولا يتفق مع طبيعته.

ختاماً..

ما هي علاقة فكرة المقال الأولى بالفكرة الثانية، أقصد عملية المقارنة ونقد الإداري الجديد في بداية المقال ثم فكرة تطابق طبيعة الإنسان مع طبيعة العمل؟

هذا سؤال، والإجابة متروكة للقارئ كواجب مدرسي؟ ■

ساحة للحوار

(منعطف خطير) و (أزمة تاريخية) و (لابد من توحيد الصفوف):

ترشيد الخطاب

المتأمل في خطابنا العربي يلاحظ أنه خطاب يغلب عليه الطابع النظري لدرجة أننا ننشغل بالمصطلحات، والتعبيرات، والتوثيق، ونسيان الموضوع الأساسي، والأهداف، والمحتوى والحلول، ونظل نردد المصطلح، ونذكره بشكل دوري، وقد نتجادل حول المسمى حتى نتفق على مسمى واحد، ثم نكتفي بذلك، ونستمر سنوياً نردد الخطاب نفسه بالمفردات نفسها التي ترفض التقاعد.

الأمثلة كثيرة جداً، والقاموس اليومي حافل بها، فافتح إحدى صفحاته فقد تجد ما يلي:

- أزمة المياه العربية.
- وحدة الصف العربي.
- الاستيطان.
- حقوق الإنسان.
- واي ريفر.
- قرارات الأمم المتحدة.
- العولمة.
- المرحلة الخطيرة، المنعطف، مفترق الطرق.
- الحقوق العربية.

الخطاب حول هذه الأمور هو خطاب يتمحور حول (رد الفعل) وليس (الفعل) وهذا (الرد) يتمثل في الخطاب البلاغي الإعلامي الذي - مع تكراره - بالنغمة نفسها وبالمفردات نفسها تصبح غير ذات قيمة لدى المتلقي، سواء كان هذا المتلقي مسؤولاً أو مواطناً عادياً.

خطابنا الإعلامي العربي بحاجة إلى ترشيد، لعلنا على الأقل نرشد في استخدام الورق، ويترتب على ذلك توفير وقت يمكن استثماره في أمور أهم.

ولعلنا بترشيد الخطاب، وتطويره نكسب ثقة المتلقي الرسمي أو المواطن العادي.

نريد على الأقل استخدام مصطلحات جديدة، لأن القارئ والمستمع والمشاهد، مل من مفردات (البيان المشترك) والتفاهم حول الأمور التي تهم البلدين، وأن الأمة تمر بمنعطف خطير وبأزمة تاريخية، وأنه لا بد من توحيد الصفوف.

إن ترشيد الخطاب الإعلامي العربي سيؤدي إلى نقلة في اتجاه الفكر، من التعلق بذكريات الماضي ومآسيه بدرجة مبالغ فيها إلى الانطلاق نحو آفاق المستقبل بطريقة عملية.

نحن بحاجة إلى خطاب عملي تتكون مفرداته من التخطيط، التنظيم، اتخاذ القرارات، التنسيق، المتابعة، البحوث العلمية، التطبيقات، التجارب العلمية، التقويم، الاتصالات، التقنية، التطوير، وغير ذلك من المفردات التي تنقلنا من ساحة التنظير والجدل، إلى ساحة العمل المستند إلى برامج علمية تقدمها الجامعات والمعاهد المتخصصة في شتى حقول المعرفة. ■

كيف تكتب بشكل أفضل وأسرع

● اقرأ أمثلة على ما تريد كتابته من تقارير أو مذكرات.

● لا تنتظر حتى تتجمع كل أفكارك، وكن مرناً. الكتّاب المحترفون في معظم الأحيان يطرحون أفكاراً جدية أثناء الكتابة.

● قلّل من التوقف، حاول الاستمرار في الكتابة حتى لو ظهرت بعض الأخطاء، فالمسودة يمكن الرجوع إليها وتعديلها فيما بعد.

● القارئ مشغول.. حاول التركيز على النقاط المهمة، وإبراز ما تريد أن تقوله بوضوح منذ البداية.

● لا تكتب عن شيء لا تفهمه، حضر نفسك جيداً حتى تتمكن من الكتابة والشرح والتبرير.

● تجنب استخدام كلمتين تؤديان الغرض نفسه.

● كن واضحاً ومحدداً فعندما تخاطب موظفيك كتابة، بمذكرات مختصرة مثل «أعد كتابة التقرير» فلن تفيد هذه الملاحظة شيئاً. ■



تقييم الذات

إذا أردت أن تقيم نفسك بنفسك فحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي الأعمال التي تستمتع بأدائها؟
- كيف تصف نفسك بثلاث صفات؟
- هل تفضل إعداد خطة أم تنفيذها؟
- ما هي المواقف التي تنجح فيها ولماذا؟
- ماذا ستغير في خططك وأفكارك لتطوير القطاع الذي تشرف عليه؟
- ما هي نقاط الضعف التي ترغب في التغلب عليها؟
- ما هو النقد الذي يوجه لك عادة؟
- هل تتفق مع هذا النقد أم لا؟ ولماذا؟
- أين ترى نفسك بعد خمس سنوات من الآن؟
- هل حصلت على تدريب وكيف أفدت منه؟
- وكيف ستحقق ذلك؟
- ما هي صفات القائد الذي ترتاح للعمل معه؟

هذه الأسئلة وغيرها قد تساعدك على تحديد موقعك في خريطة الأداء الإداري ولن نقيس إجابتك بالدرجات أو بنسبة معينة، بل نترك لك تقييم إجابتك مع الحرص على أن تكون إجابة صادقة.

ويمكنك مقارنة ما تتوصل إليه مع نتائج تقويم رئيسك لك فهذه المقارنة تساعد على التوصل إلى رأي قريب من الموضوعية والصدق.

كثير منا ينسى في زحمة العمل وكثرة المسؤوليات والمواعيد والاجتماعات أنه بحاجة إلى وقفة للتقييم لتحديد الحاجة إلى التطوير ومتطلبات المستقبل، وقد يعمل مع زملائه على تقييم الجهاز الذي يعمل فيه ولكنه لا يسلط هذا التقييم على أدائه وسيرته وخبراته وإنجازاته وطموحاته.

يرجع ذلك عادة إلى مشكلة الوقت الذي يسيطر علينا ويتحكم فينا، وإلى عدم قدرتنا على توزيعه بشكل صحيح وفقاً لأولويات محددة، فتجد أن نسبة كبيرة من الوقت تصرف على أعمال ورقية يمكن تفويض البت فيها إلى شخص آخر، كما يضيع وقت آخر في الاجتماعات المفتوحة غير المحددة بوقت أو بجدول عمل والتي قد يغلب عليها الجدل الذي لا يؤدي في نهاية الاجتماع إلى نتيجة واضحة.

نعود إلى الأسئلة المطروحة، فقد تكتشف وأنت تجيب عنها أنك تعمل في المكان غير المناسب، وأن قدراتك تتفق مع متطلبات عمل آخر. وقد تكتشف أنك لم تطور نفسك خلال مدة طويلة بأية وسيلة من الوسائل، وأنك أصبحت أسيراً للعمل اليومي الروتيني على حساب العمل المستقبلي لنفسك وللجهاز الذي تعمل فيه أو تقوده.

وإذا كنت تعرف نقاط ضعفك ولم تحاول التغلب عليها فهذه مشكلة، وإذا كنت لا تعرفها فهذه مشكلة كبرى وفي هذه الحالة فأنت بحاجة إلى برنامج تدريبي يساعدك في الكشف عن هذه النقاط. ■



المتفرجون



من البديهيات أن من يعمل يقع في الخطأ، لأنه بشر، أما الذي لا يعمل فهو يبتعد عن الخطأ ولكنه يقع في خطأ آخر وهو عدم العمل!

انظر حولك، قد تجد أكثر الناقدين الباحثين عن السلبيات هم الذين يجدون الوقت لذلك، أما الذين يعملون وينشغلون بالمسؤوليات، وبلقمة العيش فوقتهم ينصرف إلى العمل وليس إلى الحديث والنقد والتنظير!

أنت تقع في الخطأ وتلام لأنك تعمل وغيرك يبتعد عن الخطأ فيتفرغ للنقد وتوجيه اللوم!

أنت تخلص، وتبدع، وتقتل نفسك بالحماس، وتعطي كل ما لديك، وبالتالي لابد أن تقع في إحدى خطواتك في خطأ يتلقفه المتفرجون فتكون فرصتهم لتوجيه السهام.

ليس هذا فحسب، بل إن (المتفرجين) أو قل بعضهم لا يكلفون أنفسهم البحث عن الإيجابيات بل يبادرون إلى التنقيب، واستخدام المجهر، علهم يقعون على خطأ يفرحون به.

وهو خطأ يكون كذلك من وجهة نظرهم فقط.

قد تكون في ندوة علمية يتداول فيها المختصون الحوار ويتبادلون الرأي في مناظرة ممتعة مفيدة، وعميقة، ثم يظهر فجأة من بين الصفوف من يقول:

لماذا تم اختيار هذه القاعة غير الجيدة لهذه الندوة؟!

وقد تكون في محاضرة قيمة تستمع فيها إلى موضوع شيق وجديد يطرح للمرة الأولى للنقاش المفتوح ومقاعد القاعة كلها مشغولة بالمهتمين المنصتين الراغبين في الاستفادة من هذه المحاضرة وعندما يبدأ الحوار وطرح الأسئلة يسأل أحد الحاضرين:

لماذا لم يتم دعوة فلان، وفلان، لحضور هذه المحاضرة، كيف يفشل المنظمون في تنظيم هذه المحاضرة، من المسؤول عن ذلك؟

وقد تقدم عملاً متميزاً لرئيسك بذلت فيه جهوداً مضاعفة، وسهرت عليه الليالي وأعطيته من وقتك الكثير على حساب ارتباطات أخرى، ثم تفاجأ بزميل عمل تصادف أنه عند الرئيس وقت تقديمك لهذا العمل، وإذا به بكل برود يقول:

يا أخي الغلاف هذا غير مناسب، ثم لماذا اختيار هذا اللون بالذات؟!

وهناك من يختصر ملحوظاته بشكل يصيبك بالإحباط فيقول (هذا العمل فاشل تماماً).

إنه هنا لا يترك لك مجالاً للحوار، ولا يحدد لك ما هي جوانب الفشل، وما هي النقاط الجيدة، والنقاط السلبية، فقد حكم بشكل قاطع وعام على العمل بكافة عناصره بأنه فاشل، فماذا أنت فاعل تجاه هذا الرأي القاطع؟!

تقوم لجنة مكلفة بالإعداد لندوة أو احتفال بالعمل المتواصل وتعقد الاجتماعات المتوالية وتعد العدة لكل شيء، ويبدأ العمل ويسير بصورة جيدة حسب الخطة ولكن أحد الحاضرين يتجاهل كل الإيجابيات ويتساءل:

لماذا لم توزع المقاعد حسب المراكز الوظيفية؟

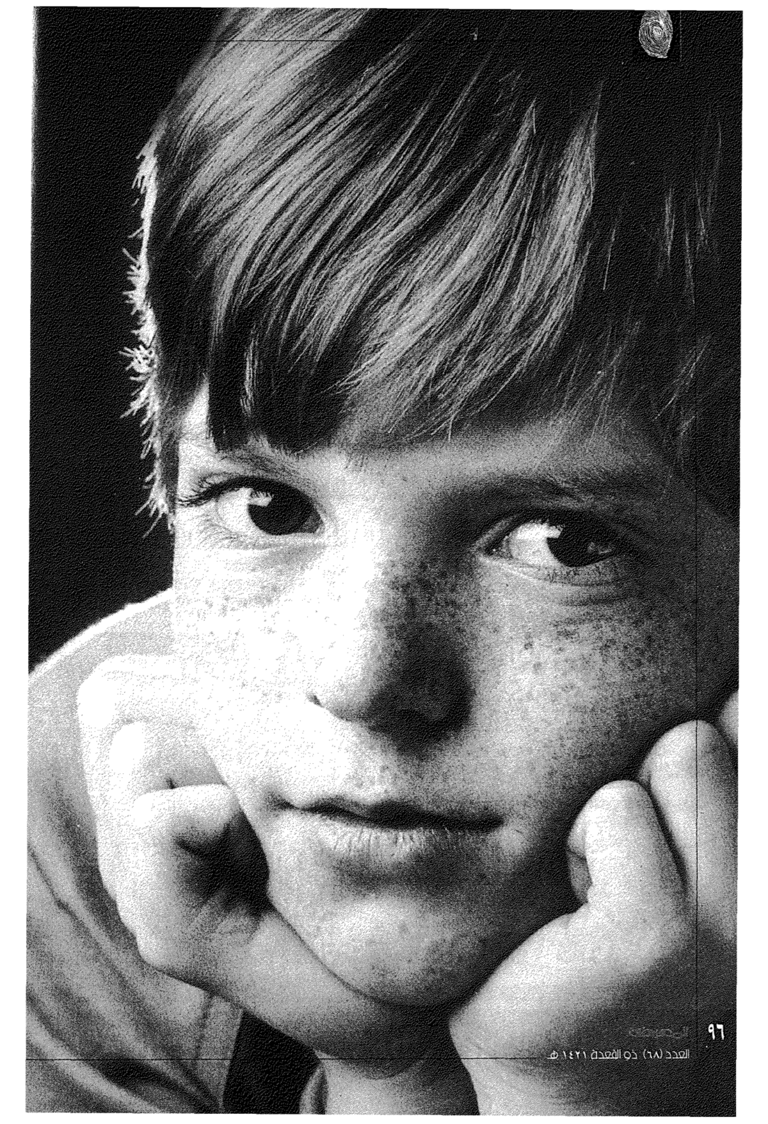
أمور كثيرة من هذا النوع، ولكن الذين يعملون بثقة وبإرادة، ويسعون إلى النجاح بكل ما لديهم من طاقات لا يلتفتون إلى هذا النوع من الملحوظات أو النقد ولو فعلوا لتوقفت مشاريع كثيرة، وتعطلت أفكار رائدة، وانتهت كثير من المبادرات إلى التوقف عند سرير ولادتها. ■



زجول
ZAJOUL
زجول

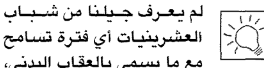


وطني



الطلاب البريطانيون لمعلميهم:

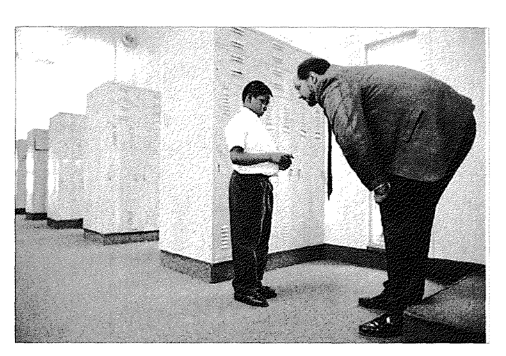
نحن لا نشبه الخراف التي تساق بالعصا!



لم يعرف جيلنا من شباب العشرينيات أي فترة تسامح مع ما يسمى بالعقاب البدني، لذلك يصعب علينا تفهم شعور بعض المدرسين بالعجز لانحسار دور العصا في التربية ، بل واندثاره، ويعترف معظم المعلمين أيضاً بسلامة وصحة تشريع عام ١٩٨٧،والقاضي بحماية حقوق الأطفال في الفصل المدرسي. فمن خلال تجربتنا، هناك قلة قليلة للغاية مازالت تفضل قرص الأذن أو الضرب على الأصابع.

وقد تحدثت مجموعة من الشباب والمراهقين مع عدد من الطلاب حول قضية العقاب المدرسي، وعبر معظمهم عن أن القضية ليست كيف يمكن إجبار الأطفال على التصرف بشكل جيد، وإنما الأهم كيف نشجع المعلمين على معاملة طلابهم على نحو أفضل، فالطالبة هولي، البالغة من العمر ١٥ عاماً، ترفض فكرة العقاب البدني، وتقول: «من الخطأ ضرب الأطفال، فبمقدورك أن تصيح فيهم، أو تؤخر خروجهم، ولكن لا ينبغي ضربهم مطلقاً. فمعظم الطلاب يحترمون مدرسيهم، ولكن إذا كان المدرس صفيقاً مع الطلاب، فسيتصرف التلاميذ معه على نحو وقح وصفيق أيضاً».

المصدر: صحيفة الغارديان البريطانية
١٢ سبتمبر ٢٠٠٠
الكاتب : مجموعة من الطلاب
ترجمة وتحرير: المعرفة



ويتفق الطالب كونور، البالغ من العمر ١٠ أعوام والمقيد بإحدى المدارس الابتدائية مع الطالبة هولي في رأيها حيث يقول: «كلما كبرنا نصبح أكثر جموحاً وعناداً، وأقل تشابها بالخراف التي تساق بالعصاء».

ويرى خبراء التربية أنه مع وصول الطلاب لسن المراهقة، يبدأون في التصرف على نحو سيء مع المعلم الذي يحاول السيطرة عليهم. ويقول الطالب ريان، البالغ من العمر ١٧ عاماً: «كلما كبر الفتيان وأصبحوا بالغين، سيسعون إلى تنحية المعلم جانباً وسيحاولون الاستقلال، فإذا ما حاول المعلم أن يسلبهم هذه الاستقلالية بشكل أو بآخر، فستحدث مشكلة آنذاك خصوصاً إذا كانت هناك مشكلات في المنزل، ويلجأ الشباب أحياناً إلى أقصى الحدود أو التطرف في تصرفاتهم، ربما الإثارة ومراقبة رد فعل المعلم على ذلك. ويعتمد كل هذا في المقام الأول على خلفية الطفل، ونعني بها جذوره، وبيئته، وثقافته، وتجاربه، والأشياء المفسرة لتصرفاته. ويذكر أن الطفل إذا أدرك أن والديه لن يفعلا أي شيء فسيواصل جموحه.

ويعتقد الطالب ريان أن الطلاب الذين يضعون أنفسهم باستمرار في ورطة، يحتاجون للنصح وليس لمزيد من العقاب، وعلى أولياء الأمور والمدارس أن يعملا معاً حينما يصبح سلوك الطفل موضع تساؤل.

وطبقاً لما ذكره بعض الفتيان، الذين تم استطلاع آرائهم، فإن العقاب البدني مازال يستخدم أحياناً في الفصول، ويحجم الأطفال عن التحدث عن قذفهم

- **إذا أساء المعلم الأدب مع طلابه فلا يلومنّ إلا نفسه!**
- **كلما كبر الفتيان سيعملون على تنحية المعلم جانباً.**
- **الطلاب بحاجة للنصح وإلى الاستماع لهم وليس للعقاب.**
- **القضية كلها قضية احترام متبادل.**

بمسّاحة السبورة أو بلي ذراعهم لياً خفيفاً، حيث لا يعتبرون أياً من هذه التصرفات مصدر تهديد يثير القلق، وإنما هي دلالة ببساطة على أن المعلم فقد هدوءه.

ويرى الطالب، البالغ من العمر ١٧ عاماً،أن القضية كلها قضية احترام متبادل، فالمعلمون الهادئون جداً والذين يتحدثون حديثاً منطقياً ومعقولاً هم الأفضل، ويحظى هؤلاء المعلمون بمزيد من الاحترام، لأن بمقدور الطالب أن يتحدث معهم ويحكي لهم كما لو كانوا أصدقاء على قدم وساق.

إن الرسالة التي سجلها الفتيان والفتيات على السبورة هي أنهم في حاجة إلى قدر من الاحترام، وإلى الاهتمام بالاستماع إلى وجهات نظرهم. ■

ننقلك إلى هناك براحة وأمان

حينما يتعلق الأمر بأداء المناسك وزيارة الأماكن المقدسة، فإن ذلك يتطلب اختيار ناقل ذو خبرة طويلة بخدمات النقل أثناء مواسم الحج والعمرة تمتد لأكثر من عشرين عاماً.

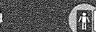
وحينما يتعلق الأمر بالسفر فلا بد من اختيار الوسيلة المريحة والآمنة.

الشركة السعودية للنقل الجماعي ... الناقل البري الأول.

النقل الجماعي  SAPTCO

لمزيد من المعلومات اتصل مجاناً على الرقم ٨٠٠ - ١٢٤ ٩٩٩٩











رئيس التحرير

لنبكِ كلنا مثل النساء !

(١)

دوماً نقرأ تاريخ الأندلس فنشعر بالنشوة والزهو والاعتزاز. حتى الذين لم يقرأوا الأندلس ولم يطلعوا على مناط الزهو والاعتزاز هم يشعرون بالنشوة نفسها إذا سمعوا صوت «الأندلس» في آذانهم، لأن الأندلس ارتبطت لديهم بالنجاح والتقدم وقيادة الكون.

ولذا فلا غرابة أن تجد في سائر البلدان العربية حتى الآن اسم «الأندلس» يصطفي أفخر المنتجعات وقاعات الاحتفال والمطاعم والمنتوجات الفاخرة !

(٢)

لكن هذا التاريخ الأبيض يكدّر صفوه علينا دوماً نقطة سوداء. أعلم أن المتخصصين في تاريخ الأندلس يعرفون فيه نقطاً سوداء كثيرة، تكاد تعكّر صفو ذلك التاريخ الأبيض لديهم. لكن عامة الناس لا تستحضر من تاريخ الأندلس نقطة سوداء سوى حكاية أبي عبدالله الصغير ليلة سقوط غرناطة والعبارة الشهيرة التي قالتها أمه حين بكى وهو على وشك الخروج مطروداً من غرناطة: «ابكِ مثل النساء مُلكاً لم تحافظ عليه مثل الرجال» !

مازال الناس يتلمّظون بهذه العبارة حَزَناً على الأندلس وشماتة بأبي عبدالله الصغير الذي خلّدت أمه اسمه في بيت التاريخ.. لكنها مرّغته في ترابه !

(٣)

السؤال الآن: هل مازال أبو عبدالله الصغير هو الوحيد الذي ينبغي عليه أن يبكي مثل النساء مُلكاً لم يحافظ عليه مثل الرجال، أم أن هناك قائمة طويلة الآن مكتظة بأسماء الواقفين في طابور البكاء النسائي على مواقف رجولية منقرضة؟

هل فجيعتنا في فلسطين والقدس والمسجد الأقصى أهون من فجيعتنا في الأندلس؟

هل أبو عبدالله الصغير الذي يعيش بيننا الآن قد حافظ على فلسطين وممتلكاتها وأراضيها ومقدساتها وشموخها مثلما يحافظ الرجال ؟

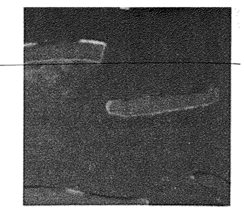
هل من العدل الآن، أن نقول: ابكِ مثل النساء، ونحن نرى نساء يبزّونه شجاعة وغيرة وفداء للقدس؟!

الذي أخشاه الآن، أننا قد استبدلنا البكاء ضحكاً.. والرجال نساء.. والممتلكات هبات.. والمحافظة مهاترة !

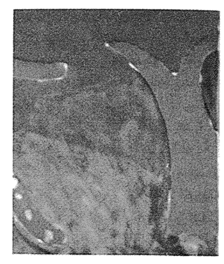
* ألا من «أمّ» الآن تقول لكل واحد من هؤلاء :

ابكِ مثل النساء «قدساً» لم تحافظ عليه مثل الرجال؟! ■

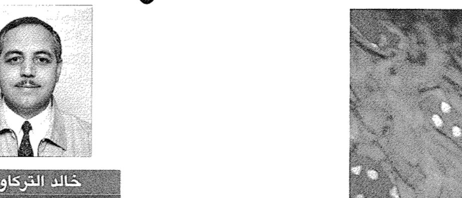




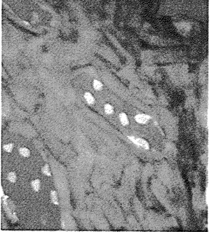
تغيير الصورة السائدة عن المرض أولى خطوات العلاج:



الصرع .. حينما «يتكهرب» الدماغ

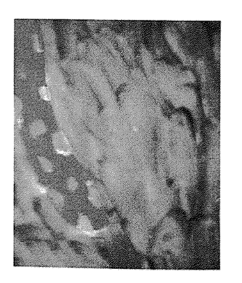


خالد التركاوي *
الرياض

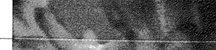


ارتبط اسم الصرع منذ القديم بكثير من سوء الفهم، ونسجت حوله ألوان من القصص المرعبة وعانى أصحابه الأمرَّين، فكانوا في نظر الناس، إما شراً يجب محاربته، وإما عيباً يستحسن إخفاؤه. أما عن علاجه فحدث ولا حرج، لقد كان خليطاً عجيباً من القسوة والجهل، وكم وسم المصاب به بالتخلف أو بالجنون، فعاش محروماً مما يتمتع به معظم الناس.

ويعتبر الدماغ بمنزلة جهاز التحكم المركزي بوظائف الجسد المختلفة، وهو يتكون من ملايين الخلايا العصبية المتخصصة والتي تكون فيما بينها شبكة هائلة من الدارات الكهربائية تفوق في تعقيدها أعظم الحواسيب العملاقة.



* استشاري طب الأطفال - مستشفى الحمادي .



وتستخدم هذه الخلايا في اتصالاتها ما يعرف بالنواقل العصبية (وهي مواد كيميائية كالأدرينالين والأستيل كولين تفرز من الخلية المرسلة لتحدث أثراً محدداً في الخلية المستقبلة) ويكون الفعل الناجم عن تأثير الناقل العصبي في الخلية إما تحريضاً وإما تثبيطاً، وبناء على مجموع الرسائل المحرضة والمثبطة التي تستقبلها خلية دماغية في لحظة ما يتحدد رد فعلها وينجم عملها المطلوب، وإذا ما اختل هذا التوازن الدقيق بين التحريض والتثبيط اضطرب عمل الخلية المعنية وأرسلت رسائل خاطئة إلى آلاف الخلايا الأخرى فأصبحت جميعاً في حالة من اختلال التوازن واختفى ذلك النظام الجميل ونتجت النوبة الصرعية.

ومع أن أول ما يرد إلى الذهن تلك الصورة النمطية من التشنج المفاجئ وغياب الوعي لكن الصرع أكثر من هذا. فقد تشمل نُوَبُهُ وظائف بدنية متنوعة وتتظاهر بمظاهر شتى من اختلاج في العضلات إلى غياب في الوعي إلى سلوك غير مرغوب أو إحساس غريب أوخليط من هذا كله، وغالباً ما تترافق هذه النوب عند حدوثها بتغيرات في فعالية الدماغ الكهربائية يمكن لها أن تسجل بوضوح بوساطة تخطيط الدماغ الكهربائي.

انتشاره وتصنيفه

ينتشر مرض الصرع في كل بقاع المعمورة دون اعتبار للحدود الجغرافية أو ارتباط بمستوى الدخل أو الثقافة، فمعدل حدوثه في مدينة مومباي (بومباي سابقاً) الهندية مثلاً يبلغ ٣,٦ بالألف، بينما يبلغ ٦ بالألف في مدينة روشستر بولاية مينوسوتا الأمريكية، وتشير التقديرات المحافظة إلى أن معدل حدوثه في معظم بقاع العالم يتراوح بين ٨ إلى٨ بالألف.

من الصرع ما كان ناجماً عن آفة عضوية في الدماغ يمكن تحديدها بدقة كالأورام والجلطة وتشوهات الأوعية الدموية وغيرها، وهذا النوع هو ما اصطلح على تسميته بالصرع الثانوي، ومنه ما هو مجهول السبب ويتعذر ربطه بأية آفة ظاهرة في الجهاز العصبي لذا دعي بالصرع الأولي.

وقد صنف حسب التصنيف العالمي للنوب الصرعية إلى صرع جزئي، تتوضع آفاته في بؤرة معينة في الدماغ وتتظاهر أعراضه في جزء محدد في البدن، وإلى صرع شامل أو متعمم وفيه ينتشر الاضطراب الكهربائي في الدماغ كله ويتظاهر في البدن بكامله، وينضوي تحت كل من هذين الصنفين أنواع الصرع المختلفة عدا حالات قليلة لم يتم تصنيفها بعد، كاختلاجات حديثي الولادة والاختلاجات المصاحبة للحرارة عند الأطفال.

التشخيص والمعالجة

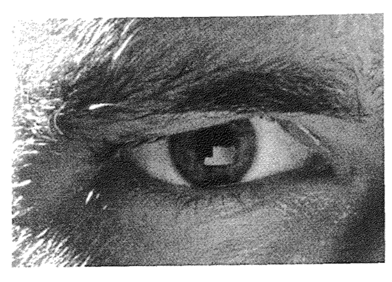
للوصول إلى تشخيص صحيح لابد من الحصول على وصف دقيق للنوب الصرعية وملابساتها لتفريقها عن بعض ما قد يشابهها كالإغماء ونوب حبس النفس، وحالات الذعر المرضي. كما ينبغي معرفة الأمراض الأخرى التي يعانيها المريض (سوابقه المرضية كما تسمى) أو أمراض ذوويه (القصة المرضية للعائلة)، ففيها يكمن الكثير من المعلومات التي توجه نحو التشخيص السليم، ثم نتلوها ببحوث استقصائية أهمها تخطيط الدماغ الكهربائي EEG. وقد نحتاج إلى فحوص السائل الشوكي (السائل المحيط بالدماغ) أو تصوير الدماغ بالرنين (الطنين) المغناطيسي MRI أو غيره حسب مقتضى الحال.

أما العلاج فيعتمد على كون الصرع أولياً أو ثانوياً، حيث يتجه إلى علاج السبب في النوع الثانوي ثم يأتي دور الأدوية المناسبة لكبح جماح النوب، أما في النوع



الأولي فلا يوجد سبب معروف ليتم علاجه ومن ثم فإن الأدوية المضادة للنوب الصرعية تصبح حجر الأساس في خطتنا لمساعدة المريض.

وينبغي أن يكون هدف المعالجة واضحاً لدى المريض وأهله، ألا وهو جعل حياة المريض أقرب ما تكون إلى الطبيعية، ويكون ذلك بمنع النوب من الحدوث كلياً أو الإقلال منها إلى أقصى حد ممكن مع تجنب الآثار الجانبية للأدوية المستعملة، فالشفاء الكامل من الصرع قد يحصل عند مريض ما لكن لا يوجد دليل على أن دواء ما قد أسهم في ذلك، وقد يدوم المرض مدى الحياة فتكون الأدوية عندها ضرورية للتخفيف من وطأته على حياة المصاب.



وقبل أن تُستخدم أي من هذه الأدوية ينبغي أن نحدد نوع الصرع بدقة ليتيسر لنا وصف أفضلها تأثيراً على ذلك النوع، كما ينبغي التنبيه إلى أنها جميعاً تمتلك آثاراً جانبية غير مستحبة وقد يكون بعض هذه الآثار على درجة من الخطورة تستلزم إيقاف تناول الدواء واستبداله بآخر، المشكلة أنه لا يمكن التنبؤ مسبقاً أي المرضى سيعاني هذه الآثار الجانبية، لذا وجب الحذر والمتابعة وإجراء التحاليل المخبرية لاكتشاف الضرر المحتمل قبل استفحاله.

قصة الأدوية

قبل أن يسارع البعض فيدعو إلى إلقاء أدوية الصرع جميعاً في البحر لتخليص الإنسانية من شرها، يجدر بنا أن نتأمل قصة تطورها فهي دليل على ما للجهد الإنساني المنظم من دور في محاربة المرض وقهره؛ فقد استخدم المتطببون قديماً العديد من الأعشاب والتراكيب والسموم التي لا تخطر على بال، دام ذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر حينما اكتشف تأثير مادة البروم «BROMIDE» المضاد للنوب الصرعية فكان بحق أول الأدوية الحديثة وظل متربعاً على عرش أدوية الصرع أكثر من ستين عاماً رغم كل عيوبه، ثم تلاه عقار الفينوباربيتال الذي تصدر القائمة زهاء ربع قرن من الزمان حتى تم تطوير نموذج حيواني لمرض الصرع استعمل مخبرياً لتجريب الأدوية عليه قبل أن يسمح باستخدامها من قبل المرضى.. عندها أجرت معاهد الصحة الأمريكية NIH بالتعاون مع عدد من مراكز الأبحاث مسحاً لأكثر من ٢١,٠٠٠ مركب لاختيار صلاحيتها كعقاقير محتملة لعلاج الصرع تم في النهاية اختيار ثمانية عشرمركباً لتدخل نطاق الاختبارات الأولية على المرضى ثم طرح بعضها لاحقاً للاستخدام البشري بعد ثبوت فعاليتها وأمانها وإن لم تخل بالطبع من الآثار الجانبية التي أشرنا إليها سابقاً، ويبدو جلياً أننا سنضطر إلى العيش على مضض مع أدوية لا نحبها كثيراً حتى يأذن الله باكتشاف ذلك العقار المثالي الخالي من العيوب.

الجراحة والحمية

ولا يكتمل الحديث على العلاج دون تبيان دور الجراحة أو الحمية، فبعيد الحرب العالمية الأولى ظهر اهتمام بمعالجة الصرع جراحياً خصوصاً في الحالات التي نجمت عن نُدَب، في نسيج الدماغ وما حوله، ولم تتحسن حظوظ الجراحة إلا في العقد الأخير إثر التحسن الذي طرأ على التقنيات ووسائط التشخيص مما زاد من فرص نجاح المداخلات الجراحية. يجدر بالذكر أن الجراحة لا تصلح لكل مرضى الصرع، وهي تعتمد على إزالة ذلك الجزء من الدماغ الحاوي على البؤرة الصرعية. وقد سجل شفاء كامل في ٧٥٪ من الحالات المعالجة بنجاح، أما التي لم تشف بشكل كامل فقد تحسنت بشكل ملحوظ وذلك في نسبة وصلت إلى ٩٠٪ من الحالات المعالجة.

أما الحمية فقد طورت في عشرينيات هذا القرن بعد أن لوحظ تحسن حالة بعض المصابين بالصرع عند الصيام، وتعتمد هذه الحمية في مفعولها على إحداث تغيرات في الاستقلاب شبيهة بما يحدث لدى الصائم من ارتفاع في نسبة المواد الكيتونية في دمه، ورغم النتائج الأولية المشجعة إلا أن صعوبة تطبيقها وظهور أدوية فعالة قد قلل من شعبية هذه الحمية خلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات ثم عادت للظهور بقوة مؤخراً لازدياد الرغبة لدى البعض بتجنب المعالجة الدوائية أو لفشل الأدوية تماماً في بعض

الحالات. وغني عن القول أن هذه الحمية يجب أن تكون صارمة ومتناسبة مع عمر المريض ووزنه، وأن تتبع بدقة حتى تحدث أثرها المطلوب.

الصرع والحياة اليومية

يتمتع معظم مرضى الصرع بصحة جيدة وذكاء ضمن الحدود الطبيعية، وفيما خلا النوب التي قد تحدث على فترات تطول أو تقصر تكون حياتهم عادية، وباستطاعتهم أن يشاركوا (لا بل أن ينافسوا) في مجالات شتى، كل ما في الأمر أن طبيعة النوب المفاجئة لا تسمح باستخدامهم في بعض الوظائف إلا بشروط، إذ يجب ألا يتولوا قيادة السيارات العامة، وأن يتجنبوا العمل في الأبراج العالية مالم يتم تزويد العامل بحزام أمان، وألا يباشروا العمل على بعض الآلات مالم تكن الآلة مزودة بكوابح تعمل تلقائياً عند فقد العامل وعيه. كما أن بعض النوب تجعل العمل في بعض المواقع والمجالات (علاقات عامة مثلاً) أمراً غير وارد.



وفي مجال التحصيل العلمي والدراسي يبدو أن معظم التقارير التي اتهمت الصرع بأنه سبب للتخلف والفشل كانت غير دقيقة، ويعود ذلك الضعف الذهني المشاهد غالباً إلى الآثار الجانبية للأدوية وبخاصة الفينوباربيتال.

أما في عالم الرياضة فلا يوجد أي دليل على أن الجهد الشديد يؤدي إلى إحداث النوب الصرعية، بل إن تجنب المشاركة بالفعاليات الرياضية خصوصاً في سن الطفولة قد يحرم الطفل من اكتساب خبرات معينة هو في أمس الحاجة إليها. لكنه ينصح بتجنب رياضات معينة كغوص الأعماق، وتسلق المنحدرات، والسباحة دون وجود منقذ متخصص في الجوار.

وماذا عن الأمومة؟

من حق كل امرأة أن تكون أماً في يوم ما. ومريضة الصرع ليست استثناء شرط تلقيها العلاج المناسب قبل الحمل وأثناءه وبعده، ورغم الزيادة البسيطة في نسبة الإجهاض أو التشوهات الخلقية في أجنة أمهات تناولن أدوية الصرع في أثناء الحمل إلا أن الخطر الأكبر هو أن يترك المرض دون علاج، وأما ما ينصح به البعض في تجنب الرضاعة الطبيعية أثناء تناول أدوية الصرع فهي نصيحة تحتاج إلى مراجعة: إذ إن كمية الدواء التي يتعرض لها الطفل عبر الرضاعة هي أقل بكثير من كميته التي تعرض لها في أثناء الحمل وليس من المنطقي إيقاف الرضاعة الطبيعية مع ما فيها من فوائد جمة خوفاً من ضرر غير محتم.

كلمة أخيرة:

لا تقتصر المعالجة الناجحة لمرض الصرع على إيقاف النوب بل تتعداه إلى إعادة تأهيل المريض من خلال مساعدته على استرداد ثقته بنفسه والتخلص من خوفه والعودة إلى المشاركة الفعالة في محيطه. وليتحقق هذا لابد من أن نعمل على تغيير الصورة السلبية السائدة عن المرض في ذهن المريض أولاً ثم أسرته ومجتمعه، فبدون هذا التغيير يظل النجاح جزئياً. وغني عن القول أن الفائدة المرجوة من عملية إعادة التأهيل لا تصيب فرداً واحداً فحسب بل تمتد إلى مجمل النسيج الاجتماعي على المدى البعيد، كما أن المنفعة الاقتصادية الناجمة عن عودة المريض إلى مزاولة حياته الطبيعية المنتجة لا يمكن تجاهلها. لهذا كله يتعين أن تنضم فعاليات عديدة في المجتمع إلى المؤسسات الصحية للعمل من خلال رؤية واضحة ومتوازنة لتحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح ضمن الإمكانات المتاحة. ■



صوفيا

قصة قصيرة

محمد يحيى عطيف
جيزان

ما حدث «لصوفيا» جعلني أفكر كثيراً في حياتي، ليس هذا فقط بل إنني قررت تغيير الكثير مما اعتدته رغم إدراكي لصعوبة الأمر.

كانت «صوفيا» محبوبة من الجميع فهي لم تبخل على أحد يوماً، «صوفيا» التي اعتدنا أن نراها دائماً في أحسن حال وأبهى صورة. كنا جميعاً نشعر أن «صوفيا» تمثل جزءاً من حياتنا، وفرداً من أفراد أسرتنا، نفتقدها ونحنّ إليها متى ما غبنا عنها، ولا ننفك نذكرها ويذكرنا بها الكثير مما نراه في طريقنا إن كنا مسافرين مثلاً.

أذكر أنني منذ رأيت «صوفيا» لأول مرة ووعيتها كان ذلك مذ كان عمري خمس سنوات، واليوم لدي ثلاثون عاماً و«صوفيا» مازالت تشعرني بالحب، وتمنحني الدفء، وتجسد رمز الوفاء والعطاء في حياتي.

لطالما جلست إليها وحيداً أكسر العيدان اليابسة، وأخطّ في الأرض وأنا أتحدث إليها بكل مافي قلبي، ورغم أنها لم ترد على حديثي يوماً ما إلا أنني كنت أشعر دائماً أنها تواسيني وتمنحني الصبر والحكمة والشموخ.

وعندما مرضت «صوفيا» فرضت على الجميع الحزن، وأوجبت عليهم - مما لها في قلوبهم - التألم لما أصابها. لم نفكر أبداً أن نقف مكتوفي الأيدي ونحن نشاهدها تسقط أمام المرض القاسي، صعب عليّ كثيراً أن يتهاوى شموخها، وتنهار عزتها بعد كل ما منحتنا ودون مقابل.

وعندما أحضرنا الطبيب تأمل جسدها البديع، الشامخ، ولم يتمالك نفسه من التأثر لما أصابها.. أوصانا بالكثير ولم نقصّر في ذلك، وأذكر أنني يومها سافرت لأكثر من مائتي كيلو متر لأحضر لها الدواء، وعندما عدت بدا لي وأنا أراها من بعيد أنها تبتسم لي شاكرة، وشموخها الذي أحبه لم يتعاف بعد.

تدهور وضع صوفيا الصحي رغم ذلك، وحرنا في أمرها!! في ليلة من الليالي المقمرة جئتها وجلست إليها وبقيت أتأملها وهي كعادتها ساكنة وادعة، ولكني شعرت بالوحشة لأول مرة في حياتي معها.. وجدت نفسي أغوص



في الذكرى، فقد تذكرت أن في جسدها البديع نقشت يوماً كلمة «أحبك!».. كان ذلك منذ سبع عشرة سنة.. تحسست المكان فلم ترتجف، ولم تستح من لمسي لها!! بل بدا لي أنها اطمأنت بذلك. شعرت أنني على وشك البكاء.. وفيما أنا كذلك أحسست بخطوات خلفي، ولكن رعبي زال بنفس السرعة التي جاء بها، داعبت شعر طفلي الصغير «أسامة» وأنا استمع إليه يهتف: «أبي هل صحيح أن صوفيا ستموت؟!»، لم أكن بحاجة لسؤال أسامة لأتألم أكثر.. نظرت إليها ووجدت نفسي أهتف: لن تموتي يا صوفيا، أشعر بذلك في أعماقي.. يارب».

في الليالي التي تلت ذلك تهاوت صوفيا أكثر حتى عبث بنا اليأس ولم يعد لدينا شك في رحيلها.. كان الأطفال أكثر المتجمعين حولها.. أحياناً كنت أمر وهم جلوس حولها.. تماماً كمأتم ملكي.. كانت على مايبدو تحتضر.. لا أنكر أنني لم استطع الجلوس إليها وهي بتلك الحالة.. وكان عليّ في اليوم التالي أن أسافر لبعض شأني، وبعد أسبوعين عدت ومن نفس المكان الذي رأيتها منه من بعيد بدا لي أنها لم تعد موجودة، غير أنني عندما حدقت جيداً كان ثمة شجرة «منجا» زاهية الخضرة، مفعمة بالحياة..

اقتربت أكثر ولمحت على غصنها الكهل طفلاً بدا وكأنما كانت تحتضنه.. كان أسامة يلوح لي. تفجر قلبي بالسعادة.. «لقد عادت صوفيا إلى الحياة.. حمداً لله»..

علمتني «صوفيا» الصبر مذ كنت صغيراً فقد كنا نحرمها من الماء أياماً طويلة ورغم ذلك لم تمت.. وعلمتني العطاء حين أثمرت بسخاء دون أن تنتظر المقابل.. وعلمتني الشموخ عندما فاقت منزلنا طولاً دون أن تبالي بما أسقطت الأيام من أغصانها.

اعتقدت بعدها أن علاقة الإنسان بأشيائه قد تكون أقوى مما يتصور في الحقيقة، وأن حب الإنسان قد لا يقتصر على مثيله، ولكننا قد نجد يوماً أننا نحب أشياء أخرى لها ذكريات جميلة في حياتنا حتى وإن كانت لا تنطق ولا تشعر بالحب.. غير أنني حتى كتابة هذه السطور - ومازلت - أعتقد أن «صوفيا» تحبنا جميعاً وقادرة على إشعارنا بذلك. ■

أنت الحياة

شعر: **أحمد موفقي**
الجزائر

هل يصبر الشوق إذ أشعلت سيدتي..
جمراً، توسد ذكرانا، وما فيها
مابين شدوٍ، وبين الدرب مرتقباً
باباً، سيطرق أشواقي ليحميها
أنتِ الحياة ترن حين تأخذني..
دنيا الحياة، لألهو في أقاصيها
جمر الترقب، أضناني، وأنهكني
مالي أعدّد، أيامي وأحصيها
هل تذكرين حقول القمح، فاتنتي
وماتورّد، في أحلى مراعيها
متى المواعيد، ننهي من محطتنا..
خطواً، يسافر في الأصقاع يطويها
نلملم الشمل، تحت الدفء يجمعنا..
وجه الصباح، ودنيا سوف نمشيها



الموت تحت إشارة خضراء!

قصة قصيرة

خالد بن صالح المشيطي
القصيم

(١)

تخطى عقرب ساعته الحادية عشرة والنصف مساء، بقي أقل من ساعة على موعد نومه، الوقت أزف ويريد أن يذهب بعائلته إلى منزله، خمس عشرة دقيقة تفصل صالح عن بيته ومازاد عن الوقت فقد اعتاد أن يقضيه بالحديث مع أولاده يقص عليهم قصة قبل نومهم. «أساطير شعبية» هي الحكايات المحببة إليهم. والليلة له موعد لإعادة حكاية «أم العنزين» التي أمست تحتل يوماً في الشهر تعاد فيه وسط زخم الحكايات المعروضة، لكنه كان قد قرر في تلك الليلة أن يخالف المعتاد إذ سيحكي لهم قصة (أحمد الذي قتلته إشارة حمراء). حمل عائلته من منزل الزيارة الذي قضوا فيه بعض يومهم، زوجته وابنه واثنتين من بناته، سار بهدوء قادماً من حي الفايزية متجهاً إلى الغرب .. الشارع يغلفه السكون إذ يكاد يجف سوى من تحركات يسيرة توقظ الشارع كلما ازداد بالتثاؤب، السيارة الجمس تسير بسرعة ٧٠كم بالساعة، وقد أوشكت على الدخول في التقاطع المضيئة إشارته باللون الأخضر.

(٢)

شيطان.. عفواً (عدنان) لمحت عيناه حادتا النظر لوناً أخضر من بعيد لم يستطع تمييزه عن الشجر الكثيف المحيط حوله، ولكنه جزم أن ذلك الضوء هو العين الثالثة للإشارة الضوئية، عداد السيارة تخطى عتبة الـ (١٦٠) في السيارة الداتسون، حفيف الأشجار الذي أثاره هواء السيارة كان مؤذناً بإيقاظ بقايا سيارات كانت تسير في الجانب الآخر وقد غلبها النعاس. (١٠٠) متر تفصل بين السيارة الداتسون المتجهة جنوباً إلى داخل البلد وتقاطع الطريق، اللون الأصفر أطل برأسه مدة ثانيتين فقط وكأنه يطلب الإذن للون الأحمر كي يجلس على عرشه المهيب، مؤشر العداد عجز أن يبرح مكانه بفعل الضغطة القوية من القدم اليمنى لعدنان وكأنها أيقنت أن الإشارة المرورية باتت سيدة مطيعة لها.. دخل التقاطع...

(٣)

سيارتان اختلطت أجزاؤهما حتى فقدت ملامحهما، ست جثث متناثرة في المكان، قطع لحم علق بالأجزاء المتمزقة من السيارتين.. دماء تسيل على الإسفلت وقد مالت إلى السواد بفعل ما اختلط بها من قذارة الشارع، جمهور خفيف وقف يشاهد ويحوقل، وكثرة اقشعرت أبدانهم من هول المشاهد فغادروا المكان مكرهين. شاهدٌ رأى الحادث وقت وقوعه اتجه إلى قائد السيارة الداتسون الذي لم يمت بعد فبصق عليه، ثم ذهب إلى الشيخ المهيب قائد السيارة الجمس المتمدد على الأسفلت وقد انفتح رأسه، قبّله على جبينه ثم أعلن للحضور: شهيد إشارة جديد.



(٤)

في مقبرة الموطأ ببريدة أخرج حافر القبور مذكرته بعد أن دفن المشيعون آخر الضحايا الستة وكتب فيها «هذه الضحية رقم ٩٦ التي دفنت هنا هذا العام».

(٥)

كان المعلم يقص هذه الحادثة على تلاميذه، وقبل أن يطلب منهم تعبيراً عن التهور في القيادة كتب أعلى السبورة (صالح الذي قتلته إشارة خضراء) !! ■



دوستوفسكي وضالة الإنسان الرائع

عياد مخلف العنزي
عرعر

كتب دوستوفسكي في الصفحة الأخيرة من رائعته المشهورة «الأبله»: (فكرة الرواية هي فكرتي القديمة المحببة والصعبة إلى درجة أنني ظللت طويلاً لا أجرؤ على تناولها، والفكرة الرئيسة للرواية هي تصوير إنسان رائع تماماً، ولا يوجد شيء أصعب من ذلك في الدنيا - وخاصة الآن -؛ فكل الكتاب - وليس كتّابنا فحسب - بل وحتى جميع الكتّاب الأوروبيين الذين حاولوا التصدي لتصوير الإنسان الرائع تماماً، كلهم نكصوا لأن هذه المهمة لاحدود لها، فالرائع هو المثال، سواء كان لدينا أم لدى أوروبا الذي لم يشكل بعد). انتهى كلام فيودور دوستوفسكي.

والناقد أفيدرو (١٨٢١ ـ ١٨٨١) يتعاطف مع هذا الأديب العالمي الكبير من خلال بحثه عن الإنسانية المثالية في خضم مجتمع مادي يهمش أغلبية الأماكن الأساسية في خارطة الفطرة البشرية بل ويلغي بعضها تماماً، كذلك نتعاطف مع الرجل من باب قوة أدبه ورقة تصوره، ودقة آلته الفوتوغرافية في التقاط الصور المشاعرية من أعماق شخصياته، تصاحبها قيم أدبية سامية تأتي في مقدمتها المصداقية والموضوعية في الطرح والتناول.

وصف الأستاذ الناقد ف ـ كوليشوف الأستاذ في علوم الأدب، أن رواية الأبله هي رواية الأفكار الأخلاقية العظيمة، لثرائها المفرط في تمجيد القيم الإنسانية وتقصيها في مجتمع يعتبر غريباً عنها، ولإيمان دوستوفسكي بأن القيم الإنسانية هي لب ديناميكية الحياة السعيدة على الأرض، أو في معنى آخر هي طاقة الحياة الفاضلة والمصدر الرئيس للمجتمع المزدهر الآمن المتحصن بسياج قيمي حصين يمثل درعاً اجتماعياً وقائياً، يردع كل تيار بغيض يريد أن ينال من نسيج السلام الاجتماعي القائم على قيم الإخاء والاحترام المتبادل بين أفراده.

آمن دوستوفسكي بكل المبادئ التي سبقت، وسوّغها بأنها في خط الدفاع الأول لاستمرارية الاستقرار الاجتماعي ونمائه، ولذلك فقد فتش دوستوفسكي وأجهد نفسه وفكره وحتى جسده بالترحال مابين روسيا بلاده وأوروبا بحثاً عن الإنسانية الرائعة، ومع هذا العنت والكد توصل إلى مجموعة قليلة تمثل مثالية الإنسان كان في مقدمتها «الأمير ميشكين»، ذلك الإنسان البسيط الذي اتسم بمثالية القيم الإنسانية، فهو رجل بسيط طيب القلب والعقل، يحترم الناس ويحب الحياة وسط مجتمع قيمي متآخ، وتشد الكاتب أحاسيس الإعجاب والرأفة معاً بشخصية «ميشكين» وما تحويه من صفات أخلاقية نبيلة، جعلت دوستوفسكي يسجل إعجابه به، خصوصاً تلك الصعوبات التي واجهت صمود شخصية «ميشكين» أمام احتقار المجتمع له، حتى من أقرب الناس إليه زوجته «ناستاسيا» وهروبها إلى شخص آخر يمثل الانفلات الإنساني والتجرد من القيم هو الجنرال «روغوجين»، لكنه صمود لم يدم فقد أصيب «ميشكين» بمرض الجنون واستقرت به الحال للعلاج في سويسرا، مات «مثل» دوستوفسكي مجنوناً لأنه مات مناضلاً من أجل القيم كنظيره الأوروبي «دون كيشوت» الذي أبدعه «سيرفانتس».

وستظل أوروبا ومن في حكمها يصوّت في ساحاتها مفكروها الذين يدركون تماماً ضرورة القيم الأخلاقية لبناء الحياة السعيدة، لكن أصواتهم تدوي في آذان صماء وينفخون في قرب مشقوقة، ﴿بل ران على قلوبهم﴾ وتراكم عليهم الران حتى غشيهم وطمس على قلوبهم، وفقدوا الإحساس الإنساني الرفيع الذي يقوم على دستور الأخلاق الحميدة، وسجايا الطباع النبيلة.

وإنسان تلك المجتمعات يفقد هذه القيم كلها لأنه يفقد مصدرها الرئيس، ولا يضع له أي اعتبارية في مسيرة الحياة، هذا المفقود من حياة أولئك البشر البائسين هو «الدين وقيمه السمحة وتعاليم الخبرة التي تقود صاحبها إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة».

إن السيد دوستوفسكي ذهب إلى مثواه قبل الأخير منذ عام ١٨٨١م، ولو كنت معاصراً له لوجهت له دعوة شخصية لزيارة الشرق، وبالتحديد البلاد الإسلامية، كي يرى بأم عينه ملايين الأفراد الذين يمثلون «الإنسان الرائع» ولا أقول تمثل «ميشكين» لفارق التفوق القيمي فالمسلم لايقارن بكافر، وأن ثراء النفس المسلمة بالقيم الإنسانية المستقاة من تعاليم الدين الحنيف لهي أكثر تعدداً وأرهف مشاعراً مما يحمله «ميشكين».

النفس المسلمة تزخر برصيد قيمي حافل بالمناقب الأخلاقية مطلوب منها وواجب عليها أن تترجمها إلى واقع عملي ملموس، ليس ممثلاً على صهوة الخيال المجنح، والذي يفتعله بعض الكتّاب غير الصادقين مع واقعهم، ولربما نجد لهم عذراً بأنهم إنسانيون مرهفون على درجة من الشفافية والرقة، تسوقهم آمالهم الفكرية إلى تخيل المجتمعات الحالمة، وفق تصوراتهم المثالية التي تنعدم صورها في مجتمعاتهم الحقيقية، وذلك لبعدها عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. ■

مركز تدريب مجتمع الأعمال

وني مري وشركاهم

ارنست ويونغ

الدكتور عبدالله عبدالرحمن باعشن

■ رقم الترخيص ١٧٣١ التعليم الفني والتدريب المهني

بسم الله الرحمن الرحيم

تدريب - صندوق بريد ٢٧٣٢

الطابق السادس - برج الفيصلية

طريق الملك فهد - الرياض ١١٤٦١

المملكة العربية السعودية

هاتف : ٢٧٣٤٧٤٠ تلكس : ٤٠١٣٤٨ فاكس : ٢٧٣٤٧٣٠

WWW. eyme.

جدول البرامج التدريبية لعام ٢٠٠١ - مكتب الرياض

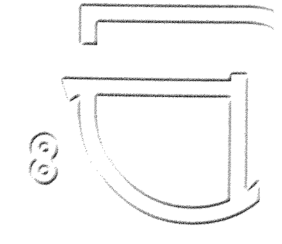
	اللغة التي يقدم بها البرنامج التدريبي	من	إلى	رسوم الاشتراك للفرد (بالريال)
يناير ٢٠٠١م				
المالية لغير المدراء الماليين	الإنجليزية	٢١ يناير	٢٣ يناير	٢،٩٥٠
ندوة قائمة التدفقات النقدية	العربية	٢٣ يناير		١،٢٠٠
مقدمة في المحاسبة المالية	العربية	٢٧ يناير	٣٠ يناير	٣،٩٥٠
مفاهيم وأساليب المراجعة الداخلية	الإنجليزية	٢٨ يناير	٣٠ يناير	٢،٩٥٠
فبراير ٢٠٠١م				
مفاهيم وأساليب المراجعة الداخلية	العربية	٣ فبراير	٥ فبراير	٢،٩٥٠
تنمية المهارات الإدارية والسلوكية	العربية	١٠ فبراير	١٢ فبراير	٢،٩٥٠
الإئتمان والتحصيل (المشاكل والحلول)	العربية	١٨ فبراير	٢٠ فبراير	٢،٩٥٠
المحاسبة المتوسطة	العربية	٢٤ فبراير	٢٨ فبراير	٤،٥٠٠
الاندماج والشراء	الإنجليزية	٢٧ فبراير		١،٢٠٠
مارس ٢٠٠١م				
المالية لغير المدراء الماليين	العربية	٢٤ مارس	٢٦ مارس	٢،٩٥٠
تطوير نظام الرقابة الداخلية	العربية	٢٥ مارس	٢٧ مارس	٢،٩٥٠
ندوة في اكتشاف ومنع الاختلاسات	الإنجليزية	٣١ مارس		١،٢٠٠
ابريل ٢٠٠١م				
مفاهيم وأساليب المراجعة الداخلية (متقدم)	العربية	٢ أبريل	٤ أبريل	٢،٩٥٠
المالية لغير المدراء الماليين	الإنجليزية	٨ أبريل	١٠ أبريل	٢،٩٥٠
تكنولوجيا المعلومات لغير المتخصصين فيها	الإنجليزية	٩ أبريل	١١ أبريل	٢،٩٥٠
التحليل المالي والتنبؤ	العربية	٢١ أبريل	٢٣ أبريل	٢،٩٥٠
مهارات العرض والتقديم	العربية	٢٨ أبريل	٣٠ أبريل	٢،٩٥٠
مايو ٢٠٠١م				
أساليب إعداد الموازنات	العربية	٦ مايو	٨ مايو	٢،٩٥٠
الاعتمادات المستندية وخطابات الضمان	الإنجليزية	١٢ مايو	١٤ مايو	٢،٩٥٠
التدقيق الداخلي للبنوك	العربية	١٢ مايو	١٦ مايو	٤،٥٠٠
مقدمة في المحاسبة المالية	العربية	١٩ مايو	٢٢ مايو	٣،٩٥٠
الإئتمان والتحصيل (المشاكل والحلول)	العربية	٢٧ مايو	٢٩ مايو	٢،٩٥٠
يونيو ٢٠٠١م				
مفاهيم وأساليب المراجعة الداخلية	العربية	٢ يونيو	٤ يونيو	٢،٩٥٠
تحليل القوائم المالية	الإنجليزية	١٦ يونيو	١٨ يونيو	٢،٩٥٠
المالية لغير المدراء الماليين (متقدم)	العربية	١٦ يونيو	١٨ يونيو	٢،٩٥٠

لمزيد من المعلومات يمكن الاتصال بمسؤولي التدريب :

د . وجدي حجازي مدير مركز تدريب مجتمع الأعمال تحويلة ٤٥٠	صلاح عبدالرحمن مشرف مركز تدريب مجتمع الأعمال تحويلة ٥٣٦	جاكوب أمل راج منسق التدريب تحويلة ٤٥١

المكاتب في المملكة العربية السعودية : الخبر - جدة - الرياض

- أهلاً بالحظور والظيوف !
- المكتبة المدرسية .. طفل الخطيئة !
- برنامج معارف .. سلبيات وتوصيات !







هذه «سبورة» تفتح يديها للجميع.
هي ليست صفحة القراء - كما في المطبوعات الأخرى - مخصصة للصغار فقط!
«سبورة» أسميناها هذا الاسم محاكاة للسبورة إياها..
تلك التي يكتب فيها المعلم والطالب معاً..
يُكتب فيها العلم ومحاولات التعلّم جنباً إلى جنب.
هكذا هي إذن سبورة المعرفة للكبار والصغار معاً.. هي للجميع بلا استثناء.

المعرفة

أهلاً بـ «الحظور والظيوف»!!

قاسم بن خلف الرويس

في حفل تكريم الطلاب المتفوقين على مستوى إحدى المحافظات للعام الماضي، وبرعاية محافظ المحافظة وحضور مدير التعليم و«كادر» الإدارة التربوي وغيرهم، كان من ضمن العبارات الترحيبية التي ظهرت على خلفية المسرح عبارة ترحب بالحضور وكتبت هكذا (الحظور) ونحمد الله أن المحافظ لم تكتب (المحافض) وأن الضيوف لم تكتب (الظيوف).

لغة الضاد لا يعرف أهلها ضادها فمن يعرفها ومن يعرف ضادها؟! رحمك الله يا حافظ إبراهيم أبت كلماتك إلا أن تتحقق في كل زمان ومكان فمن للغة القرآن؟!

لم تصدق عيني ما رأت، لأنه لا يمكن أن يكون خطأ مطبعياً بأي حال من الأحوال، حقيقة لقد صدمت، فلو تجاوزنا هذا الخطأ في مكان آخر ومناسبة أخرى فلا يمكن تجاوزه في هذا الموضع، أفي معقل التعليم يحدث هذا!!وفي حفل المتفوقين الذين لن يخفى عليهم هذا الخطأ الإملائي؟! حتماً سيثير حنقهم مثلما أثارني وربما يثير سخريتهم. العجيب أن العبارات كتبت بالحاسب الآلي فلماذا لم يعرضها كاتبها أياً كان على المدقق الإملائي في الجهاز ويكفيه ذلك؟! ولكن يبدو أنه كان واثقاً جداً، إننا لو عذرنا الكاتب لم نعذر منظمي

هل تعرف دورك أيها المعلم؟

يوسف بن صالح الهقاص
عنيزة

أرجو ألا تدفعك سذاجة السؤال الظاهرية إلى ترك قراءة هذه المقالة؟

حيث يخفق السواد الأعظم من المعلمين في الإجابة عن هذا السؤال. وربما كنت أنا واحداً منهم في بداية حياتي العملية.

وإن أردت الوقوف على ذلك بنفسك فتجشم عناء سؤال عينة من زملائك وارصد الإجابات.

سيجيبك أحدهم: ينحصر دوري في إلقاء الدروس على تلاميذي. وسيؤكد لك آخر: أقوم بالشرح للمحتوى المعرفي كما ورد في كتاب الطالب. في حين سيمتنع بعضهم عن إجابة سؤال فلسفي كهذا زاعماً بأنه من فضول العلم.

والآن ما الإجابة النموذجية في رأي القارئ الكريم؟ إن كانت الإجابة تدور حول نقل المعرفة إلى ذهن

الحفل قسم التوجيه والإرشاد تحديداً إن مثلهم كمثل (طبيب يداوي الناس وهو عليل) هذا إن كانوا قد علموا عن هذا الخطأ أو لاحظوه قبل الحفل أو بعده، أما إن كانوا يظنونه صحيحاً فتلك الكارثة!

والسؤال هنا: هل لاحظ مدير التعليم ذلك؟ هل لاحظته كوكبة المشرفين الحاضرة، أم أنه مر بسلام مرور الكرام؟!

إن هذا الحدث يخبر عن الأساس المتهالك للقراءة والكتابة - وهي أصل الإملاء - في المدارس، إن الخطأ الإملائي ليس أمراً فردياً بل سمة عامة لطلاب المدارس، ومن لم يصدق فالميدان برهان يعطي مؤشراً سلبياً عن مستوى الإملاء في المدارس، أليست مشكلة الإملاء من المشكلات التعليمية المزمنة التي يجب علاجها؟ إنها مشكلة مستعصية لم يستطع خبراء التربية والتعليم والعربية حلها. إن الحقيقة المرة التي يجب علينا مواجهتها أن كثيراً من طلابنا لا يقرأون بطريقة صحيحة، وبالتالي لا يكتبون بطريقة صحيحة، فهل الخلل في المناهج أم في الخطة الدراسية أم في تأهيل المعلمين أم ..... أم....... ولكنها حقيقة يصعب تجاهلها وللعلم فمستوى الطالبات في الإملاء أفضل من مستوى الطلاب كما ظهر لي. ■

المتعلم فهي إجابة كانت صحيحة قبل ما يقرب من ألفي عام حيث التربية اليونانية. أما في عصرنا هذا - عصر المتغيرات المتلاحقة - فإن الأمر يختلف، حيث رسالة التربية تسعى إلى تحقيق أقصى نمو للفرد وأقصى تقدم للمجتمع.

وعليه فدور المعلم قد انقلب رأساً على عقب، بل برز للمتعلم دور جديد لم يكن له من قبل، فما ذلك الدور؟

إنه تصميم المواقف التعليمية المناسبة التي يمر بها المتعلم ليكتسب الخبرة المرغوبة.

ويشمل تصميم الموقف ثلاث وظائف هي: التخطيط والتنفيذ والتقويم. كما تشمل الخبرة ثلاثة جوانب هي: المعارف والمهارات والاتجاهات. ■

التفكير بلا قيود.. خطر

محمد محمود عبدالحميد فايد

مصر

من البديهي أن الإنسان أرقى مخلوقات هذا الكون لما وُهب من نعمة العقل، فمن حق ذلك الإنسان أن يفكر ولكن عليه أن يعلم أن انطلاق فكره بلا قيد وقوله بلا حساب وعمله بلا وازع يشكل خطراً على بناء شخصيته وعقله وإنسانيته. ومن حق العلماء وأولي الأمر، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة أن تتضافر جهودهم للوقوف دون الخطر الداهم، فالطلقة التي لا تصيب يمكنها أن تخدش، وعندما تتوالى الطلقات الموجهة من الممكن جداً أن يتحول الخدش إلى جروح وإصابات قد تدمي وقد تميت. فمن حق الإنسان أن يدرس ويبحث ويفكر ولكن ليس من حقه أن يفرض أفكاره على الناس، خصوصاً إذا كانت طريقته تجرف طائفة من العقول في تيار الرذيلة أو الإلحاد. وكلما ازددنا معرفة بالثوابت وتراث السلف الصالح ازددنا حباً لكل الثمرات اليانعة الناتجة عن شجرة الالتزام ومنها الأبحاث والأفكار والأعمال الفكرية العميقة القيمة التي تقوم على أسس القرآن المجيد والسنة المحمدية الخالدة.

لذا نعتقد أن أمتنا الإسلامية الغراء لها مطلق الحرية في مصادرة البحث مع الباحث أو الفكر مع المفكر حين تجده قد تعدى على مقدساتها، أو تمرد على حرماتها. كما أن هذه الأمة الملتزمة، لها الحرية كذلك في اعتناق ما ألفه المؤلف أو إسداء الثناء إليه إذا تجاوبت أفكاره مع سلامتها وسايرت ومجدت كرامتها وعزتها. وهناك مؤسسات إسلامية عديدة ينبغي أن يكون لها الدور الإيجابي الأكبر في الرقابة بإحكام على الفكر الإسلامي، حرصاً على سلامة الأثر الديني في نفوس المتلقين ووجدانهم وفاعليتهم في مجتمعاتهم الإسلامية. ■

تحتوي على رفوف حديدية وأتربة وتشرف عليها الأشباح!:

المكتبة المدرسية... طفل الخطيئة!

عبدالرزاق بن عبدالله البابطين
الدمام

بالرغم من أن العنوان أعلاه يبدو قاسياً وغير محبوب لدى المسؤولين في وزارة المعارف، فإن الحقائق تؤكد أن المكتبة المدرسية مجهولة النسب والهوية في المدارس وإدارات التعليم وجهاز الوزارة.

فالمتتبع لمسيرة المكتبات المدرسية لا يلاحظ أي اهتمام جاد أو دعم منهجي ينطلق من رؤية تربوية واضحة، حيث تنقلت مسؤولية المكتبات المدرسية في جهاز وزارة المعارف خلال السنوات الماضية لأكثر من إدارة، وبالتالي أدى هذا التشتت إلى إضعاف دور المكتبة التربوي في المدرسة. والحقائق التالية تؤكد واقع المكتبة المدرسية في الميدان التربوي:

- لم يصدر - حتى الآن - قرار أو تعميم إداري من وزارة المعارف بتكليف مشرفين تربويين متخصصين للإشراف على المكتبات المدرسية.

- اقتصر دور الوزارة في تأمين الكتب الثقافية والأثاث.

- لم تصدر لوائح تنظيمية للمكتبات المدرسية تتناول جوانب الإشراف والخدمات والتدريب والأنشطة القرائية والصلاحيات والمسؤوليات لأمناء المكتبات المدرسية، وما صدر حتى الآن عبارة عن اجتهادات وردود أفعال من الميدان التربوي.

- يوجد أمناء مكتبات على الوظائف الإدارية يعملون في المدارس في غير مجالهم، حيث يكلفهم مديرو المدارس بأعمال إدارية، وذلك نتيجة لعدم مرجعية هؤلاء أمناء المكتبات لجهات إشرافية متخصصة.

- أمناء المكتبات المعلمون غير متفرغين لأعمال المكتبة، وإن تم تفريغهم فيتم حسب النصاب الكلي للحصص من المدرسة بصورة مؤقتة، بالرغم من تفريغ رواد النشاط الطلابي والمرشدين الطلابيين.

مشروع مراكز مصادر التعليم

بلا شك فإن مشروع مراكز مصادر التعلم خطة تطويرية تحسب لوزارة المعارف يؤكد اهتمامها

رفض القولبة والتأبي على الضغوط

خالد سويلم السويلم
رفحاء

في مستهل العمر يكتسب المرء علماً جماً وقدرات وإمكانات وفيرة حتى يصبح معلماً مسؤوليته العطاء والبذل. فمن المعلمين من يواصل البحث والتنقيب عن الجديد من الكتب ويتابع المعارف الحديثة أنى وجدها أخذها. فعطاؤه مستمر وحماسه لا ينقطع وخبرته تزيد وحيويته تشتعل فينعكس هذا على عطائه لطلابه.. فحي هلا بهذه الفئة من المعلمين.

وفئة أخرى اكتسبت في زمن الطلب وتخلت في زمن العطاء فهي مستهلكة دائماً، ولا تزال تنحدر في الجهل دركة دركة حتى تصبح في عداد الجهال.

ولاشك أن الأستاذية ريادة تضيع وتفقد نورها وبريقها حينما يقتصر المعلم على حصيلته المعلوماتية السابقة فلا يرتقي ويواكب الجديد من المعارف حتى في تخصصه فتنقلب المنطقية في التعليم ليصبح المعلم في قفص التلمذة. وهنا تبرز مسؤولية

وطموحها للرقي بالعملية التعليمية إلا أن لي ملحوظات موضوعية لهذا المشروع وهي:

- أصرت وزارة المعارف على تغيير المسمى من مكتبات مدرسية إلى مراكز مصادر تعلم، ولم تحاول من قبل تغيير المفهوم والممارسة للمكتبات المدرسية.

- هذا المشروع ينجح - بإذن الله - إذا كانت هناك مكتبات مدرسية تقليدية أصلاً في الميدان التربوي سوف يتم تحويلها تدريجياً إلى مراكز مصادر تعلم، ولكن الواقع يدلل على أن الموجود - غالباً - هو غرف تحتوي على غبار وأتربة وكتب تراثية ورفوف حديدية وأشباح تشرف عليها.

- يلاحظ في دليل مراكز مصادر التعلم الذي صدر حديثاً من الإدارة العامة لتقنيات التعليم غموض في جوانب الإشراف والتدريب والهوية الإدارية للمراكز، وتشتت مسؤولية إنشاء المراكز على ثلاث جهات وهي وزارة المعارف، وإدارة التعليم، والمدرسة.

- يلاحظ في هذا المشروع الحرص على التجهيزات الفنية والتقنيات التعليمية وإهمال الكادر البشري. وأود أن أوضح مثالاً واقعياً في هذا الصدد وهو المدارس الحكومية التي بنتها أرامكو السعودية يوجد بها مكتبات مدرسية يتوفر بها تقنيات وتجهيزات حديثة وأثاث فاخر ولكن لافرق بينها وبين المكتبات المدرسية بالمباني الحكومية والمستأجرة من حيث الدور التربوي للمكتبة، وجودة الخدمة، وأداء التعلم الذاتي للطلاب: لأن المكتبة المدرسية لاتقوم بدورها المطلوب إلا إذا توفر بها أمين مكتبة متخصص متفرغ كحد أدنى للكفايات التي يتطلبها العمل في المكتبات المدرسية، ومن ثم تأتي التجهيزات والتقنيات والأثاث بالمرتبة الثانية.

ومن الواقع في الميدان التربوي نقرر النتائج التالية:

أولاً: إن أغلب الجهود التي تبذل في المدارس هي نتيجة مبادرات ذاتية وحماس المتخصصين من أمناء مكتبات ومشرفين.

ثانياً: إن كثيراً من المدارس توكل أمانة المكتبة المدرسية - للأسف - إلى معلمين غير قادرين على مهنة التدريس مثل مرض أو عجز أو تمارض أو غير مرغوب فيهم للتدريس، وبالتالي السبب يقرر النتيجة.

ثالثاً: هناك قصور مهني للمكتبات المدرسية في جهاز وزارة المعارف بسبب عدم تكامل الجهود المبذولة للمتخصصين في علم المكتبات والمعلومات، ولعدم وجود جهة إشرافية مركزية للمكتبات عموماً في الوزارة.

رابعاً: هناك خطة لدمج أقسام المكتبات المدرسية في تقنيات التعليم في إدارات التعليم ووزارة المعارف، وبالتالي يصبح دورها ضعيفاً حسب مكانها في الهيكل الإداري المقترح لوزارة المعارف وإدارات التعليم.

وفي الختام آمل من وزارة المعارف كمؤسسة اعتبارية ومن المسؤولين بها كشخصيات اعتبارية أن تتقبل تلك الملحوظات بصدر رحب حتى يمكن النظر إلى هذه الإشكالية بكل أبعادها وجوانبها. ■

الشريحة الجادة من المعلمين الذين ينعمون بالعيش في ظلال التفكير الصحيح والمنهج السديد لنقل الصورة المأمولة إلى المعلمين المتقاعسين عن العمل وإشعارهم أن التعليم بحاجة ماسة إلى إحداث تقدم شامل ولا يكون إلا بالمعلم، إذ هو الركيزة الأساس. فحين يهتم المعلم بالمظهر متخلياً عن المضمون والجوهر فحدث ولا حرج عن مصير المتعلمين.

وفي اعتقادي أن هذا النمط من المعلمين جل اهتمامه بالتقدم الفردي الشخصي دون النظر إلى الآخرين. والقاعدة تقول: لا تقدم فردياً في وسط منهار.

إن للمعلم مزايا أخلاقية ومظاهر تربوية يتحتم عليه التمسك بها في المنشط والمكره، وهي التي تضفي على حياته رونق الجمال وتجعله يختلف عن السوائم التي تكافح من أجل البقاء المجرد.

فمبادئ المعلمين ينبغي أن تختلط مع دمائهم ولحومهم ولا تشكل تكميلاً لإنسانيتهم فقط.

والمعلم كلما تمسك بالمبدأ انتزع الإعجاب من الآخرين مرة تلو مرة، فلا ينبغي للمعلم أن يتكيس عند مرحلة ما، إنما هو اللهث وراء الجديد النافع والمبتكر المفيد والتحرر الدائم ورفض القولبة والتأبي على الضغوط والخروج من نفق الجمود إلى جسر التأنق والتميز ومزاحمة المبدعين.

والمقصود أن يستحضر المعلم الغاية الكبرى التي لأجلها نحيا ونعمل لتولد الشعور بالرضا وانشراح الصدر والسعادة المنشودة. ■

لكي يحبوا مكتبة المدرسة

حسن آل حمادة
القطيف

- ينبغي أن تتلاءم المكتبة مع ظروف البيئة المدرسية، فهل المكتبة في بيئة مدرسية (ابتدائية؟ أم متوسطة؟ أم ثانوية؟) لأن البيئة المدرسية ستفرض بالتالي نوعية معينة من الكتب كما ستفرض نوعية من الأثاث.

- تعويد الطالب الدخول إلى المكتبة في سن مبكرة، ولن يتم ذلك بشكل تربوي سليم: إلا بإيجاد حصة للقراءة.

- مراعاة التوازن في مجموعات المكتبة المدرسية، بحيث لا تنمو مجموعات مادة على حاسب بقية المواد: تلبية لإرضاء مختلف الميول والرغبات والاتجاهات.

- غرس عادة القراءة في سن مبكرة مرتبط بالصعوبة أو بالسهولة التي يلقاها الطالب في تعامله مع المكتبة ومع الأفراد الموجودين فيها. لذلك يفضل تسهيل عملية الحصول على الكتاب لمن يرغب في قراءته أو استعارته بمراعاة التنظيم والتصنيف المناسب للمكتبة، وكذلك بتسهيل إجراءات الإعارة بعيداً عن التعقيد.

- أن تقام معارض للكتاب في المدرسة، وكذا تنظيم زيارات للطلبة لحضور معارض الكتب القريبة، وتشجيعهم على شراء بعضها واقتنائه، إضافة إلى تسجيلهم - الطلبة - لعناوين الكتب التي يقترحون توفيرها بالمكتبة المدرسية.

- تدريب الطلبة على استعمال المكتبة والاستفادة من محتوياتها المختلفة التي تشمل (الكتب التعليمية، كتب المعلومات، الكتب المرجعية، الكتب الترويحية، المجلات... إلخ).

- أن تخرج المكتبة المدرسية إلى الناس، لا أن تنتظر قدومهم، بمعنى أن تقيم ندوات ومحاضرات ومسابقات ثقافية لاجتذاب الطلبة إليها.

- المعلم الذي لا يقرأ لن يُخرّج

برنامج معارف.. سلبيات وتوصيات

ياسر العمران
القطيف

مع دخول الإنترنت إلى المملكة وظهور الأجيال الحديثة من أجهزة الحاسب الآلي والبرامج المتقدمة، أخذت وزارة المعارف على عاتقها الاستفادة القصوى من هذه التقنيات، فكانت السباقة في تطبيق وتوحيد استخدام برنامج الإدارة المدرسية «معارف» وكذلك إدخال البريد الإلكتروني بين المدارس وإدارات التعليم، وربما سيكون الدخول إلى عالم الإنترنت الواسع أحد مشاريعها القريبة.

لكن تعميم برنامج معارف والبريد الإلكتروني على المدارس بشكل واسع أبرز الكثير من السلبيات والمعوقات، وذلك بسبب الاستخدام الخاطئ لمثل هذه البرامج.

ومن السلبيات التي ظهرت في استخدام برنامج معارف نذكر:

١- تأخر إظهار النتائج والانتقال للسنة التالية، وعدم ظهور النتيجة بالشكل السليم.

طلاباً قـرّاء، لذلك ينبـغي علينا احتضان الكتاب ومداعبته، لنكون في ذلك قـدوة لطلابنا في القـراءة والاطلاع.

- تشـجـيع المعلمين على الاستفادة من محتويات المكتبة، وأخذ الاقتراحات المفيدة منهم لتطويرها.

- حث الآباء وأوليـاء الأمـور وتشجيعهم على إنشاء مكتبة منزلية خـاصـة بأفـراد الأسـرة، على أن تحتوي على ركن خاص بالأطفال، لتكون لديهم مكتبتهم التي تتناسب مع السن الزمني والعقلي لهم.

- الإعلان عن الكتب التي وصلت حديثاً لمكتبة المدرسة، عن طريق: الإذاعة المدرسية، الصحيفة الحائطية، حصة القراءة.

- تزويد المكتبات المدرسية بأجهزة الحاسب الآلي - والاشتراك في الإنترنت إن أمكن - لتسهيل عملية البحث عن مصادر المعلومات المتاحة بها - وبغيرها - من مراكز المعلومات، وكذلك توفير الوسائل السمعية والبصرية التي تسهم في جذب القراء وتشويقهم.

- توفير الكتب المناسبة للطلاب في المراحل الدراسية المختلفة، والتي تتميز بخاصية الجاذبية في الشكل والسلاسة في الأسلوب.

- إرشاد الطلاب نحو مجموعة من الكتب المناسبة لهم. فلو وجد (مثلاً) أحد الطلبة الانطوائيين فيفترض إرشاده لقراءة كتب في العلاقات الاجتماعية كـ(الصداقة والأصدقاء) أو (كيف تتعامل مع الناس) أو (كيف تكسب الأصدقاء... إلخ).

- حث الطلاب وتشجيعهم على إصدار الصحف الحائطية التي يعرضون فيه اقتباساتهم - من الكتب والمجلات - وكتاباتهم. فالصحيفة الحائطية بإمكانها أن تساعد على صقل مواهب الطلاب الكتابية، وأيضاً تعمل على توجيههم نحو عالم الكلمة المكتوبة في سن مبكرة من حياتهم.

- ضمن الأدوار التثقيفية التي تقوم بها المكتبة المدرسية يفضل تبنيها لإصدار نشرة تربوية تثقيفية تعبر عنها، تحت مسمى «صحيفة المكتبة»، أو «رسالة المكتبة» بإشراف أمين المكتبة بالتعاون مع رائد النشاط الثقافي (إن لم يكن أمين المكتبة هو رائد النشاط الثقافي)، وتشجيع أعضاء هيئة التدريس والطلبة على الكتابة فيها.

- للمكتبة المتنقلة دور كبير في التشجيع على عادة القراءة: لذا لاينبغي أن تقتصر في زياراتها للمدارس على المرحلة الابتدائية والمتوسطة، وإنما تشمل المرحلة الثانوية أيضاً. ولشركة أرامكو السعودية تجربة جيدة في هذا المجال، وهي بحاجة إلى المساندة من جهات أخرى.

- وجود أمين مكتبة مدرسية مؤمن برسالتها ودورها التنويري في الارتقاء بفكر المجتمع وسلوكه. ■

٢- عدم عمل نسخ احتياطية مما سبب ضياع الكثير من البيانات للمدارس.

٣- عدم المعرفة في كيفية عمل التحديثات والبرامج المساندة، مما سبب الارتباك لإدارة التعليم.

وأما عن البريد الإلكتروني فمنها:

١- ضياع التعاميم المهمة وعدم طباعتها.

٢- إرسال الملفات المصابة بالفيروسات بين المدارس مما سبب خراب أجهزة الحاسب لبعض المدارس.

٣- الاستخدام غير الرسمي من قبل بعض المدارس.

وتعود أسباب ذلك إلى:

١- عدم تحديد من هو المسؤول في تشغيل هذه البرامج.

٢- لا يوجد تدريب كاف للتعامل مع المشكلات التي تطرأ على مثل هذه البرامج نتيجة الاستخدام الخاطئ.

٣- عدم اكتراث المديرين بأهمية استخدام مثل هذه التقنيات.

٤- تفريغ بعض المعلمين من بعض الحصص للقيام بأعمال برنامج معارف والبريد الإلكتروني.

ونحن هنا نوصي ببعض التوصيات التي تحد من بعض هذه المشكلات:

١- تحديد مسؤولية من الذي سيعمل على هذه البرامج.

٢- إقامة دورات إلزامية في الحاسب الآلي للمديرين والوكلاء شاملة استخدام مثل هذه البرامج.

٣- الاشتراط في تعيين الوكلاء والمديرين من المعلمين ممن لديهم خبرة وشهادات في مجال الحاسب الآلي.■

الباركود الحاسوبي في أعمال الاختبارات

محمد علي مصلوخ
المدينة المنورة

في هذه المرحلة التطويرية التي يشهدها التعليم في بلادنا يطيب لي طرح مقترح استخدام الباركود الحاسوبي خلال الإجراءات التنظيمية لأعمال الاختبارات.

الخطوات الإجرائية لاستخدام الباركود الحاسوبي في ورقة إجابة الطالب المتقدم لاختبارات الثانوية العامة:

١- إعداد وتجهيز البيانات الأساسية للطلاب المتقدمين لاختبارات الثانوية العامة (اسم الطالب، اسم المدرسة، اسم المادة.. إلخ) قبل وقت كاف من بداية اختبارات الثانوية العامة وتمهيداً لبرمجتها في الباركود الحاسوبي بواسطة برنامج حاسوبي خاص بذلك.

٢- يخصص جزء من غلاف ورقة إجابة الطالب المتقدم لاختبار الثانوية العامة لكتابة البيانات الأساسية (اسم الطالب، اسم المدرسة، اسم المادة، رقم الجلوس.. إلخ).

٣- يسلم لإدارة المدرسة العدد الكافي من الباركودات لكل طالب يحق له دخول اختبار الثانوية العامة، وبعد اختبار كل مادة وتجميع أوراق الإجابة في كنترول المدرسة يلصق عدد من الباركودات لكل طالب على عدد من صفحات ورقة إجابة الطالب.

٤- ينزع من الغلاف الخارجي لأوراق إجابات الطلاب، بعد لصق الباركود، الجزء الخاص بالبيانات الأساسية الذي قام الطالب بكتابة بياناته عليها أثناء تأديته للاختبار.

٥- تنقل أوراق إجابات الطلاب من كنترول المدرسة إلى مركز تقدير درجات الطلاب المتقدمين لاختبار الثانوية العامة. مُثَبت على كل ورقة اسم المادة التي اختبر فيها الطالب وإجاباته التي قام بكتابتها بخط يده. أما البيانات الأساسية (اسم المدرسة، اسم الطالب، رقم الجلوس.. إلخ) فهي حبيسة رموز الباركود الحاسوبي.

٦- تسترجع البيانات الأساسية للطالب بعد إجراءات تقدير الدرجات من المصححين وتسجل درجته المستحقة عن طريق القارئ الضوئي بواسطة راصد الدرجات (في لجنة الرصد) باستخدام الحاسب الآلي.

أهمية (فائدة) استخدام الباركود الحاسوبي في نموذج ورقة إجابة الطالب في اختبارات الثانوية العامة:

١- يُحد ويُقلل من الإجراءات البيروقراطية لانتقال أوراق إجابات الطلاب من كنترول المدارس إلى مركز تقدير الدرجات لطلاب الثانوية وإجراءات تداولها وانتقالها بين لجان تقدير ورصد الدرجات.

٢- يوفر جهوداً وطاقات عديدة بحيث يمكن الاستفادة منها وتسخيرها في مهام أخرى خلال فترة الاختبارات.

٣- يُرشد في مصاريف الصرف على الأوراق والظروف والأقلام والأحبار اللازمة لتداول أوراق إجابة الطلاب من مظاريف المدرسة إلى مظاريف مركز تقدير درجات طلاب الثانوية العامة.

٤- يحقق القدر اللازم من الضبط والسرية في أثناء التصحيح والرصد حتى خروج النتيجة النهائية واعتمادها رسمياً.

٥- يمثل إضافة في النقلة التطويرية لأعمال الاختبارات، ينعكس أثرها بمشيئة الله وتوفيقه على رفع الروح المعنوية لمؤدي الخدمات التعليمية، وذلك من خلال التجديد في الإجراءات التنظيمية التي اعتادوا تنفيذها في أثناء الاختبارات. ■

والمتفوقون يحتاجون المرشد الطلابي

عبدالوهاب بن مشرب الأنديجاني
مكة المكرمة

من ملاحظتي خلال عملي معلماً أن عمل المرشد الطلابي أصبح وكأنه مقتصر على فئة معينة من الطلاب كفئة المتأخرين عن طابور الصباح وفئة المقصرين والمشاغبين، وليس معنى ذلك أن نحرمهم من الإرشاد أو نتركهم بدعوى أن لا فائدة من تقديم الإرشاد لهم. وإنما القصد من ذلك تنبيه المرشد الطلابي بأن هناك فئات أخرى داخل المدرسة مثل المتفوقين دراسياً والمبدعين فنياً، ومن يعانون من اضطرابات نفسية كالخوف الاجتماعي «الخجل» واضطرابات التعلم - من بطء في التعليم أو صعوبات التعلم - أو القلق النفسي أو الاكتئاب النفسي والذين يكونون في أمس الحاجة إلى الإرشاد، ومع ذلك لا يستفيدون من الخدمات الإرشادية بالشكل المطلوب من هذا المرشد الفاضل في تنوير طريقهم وتشجيعهم للتغلب على الصعوبات التي تقابلهم. والسبب في ذلك يعود إلى انشغال المرشد الطلابي بفئة المتأخرين والمقصرين، بحيث لا يستطيع المرشد إفادة باقي الفئات وبالتالي عدم تقديم الخدمات الإرشادية التي يحتاجون إليها، أضف إلى ذلك أن الفئتين السابقتين ينظرون إلى المرشد الطلابي نظرة صديق وليس مرشداً ومعلماً وبالتالي يكون قد كسر ضلع من أهم أضلاع العملية الإرشادية والتي من بينها العلاقة بين المرشد والمسترشد علاقة عمل لاعلاقة صداقة، ويعود السب في ذلك إلى تعود الفئتين على المرشد بسبب كثرة ترددهم إليه الأمر الذي قد يؤدي إلى أن يفقد المرشد دوره معهم لتعودهم إلى نصائحه وإجراءاته تجاههم. ■



الصافي
ALSAFI

المعرفة ٢

● اللواء إبراهيم الميمان:

فشلت في توحيد نظام المرور الخليجي

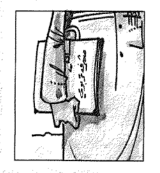
● بلا حدود:

ادرس بمنحة من بيل جيتس




..يا أستاذ محمد.. مدرسين المرحلة الأولية..
عندي في المدرسه يفحطون يبون التمتع بالإجازه
مع طلابهم!! لكن الإستمارة يالله تعطيهم
إلغاء المراقبة!!!









أما قبل

في كل يوم يواجه الواحد منا مواقف متنوعة في منزله، في مكتبه، في الشارع أو السوق. ويتخذ حيال هذه المواقف رد فعل أو إجابة فورية، ويكون هذا الرد أو الإجابة إما عفوياً ينبني عن قناعة هذا الشخص حيال هذا الموقف بكل تلقائية وصدق، وإما أن تكون الإجابة القولية أو الفعلية مصطنعة ومتكلفة يتجمل بها هذا الشخص دون أن تنبني عن حقيقة شعوره وقناعته الداخلية.

هذه الأسئلة القادمة، تحاول «المعرفة» من خلالها أن تضعنا أمام المرآة.. مرآة إجاباتنا التي تعكس الحقيقة، أو نصف الحقيقة فقط!

وضيفنا الآن هو: د. حمد الماجد مدير المركز الإسلامي الثقافي بلندن «سابقاً».

المعرفة

حمد الماجد:

سأنقذ أطولهما «شوشة»!

* وأنت تقف أمام إشارة المرور بصحبة أحد زملائك، تقدم منك شاب صغير ليبيعك منديلاً ورقياً، دققت في ملامحه ووجدته أحد أقاربك، كيف تتصرف أمام زميلك مع هذا الفتى؟

- من يقرأ سؤالك يظن أن هذا الفتى الكادح يبيع«محظوراً»!! سأخجل من هذا الغلام أمام زميلي لو أننا رأيناه يتسكع ويتتبع ويتميع في الفيصلية (لا شغل ولا مشغلة).

* عند عودتك إلى المنزل وإذا بأحد أبنائك يتعرض لهجوم «تسلطي» من أبناء الحارة ما ردة الفعل؟

- أدفع (بعملية السلام) تيمناً بعملية السلام الأخرى لأن الدعوى (شغل بزران) وإن كان الفرق في العمر فقط.

* جاءتك ابنتك الصغيرة -التي ينقصها جرعة كبيرة من الجمال!- وسألتك: بابا.. أنا حلوة؟.. فماذا تقول لها؟

- أقول لها: يا حلوة أي واحد ينقصه «جمال» و«بعارين» يروح للإمارات.

* الساعة الرابعة فجراً، ولايوجد عند إشارة المرور الحمراء أي سيارة، هل تتوقف عند الإشارة أم تلتفت يميناً وشمالاً وتتأكد من خلو المكان، ثم تنطلق رغم الضوء الأحمر؟

- أتلفت يميناً وشمالاً (وفوق) لأنه من المحتمل أن تأتيك سيارة طايرة من قوة الصدمة، وأتأكد من خلو المكان (ولكن لا أنطلق).. بل أتشبث بالمقود ورجلي على الفرامل ويدي على «الجلنط» وعسانا نسلم!



- عملية السلام «شغل بزران»!
- يدي على الجلنط.. وعساي أسلم.
- سأحول الفاتورة إلى «أفخر» الضيوف.
- ملامحي لا تستوقف النساء!
- أتمنى حجم «عيدي أمين» وقبضة «تايسون».

* تدعو ضيوفاً «فاخرين» إلى عشاء فاخر خارج المنزل، وفي نهاية الدعوة تكتشف أنك لاتحمل أي نقود أو بطاقة ائتمان، ويرفض صاحب المطعم أي محاولة منك لإرجاء الدفع.. ماذا تصنع؟

- ضيوف (فاخرين) وعشاء (فاخر)!! كلمتان (فاخرتان) في سؤال واحد! إما أن صاحب السؤال من (الفاخرية)..وإما أنه من (الفخورين) أو من المعجبين بـ (الفخار)!! وعليه (فسأفتخر) بتحويل الفاتورة إلى (أفخر) الضيوف.

* في برنامج تلفزيوني - على الهواء - أحد المشاهدين يحرجك ويجرحك أمام الملأ: كيف تتصرف؟

- مشاهد ويجرح؟! هل البرنامج موجه إلى بشر أم كواسر؟ العاقل يتحاشى الاشتباك مع (الكواسر) وخصوصاً أمام الملأ.

* تجلس أمام التلفاز لمشاهدة مباراة وبجانبك ابنك الذي تحثه دائماً على تجنب الألفاظ البذيئة والشتائم. وفجأة يضيّع لاعب فريقك المفضل هدفاً محققاً فتمطره بوابل من الشتائم، فيلتفت إليك ابنك بدهشة.. فماذا تقول له؟

- لكثرة ما ضيعت أمتنا من (أهداف محققة) في منافساتها مع الأمم الأخرى.. صار ضياع (هدف كروي) أتفه من أن يبعث على الشتائم.

* فتحت باب منزلك وهممت بالخروج، ولكنك لمحت جارك وهو ينقل صندوق النفايات المشترك بينك وبينه من أمام منزله ليضعه أمام باب منزلك.. ماذا تفعل، هل تواجهه فوراً، أم تختفي خلف الباب ثم تتصرف لاحقاً؟

- نفايات جاري أمام بابي تهون عند النفايات النووية التي تلقيها أمريكا ومعها (السلق الأوروبي) داخل العالم الإسلامي، بعض الساسة المسلمين اختفوا خلف الأبواب وقبضوا !!اخلصونا من النفايات الكبرى قبل الصغرى.

* في السوق ومعك زوجتك أيضاً، استوقفتك إحدى النساء وقالت لك: أنت الكاتب الفلاني؟، ثم بدأت تبدي إعجابها بكتاباتك، وزوجتك تتابع تفاصيل الحوار، هل تستطرد في الحديث مع هذه المرأة أم تحاول أن تنهي الحوار بسرعة؟

- الذي يدقق في ملامحي يستبعد أن توقفه امرأة!! ناهيك أن تبدي إعجابها به.

* أحدهم يستفزك إلى حد بعيد، فتبدو عليك مؤشرات الانفعال والغضب الشديد، وفي قمة التوتر يخبرك الشخص المستفز أنك أمام «الكاميرا الخفية»، ماذا ستصنع، وهل ستسمح بعرض المشهد؟

- سؤالك عن «الكاميرا الخفية» استفزني فكيف لو كنت أمامها؟ حينها سأتمنى أن يكون لي حجم (عيدي أمين) وقبضة (تايسون).. وسأكتفي بلكمة للكاميرا.. وثانية لحاملها.. وأخيرة للمحمولة إليه.. بعدها سأتنازل بالسماح بعرضها.

* تقرأ مقالة لصديق عزيز وتكتشف أنها مسروقة من كاتب آخر فهل تكشف السرقة أم....؟

- لو كشفت المسروقات بأنواعها كما يُكشف المسروق من المكتوب.. لصارت السرقة الأخيرة نوعاً من (اللمم)!

اكشف الأولى، وأنا أكشف الثانية..

* وأنت في منزلك، دق جرس الهاتف فرفع ابنك السماعة، وإذا به أحد الثقلاء الذين لا ترغب التحدث معهم، ماذا تقول لابنك؟

- وأنا أتساءل: وهل تخرج لنا التقنية الحديثة بـ (كاشف للثقلاء) كما أخرجت كاشف الأرقام حتى

نتخلص من إحراج الثقلاء وإحراج سؤالك.

* في البيت تشاجرت مع زوجتك كأي زوجين يتشاجران، ولكن ابنك الذي تحذره دائماً من الشجار مع إخوانه وأن الشجار صفة ذميمة، حضر فجأة وأنتما على هذه الحال، ماذا تفعل؟ هل تؤجل استكمال الشجار أم تشرح له الأسباب؟

- أعطني رجلاً له قدرة على المشاجرة وموضوع الولد سهل.

* جاء ابنك فرحاً بشهادة نجاحه من مدرسة أهلية، وقد حصل على تقدير ممتاز في مواد تعلم يقيناً أن ابنك ضعيف فيها كالرياضيات والنحو والعلوم.. هل ستفرح مثل ابنك، أم ستؤجل الفرحة إلى حين....؟

- تريد أن تقول إنها فرحة بنجاح مزيف!! ولا أرى في الموضوع جديداً.. فلو دققت النظر للاحظت أننا نفرح بنجاحات وإنجازات لها بريق!! وأعطيناها تقدير ممتاز والكل يعلم أنها (من برًا الله الله.. ومن جوا يعلم الله!).

* في مجلس عام يعج بالحاضرين، تلقي نكتة صاخبة تتوقع أن يضحك الكل منها: وتستقبل بوجوم من الحاضرين، ماذا تفعل بهم؟

-من يستقبل نكتة بالوجوم.. فلابد أنه مليء بالهموم.. فإعذاره أولى من الهجوم.. وهذا ما عرفناه من العادات و(السلوم).. وغير هذا أعتبره تصرف (رخوم)!!

- **اكشف الأولى وأنا أكشف الثانية!!**
- **أعطني رجلاً يستطيع مشاجرة زوجته!**
- **من لا يضحك على نكتي من «الرخوم».**
- **لو أكملت السهرة لأكرموني بعروس!**



* عند إشارة المرور تشاهد الراكب في السيارة المجاورة يفتح النافذة ويلقي المهملات في الشارع. تراودك نفسك أن توبّخه، لكنك تدرك أن مثل هذا الشخص عادة يكون غير محترم حتى في ردوده، وتخشى أن يستفزك بكلمة ساقطة، فماذا تقرر؟

- **يستفزني بكلمة «ساقطة»! وقبل هذا (أسقط) المهملات في الشارع! فأكيد أنه كان (يسقط) في مادة الأدب! وأنه (يساقط) بسيارته! فنصيحته أولى من (إسقاطه) من الاعتبار.. ثم (إن لكل «ساقطة» في الحي «بلدية» لاقطة).**

* دُعيت إلى حفل زفاف، وبالفعل ذهبت ودخلت صالة الحفل بكامل زينتك واحتفى بك الداعون كلٌّ يظن أنك مدعوٌّ من لدن الطرف الآخر، لكنك اكتشفت بعد جلوسك ضمن كبار الضيوف، أنك قد أخطأت العنوان، وأن الزفاف الذي دعيت إليه في موقع آخر غير هذه الصالة، كيف تتصرف.. هل تخرج لتدرك دعوتك أم تكمل السهرة مع هؤلاء منعاً للإحراج؟

- **تقول إني في «كامل الزينة» و«احتفى بي الداعون» و«أجلسوني ضمن كبار الضيوف»!! وتريدني أن أخرج؟! هؤلاء لو أكملت معهم السهرة لأكرموني بعروس!! طبعاً لأقدمها لابني.**

* عندما تعاقب ابنك بشدة، ويصرخ فيك: ياليت أبوي واحد غيرك: بماذا تجيبه؟

- **أقول له (وأنت «شايفني» قطعة غيار!!).**

* دُعيت إلى عقد قران أحد الزملاء، ولكن لست متأكداً من عنوان منزله، أخذت تدور في الحارة حتى وجدت منزلاً محاطاً بسيارات عديدة فأيقنت أنه هو. حملت باقة الورد ودخلت المنزل، فإذا بك قد أخطأت العنوان، وأن أهل هذا المنزل لديهم عزاء فماذا تفعل بباقة الورد ونفسك؟



حمد الماجد

- **هذا السؤال عن عقد قران.. وواحد قبله عن العرس!! ما هي قصتك بالضبط؟ إن كان فيك (حرّة عرس) فالبنات (على قفا من يشيل). وأعدك أن تكون هدية عرسك باقة الورد التي (أبلشتني) بها في العزاء.**

* على شط البحر، رأيت رجلاً وامرأة يتعرضان للغرق فمن ستنقذ؟

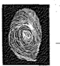
- **سأنقذ أكثرهما رشاقة حتى لا أكون ثالثهم.. وإن كانوا في الرشاقة سواء.. فأطولهم (شوشة)! وحتى لا تفهموني غلط.. طول «الشوشة» يساعد على (المعط) إلى شاطئ الأمان.**

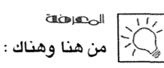
* عندما تتعارض رغبة ابنتك مع رغبة زوجتك، لأي الرغبتين تنتصر؟

- **أنتصر لمدينة (ثادق) لأن (رغبة) مدينة مجاورة منافسة!**

* والآن.. خذ نفساً عميقاً، ثم أعد النظر في إجاباتك من أولها إلى آخرها، ثم احكم بنفسك على نفسك: هل قلت كل الحقيقة.. أم نصف الحقيقة.. أم...؟! حكم نفسك (اختياري):

- **تسمي زاويتك نصف الحقيقة!! ثم (تمتحنّي) في حقيقة إجاباتي؟! (لا يستقيم الظل والعود أعوج).■**





المعرفة

من هنا وهناك :

في أمريكا:

الأمية مستفحلة!

الولايات المتحدة ـ أيضاً ـ تعاني خطر الأمية، ولكنها أمية من نوع آخر، حيث حذرت دراسة مثيرة من أن ٥٠ مليون أمريكي بالغ يواجهون خطر الأمية المهنية بسبب عدم معرفتهم بسبل التعامل مع شبكة الإنترنت. وتوقعت شركة للاستشارات التكنولوجية أن ٧٥٪ من المنازل الأمريكية ستكون متصلة بالإنترنت بحلول عام ٢٠٠٥م بزيادة ٥٠٪ عن الوقت الحالي. وأوضحت المؤسسة أن انتشار الإنترنت سيجعل الجهل بطريقة استخدامها مساوياً للجهل بالقراءة والكتابة، وحذرت من أن ٥٠ مليوناً سيجدون أنفسهم أميين وظيفياً في ظل الاقتصاد الجديد. وأظهرت الدراسة توفر الإنترنت لحوالي ٣٥٪ فقط من الأمريكيين ذوي الحالة الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة! كما تتوفر بنسبة ٥٣٪ للطبقة الوسطى السفلى و٧٩٪ في الطبقة الوسطى العليا، و٨٣٪ بين علية المجتمع.

وحذرت الدراسة من هذه الفجوة، وأضافت أن أجزاء كبيرة من سكان الولايات المتحدة تواجه خطر التخلف الاقتصادي والاجتماعي.

الإنترنت:

عناوين المواقع باللغة العربية

في أول إجراء لكسر احتكار اللغة الإنجليزية لعناوين «الإنترنت» بدأ في شهر نوفمبر من العام الماضي استخدام اللغات الآسيوية الثلاث الرئيسة لتحديد عناوين المواقع على الشبكة، وهي الصينية، واليابانية، والكورية.

ويقول أحد الخبراء إن استخدام اللغات الآسيوية سيوفر للشركات والأفراد أداة اتصال جديدة يعبرون بها إلى الثقافات الأخرى في العالم. وسوف يبدأ التسجيل في سبع دول آسيوية هي: الصين، وماليزيا، وإندونيسيا، والفلبين، وهونج كونج، وتايوان، وكوريا.



ومن المتوقع أن يجري استخدام اللغة العربية وعدد من اللغات الأخرى قريباً في عناوين الإنترنت لتصبح بالفعل شبكة كونية.

أنت ذكي.. لا تشخر!

أكد مجموعة من الأطباء الألمان أن الشخير يقلل من نسبة الذكاء، وأكدوا أيضاً أن بوسعهم التخلص منه بجراحة صغيرة تزيل أنسجة ناعمة من الفم والحنجرة، وذلك بعد أن اكتشفوا أن أداء الأشخاص المصابين بالشخير سيئ في اختبارات الذكاء وسرعة رد الفعل واختبارات التناغم البصري. وأثبت الأطباء أن جراحات الليزر يمكنها حل المشكلة عن طريق فصل أنسجة تسمح للمريض بالتنفس بحرية أكثر أثناء نومه.

الخدعة استمرت ١٧ سنة:

معلم لا يعرف القراءة ولا الكتابة!



قد لا يمكن تصديق هذه القصة لكنها حدثت بالفعل في إحدى المدارس الأمريكية، حيث قام المدرس جون كور كوران بتدريس اللغة الإنجليزية والدراسات الاجتماعية لمدة ١٧ سنة على الرغم من أنه يعاني مشكلة بسيطة وتبدو غير مؤثرة إطلاقاً وهي أنه «أمي» لا يعرف القراءة والكتابة!

واضطر جون إلى استخدام كل خدعة ممكنة لإخفاء معاناته من مرض يعرف باسم «اضطراب القدرة على القراءة»، أي القدرة على فهم الحروف المكتوبة أو ربطها بالكلام المسموع.

وحاول جون طوال حياته تجنب المواقف المحرجة مثل التهرب من تصحيح أوراق الاختبارات، وكان يفضل الشرح على أفلام بدلاً من الكتابة على السبورة. والطريف أن إدارة المدرسة لم تكتشف هذه المشكلة طوال ١٧ عاماً، لكنه أعلن عنها أخيراً وبدأ العلاج.

في بريطانيا:

أول مدرسة ثانوية إسلامية

وافقت الحكومة البريطانية على إقامة أول مدرسة ثانوية إسلامية حكومية في بريطانيا. وقالت صحيفة «الجارديان» البريطانية: إن المدرسة ستقام في مدينة براد فورد، وإن السلطات البريطانية خصصت مبلغ خمسة ملايين جنيه استرليني لتأسيس المدرسة. وسوف تخصص المدرسة للفتيات، ويتوقع أن تستوعب ٥٨٠ طالبة.



ادرس بمنحة من بيل جيتس

قدم «ملك الكمبيوتر» بيل جيتس أغنى رجل في العالم تبرعاً قدره ٢١٠ ملايين دولار لجامعة كيمبردج لتوفير منح دراسية للطلبة من جميع أنحاء العالم. يدرس الحاصلون على المنحة في معهد الصفوة البريطاني وتعطى المنحة للطلاب غير البريطانيين فقط.

هل يبصر المكفوفون؟

نجح علماء بلجيكيون في ابتكار «عين صناعية» تؤدي بعد إجراء المزيد من البحوث إلى تمكين المكفوفين من الرؤية. ونقلت صحيفة «صنداي تايمز» في عددها الصادر في ١٠ ديسمبر من العام الماضي عن العلماء قولهم أن العين مكنت سيدة مكفوفة منذ ٤٠ عاماً من الرؤية جزئياً. والعين الجديدة عبارة عن جهاز به كاميرا خاصة مركبة على عدستين معدلتين، وجهاز كمبيوتر دقيق للتعامل مع العلامات البصرية، وترتبط الكاميرا بأربعة قضبان كهربائية مزروعة خلف عين المريض تتولى تنبيه وتحفيز العصب البصري.

وأكد العلماء أن تجاربهم - في جامعة بلجيكية - مكنت المرأة من تكوين صورة غير واضحة تماماً لما تراه، وذلك لأول مرة منذ أصيبت بالعمى من جراء مرض في الشبكية. وقالوا إنه بعد التجارب التي استمرت عامين ونصف العام فإن المرأة قادرة الآن على الإدراك الجيد للأشياء، وإن المخ بات قادراً على استيعاب المعلومات الواردة من الكاميرا المركبة على العدسة.

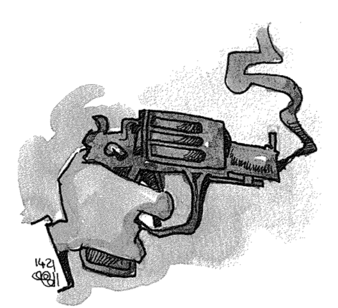
الأمريكيات يلاحقن «الدكتوراه»

أظهرت دراسة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية ارتفاع عدد النساء اللاتي يحصلن على درجة الدكتوراه، وأوضحت الدراسة التي أجريت على ٣٨٢ جامعة على مستوى البلاد أن ١٧ ألفاً و٣٢٢ سيدة حصلن على هذه الدرجة العلمية مع نهاية عام ١٩٩٧م، مما يشكل ٤١٪ من الحاصلين على الدكتوراه مع نهاية العام نفسه. وبالمقارنة على ما كان عليه الأمر من عشر سنوات تبين أن ثلث الحاصلين على الدكتوراه فقط كانوا من النساء عام ١٩٨٧م، وكانت نسبتهن لا تتعدى ١٢٪ عام ١٩٦٧م.

في أمريكا: طرد ٣٥٠٠ طالب يحملون السلاح!

فيما يعد مؤشراً على استمرار العنف في المدارس الأمريكية، أعلن المسؤولون الأمريكيون أن عدد الطلاب الذين تم طردهم من مدارسهم بسبب حمل السلاح بلغ ٣٥٠٠ طالب فقط مقارنة بـ ٥٧٠٠ طالب في عام ١٩٩٧م.

كما أشار تقرير حكومي أمريكي إلى أن نسبة الطلاب في المدارس الثانوية، الذين ذهبوا إلى مدارسهم حاملين أسلحة انخفضت إلى ٧٪ عام ١٩٩٩م مقارنة بـ ١٢٪ عام ١٩٩٣م. ومما يذكر أن نحو ٦٠ تلميذاً لقوا مصرعهم في حوادث عنف في الفترة من ١٩٩٧م إلى ١٩٩٨م.





مزارع فقيه للدواجن
أمناء على السعر
أمناء على الصنف
علف
نباتي
١٠٠%
فقيه



الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.

طرد

في هذه الحياة هناك الكثير من الأشياء الجديرة بالاهتمام والعناية، لكننا لا نعيرها اهتماماً.

هكذا همست لنفسها وهي ترى تلك التلميذة الصغيرة تقف مسندة ظهرها إلى جدار فصلها من الخارج بعد أن طردتها المعلمة من الحصة، بسبب شرودها الدائم. حاولت الاقتراب منها لكن ذلك سيسبب لها مشكلة مع زميلتها المعلمة، رمقتها من بعيد بنظرة فاحصة على جسدها النحيل، كانت عيناها قاحلتين ونظراتها زائغة، مضت في طريقها وهي تتساءل ما إذا كانت هذه الصغيرة ستكبر غداً، أم أنها ستبقى صغيرة، خصوصاً في عين معلمتها هذه.

سبب

قالت: هل تصدقين؟ المعلمات في مدرستنا لسن معلمات..! تقف الواحدة منهن تشرح الدرس وتسألنا في الدرس الجديد بعض الأسئلة والتي تكون إجابتها لم تتطرق إليها بعد، نصمت وأحياناً نجيب إجابة خاطئة.

قلت: وما المشكلة، إنها تسأل عن المعلومات الجديدة للتشويق.

قالت: ولكنها تضحك بصوت عال حينما نفشل في الإجابة وتنظر إلينا بازدراء شديد ثم تطلق بعض عبارات السخرية التي تجعل الواحدة منا تكره المدرسة ومن فيها، وتزعزع ثقتنا في أنفسنا، وتنكد علينا بقية اليوم.

قلت: ربما هذا سبب آخر في أن الجيل يذهب لدور العلم، لكنه لا يتعلم.

دمعة

استدارت نحو حقيبتها القابعة في الخلف، أخرجت كتابها وكراستها وأسقطت دمعة حارة داخل الحقيبة ثم التفتت للسبورة وكأن شيئاً لم يكن.

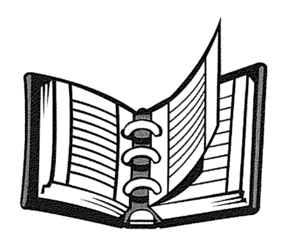
مهمة

عبر الزمان كانت رحلة الإنسان على هذا الكوكب تضج بالحياة .. الحياة بكل ما فيها من جمال وبؤس وكدر ونقاء.

وفيما أشرقت الحضارة من الشرفات، تمددت معالم الفقر والحرمان في الطرقات، ولم يتح لشمس الشرفة أن تمحو بؤس الطريق، كما لم تستطع، الطرقات البائسة حجب الشمس يوماً عن شرفاتها، إلا في فترات متقطعة، وكان ذلك خلال التاريخ الإسلامي المجيد، عندما ساد الأرض سلام نبت من حقل الإسلام، فتذوق الإنسان للمرة الأولى طعم الحياة الحقيقي، ومن حق الإنسان أن يطلع على هذه الحقبة الوضاءة من التاريخ، وتلك مهمة المسلمين اليوم.

وقفة

لأن أحداً لم يعد يطلب العلم بحثاً عن العلم، أو طلباً



فاطمة السهيمي
عسير

لشرفه فإنهم يحسبون الأيام التي انصرمت في أروقة المدارس والجامعات والكليات أيام ضائعة من العمر، وعليه فإنه لم يبق من العمر شيئ إذ إن المتبقي منه سينفق في البحث عن ثمن التضحية ومكافأة طلب العلم.

تعويض

ثلاث مرات متتالية أحاول فيها محادثة أمي فتعرض عني لأنها مشغولة بالعناية بهندامها وشعرها استعداداً للذهاب لزواج صديقتها هذه الليلة، وثلاث مرات متتالية ينهرني أبي هذا اليوم لأنني حاولت فيها الحديث معه أثناء انهماكه مع الحاسب، وثلاث مرات شرفت فيها إدارة المدرسة هذا اليوم امتثالاً لأمر المعلم الذي أمرني بمغادرة الفصل ثلاث حصص متتالية، ولكن هذه الغصص المتتالية زالت لأنني أحرزت هذا اليوم ثلاثة أهداف متتالية بفريق الحارة، ومن يومها اعتدت إحراز الأهداف بعد الغصص التي أتجرعها كل يوم في البيت والمدرسة، وطبعاً يوماً بعد يوم زادت أهدافي وزادت منزلتي عند الجميع، ما عدا والدي ومعلمي.. ونفسي!

بين الأمل .. وطول الأمل

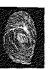
في الشريعة الغراء تحذيرات متعددة من طول الأمل، وفي الشريعة نفسها دعوات متعددة - أيضاً - للنظر للحياة بعين الأمل والتفاؤل .. ثمرات الأمل الحلوة يمررها طول الأمل ويسرق حلاوتها.. فالأمل - بالله وحده - هو الذي يجعل الميؤوس من حياته ينام والشفاء يلوح له في الغد فتطيب نفسه وإن طال عليه الأمد - ومثاله أيوب عليه السلام - والأمل هو الذي يجعل الوالد المكلوم الذي رحل عنه فلذة كبده في ظروف غامضة ينتظر طلعته مع تباشير الغد - ومثاله يعقوب عليه السلام - والأمل هو الذي يجعل السجين في غياهب الظلم والحديد ينتظر أن تعلن الشمس براءته - والمثال يوسف عليه السلام -.

فيما تضج حياة النبي ﷺ بهذه المواقف الوضاءة. ولنأخذ مثالاً واحداً وهو موقفه ﷺ من تعذيب قومه بإطباق أحد جبال مكة عليهم، فأبى على أمل أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله، إنه اليقين التام والثقة المطلقة في الله وهذا وجه آخر للكلمة: الأمل بالله، التي نعنيها ويترنم بها من ذاق طعمها والتذ به.

أما طول الأمل - المذموم شرعاً - فهو التسويف والمماطلة واتباع الهوى وما تمليه شهوات النفس والشيطان، فغداً أتوب وغداً أكفر عن أخطائي وخطيئاتي، وغداً أتخلص من عيوبي وأهوائي، وغداً أصبح شخصاً آخر وغداً أفعل، وغداً أصنع، ويمضي العمر باتجاه النهاية، وينبتر حبل الأمل وتتقطع الأسباب، وتنتثر أيام العمر الغالية على الجنبات، وتموت الأماني في الطرقات ويحشى القبر برفات الندم..!

أمل

لأنه مسلم، سيظل ينبعث حتى من الجفن الميت.. بعض الضوء.■



حياة كل واحد منا، جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسناً . . وعماذا هو يتحدث إذاً، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيباً، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك! ، وضيف هذا العدد هو :
الأستاذ إبراهيم بن علي الميمان - اللواء متقاعد، وعضو مجلس الشورى حالياً

المعرفة

اللواء إبراهيم الميمان:

فشلت في توحيد نظام المـ

قبل قيام مجلس التعاون الخليجي كانت توجد الأمانة العامة الصحية لدول الخليج العربية، وكان الأمين العام آنذاك سعادة الأخ الدكتور جلال آشي، ومقر الأمانة مدينة الرياض، ويمثل كل دولة وزير الصحة ثم تقرر فيما بعد أن تكون هناك لجنة فرعية مكونة من مندوبين أحدهما من وزارة الصحة والآخر من وزارة الداخلية. وقد كلفت بهذه المهمة عن وزارة الداخلية ومندوب وزارة الصحة الأخ الدكتور محمد اسحق خواشكجي مدير مستشفى الرياض المركزي. وكنا مع بقية مندوبي الدول الشقيقة نعقد اجتماعات دورية وتحضيرية بالتناوب في دول الخليج العربية، وكان يشاركنا بالإضافة إلى دول الخليج العراق. وقد تعمقت اللجنة في معالجة الأوضاع المرورية «وخصوصاً الحوادث» والإصابات الناتجه عنها، وتقرر نتيجة تلك الاجتماعات دراسة إمكانية توحيد نظام المرور في دول الخليج العربية في نظام واحد وأسندت رئاسة المهمة لي مع الإخوة الزملاء في وزارة الداخلية، وأعددنا مسودة النظام واستمرينا في مناقشته حتى أوشك على النهاية ولكن كان الفشل حليفنا في عدم صدور ذلك النظام.

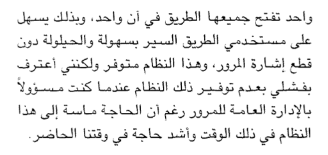


ـرور الخليجي

* ورغم الفشل في عدم توحيد نظام المرور في نظام واحد في تلك الحقبة إلا أنني مع الإخوة الزملاء في اللجنة الفرعية وسعادة الأخ الدكتور جلال أشي الأمين العام نجحنا في إخراج برنامج «قف» التوعوي. وقد تحملت المملكة العربية السعودية في ذلك الوقت نصيب العراق من تكلفة البرنامج عندما اعتذر مندوبا العراق عن عدم القدرة على دفع نصيبهم المالي في تكلفة البرنامج لمؤسسة الإنتاج البرامجي لدول الخليج العربية.

* فشلت في توفير نظام التحكم في إشارات المرور الضوئية. ونظام التحكم أو جهاز التحكم في إشارات المرور الضوئية يتلخص في أن الإشارات الموجودة في شارع


إبراهيم الميمان



- **فشلت في توفير نظام التحكم في إشارات المرور.**
- **كنت أتصل بأولياء الأمور من أجل إقناع أبنائهم بالخدمة العسكرية.**
- **فشلت في حل مشكلة فندق «جريس» ببانكوك.**
- **فشلت في تكوين صداقات جيدة.**

واحد تفتح جميعها الطريق في آن واحد، وبذلك يسهل على مستخدمي الطريق السير بسهولة والحيلولة دون قطع إشارة المرور، وهذا النظام متوفر ولكنني أعترف بفشلي بعدم توفير ذلك النظام عندما كنت مسؤولاً بالإدارة العامة للمرور رغم أن الحاجة ماسة إلى هذا النظام في ذلك الوقت وأشد حاجة في وقتنا الحاضر.

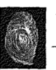
* في إحدى المحاضرات التي كنت ألقيها في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود عن الخسائر البشرية والمادية والاجتماعية الناتجة عن حوادث الطرق، وأثرها على البلاد فشلت عندما دخلت في مناقشة جدلية مع أحد الإخوة الأساتذة عندما قال: (هذه المحاضرة تسوقنا للمثالية المطلقة التي يصعب تحقيقها) فكان لهذا القول أثر إيجابي في أذهان الإخوة الطلاب الحاضرين وإن كان «مؤقتاً» ولكنه حال دون الإقناع.

* مشكلتي أن جميع الأعمال التي زاولتها لها صلة بالشباب بمختلف طبقاتهم، الدنيا، الوسطى، والعليا. فمن المرور إلى التدريب إلى مكافحة المخدرات. فقبل واحد وعشرين عاماً عندما كنت مديراً للإدارة العامة للتدريب بالأمن العام كنا نستقطب الشباب للدراسة والتدريب في المجال الأمني، وكان وقتئذ الشباب ينفرون من الخدمة العسكرية وخصوصاً بعد التجربة بالانخراط في أحد المعاهد المتخصصة فيعزفون وينصرفون عنها. وأذكر أنني شخصياً كنت أتصل تليفونياً بآباء وأولياء أمور الطلاب وأترجاهم وأتمنى عليهم إقناع أبنائهم وإرجاعهم مرة ثانية مع وعود مشجعة لهم، ولكنني أعترف بفشلي في إقناعهم آنذاك.

* جاءني الأب في عملي يرتعش. الولد ذهب للبر منذ أسبوع حسبما قال لنا ولا نعلم عنه شيئاً، وبعد تسجيل المعلومات تأكد لي أن سيارته واقفة بموقف مطار الملك خالد الدولي، وبعد ساعة تأكد لي أنه يسكن في «فندق جريس» في بانكوك وتم ترحيله بعدها بأربع ساعات للمملكة وبعد وصوله ظهر لي أنه «يتعاطى» وبدأت بإقناع الوالد إلا أنني فشلت فشلاً ذريعاً في إقناعه والتعاون على معالجته قبل أن يستفحل الأمر ولكن إذا فات الفوت ما ينفع الصوت.

* أعترف بفشلي وعدم قدرتي على قراءة ما يقارب سبعمائة كتاب ودورية، ومجلة متخصصة محفوظة في مكتبتي.

* أرجو ألا يكون هذا القول صحيحاً = زمن مشرق ولى، وزمن قاتم جاء فحوّل الناس من حالة الحب والتضحية والتعاون إلى حالة غريبة من الحقد والكراهية والأنانية وألوهية المال فسأفشل مقدماً في تكوين صداقات جديدة إن صح ذلك. ■



كثيراً ما نردد في مجالسنا: لو كنت مكان فلان لعملت كذا، ولو كنت مكان علان لما عملت كذا! والأمثال تقول: «ليس من رأى كمن سمع»، و «وما يوجس النار إلا واطيها»!
نحن - هنا في المعرفة - نحاول أن نوجد مقاربة سوريالية بين الخيال والواقع.
نصدر «قراراً معرفياً» بتعيين فلان في المنصب الفلاني لمدة ٧ أيام، لننظر هل ستكون هذه الأيام سبعاً سماناً أم عجافاً، أم غير ذلك؟
ها هو صاحب المنصب الخرافي يتحدث إليكم . .

عبدالله القفاري:

جائزة ثمينة لمن يعثر على «العقل

المنصب: وزير حماية العقل العربي.
المرشح : عبدالله القفاري ـ كاتب سعودي.

لا أعرف **لماذا وقع عليَّ الاختيار لأكون وزيراً لحماية العقل العربي... أين ذهب عقلاء هذا الوطن العربي الكبير الممتد من الماء إلى الماء... لأظفر وحدي بهذا المنصب الخطير... في أحدث منصب ابتدعته مخيلة عقلاء المعرفة!**

لو كانوا خيروني فلربما اخترت منصب وزير البلاط المرمري.. عندها كم تخيلت مهمتي السهلة، المرنة، التي تتعامل مع البلاط والسيراميك والمرمر.. ولاستطعت بمواهبي الفذة أن أنفذ إلى طبقة من الرخام لها بريق ولا بريق العصر الذهبي. فنحن العقلاء أقدر الناس على (الجلي.. والمسح.. والتلميع).. ولاستطعت أن أقنع بني قومي من الماء إلى الماء أن البلاط المرمري أقدر على تحمل صروف الزمن وويلاته من بلاطهم الحجري العتيق.

ولو خيروني مثلاً لاخترت أن أكون وزيراً لرعاية شؤون الشعراء والموهوبين، ولطفت بلادي من الماء إلى الماء (أيضاً).. أبشر بمواهب شعراء المعلقات الجدد، وحافظي المتون القديمة والجديدة، وشارحي الدواوين، وشارحي شارحي الدواوين. فسوق الشعر في أيامنا هذه إلى كساد، وموهوبونا تعطلت ملكاتهم عن قرض الشعر أو ترديد عيونه، ولنازلت بهم موهوبي وزارة المعارف الجدد الذين استعادوا اليوم ذاكرة الكلام العربي الجميل المنمق الموزون.

ولو خيروني لاخترت... ولكنهم لم يخيروني... وما حيلتي الآن سوى القبول والإذعان... إذن تريدونني وزيراً لحماية العقل العربي فليكن، ولكن عليكم أن تمنحوني سلطات الوزير الأصيل كاملة غير منقوصة، وتسلموا لي عقولكم: لتكون في حمايتي وتحت رعايتي.

اليوم الأول:

لم يكن كأي يوم آخر في حياتي.. إنه يوم الوزارة الأول، ولأني وزير مسؤول عن حماية العقل العربي.. فقد وجدت أن واجبي الأول أن اكتشف ما صنعته العهود البائدة، وأن لا أرهن معرفتي بحدود ما يقدمه وكلاء الوزارة. لقد أمرت مدير مكتبي أن يجمع كل (إضبارات) الوزارة منذ أن تشكلت المعالم الأولى للعقل العربي، وأن يقفل باب مكتبي جيداً، وأن يتقبل التهاني نيابة عني، وأن يعلق لوحة على باب المكتب تشير إلى أن الوزير في اجتماع مغلق قد يطول مع العقل العربي، وأن يضع رسالة في هاتف المكتب تشير إلى أن الوزير لن يبرح مقعده حتى يبحث كل التفاصيل مع العقل العربي الموكل بحمايته.

المفاجأة الكبرى.. إنني اكتشفت أن لا أثر للعقل العربي في (إضبارات) الوزارة العتيدة، بحثت عنه في المعلقات وبين الدواوين، وفي المصنفات، وفي كتب الأولين والمتأخرين... وحتى تحت طاولة الوزير.. لم أترك ورقة لم أتصفحها إلا استجديتها أن تفصح عن مكانه، ولم أبرح كتاباً مغلقاً أو مفتوحاً.. تقليدياً أو حداثياً، ورقياً أو إلكترونياً إلا توسلت إليه أن يدلني على مكانه.

خرجت في المساء، وأنا أجر أذيال الفشل في العثور على أثر له،



خرجت منهكاً، وقد علت وجهي أمارات التعب والذهول... حتى (بشت) الوزارة، لبسته بالمقلوب ولم أفطن لذلك لولا ابتسامات مدير المكتب، الذي ظل يومئ لي حتى ذهب ظني إلى أنه شاهد العقل العربي يرقص على إحدى كتفي مبتهجاً بهذه اللعبة السمجة..

اليوم الثاني:

لم أتردد صباح هذا اليوم من دعوة وكلاء الوزارة الثلاثة لاجتماع عاجل.. وكيل الوزارة لشؤون التفكير، وكيل الوزارة لشؤون التعبير، وكيل الوزارة لشؤون التحرير.. ولم أتردد في أن أفاتحهم أن الأمر جد خطير، وأن غياب العقل العربي عن مدونات الوزارة، وأرشيفها، وتاريخها، وحركتها اليومية والأسبوعية والشهرية ليس له إلا معنى واحد أن هناك مؤامرة تحاك للوزير الجديد لإحراجه أمام الرأي العام العالمي، كما أن هناك مؤامرة كبيرة تعرض لها العقل العربي.. على الوكلاء أن يجتهدوا لكشف أبعادها وحجم تأثيراتها وملابساتها، وقبل ذلك علينا جميعاً أن نعمل شيئاً لاستعادة العقل العربي المفقود.

ران صمت مطبق على الوكلاء الثلاثة... قبل أن ينبري وكيل الوزارة لشؤون التفكير، الذي أبدى سروراً عظيماً بحديث الوزير.. الحريص على مصلحة الأمة، والمتفاني في خدمة المجتمع، وأكد أن وكالة الوزارة لشؤون التفكير، ستُعملُ التفكير جيداً، وستعيد النظر مراراً وتكراراً حتى تكشف أبعاد ملابسات الغياب.. وهي ترجح على أي حال أن العقل العربي ربما تعثر واحتبس بين دفتي مخطوط قديم..

إلا أن وكيل الوزارة لشؤون التحرير، أبدى تحفظه الشديد على اتهام مدونات التراث باعتقال العقل العربي... فهناك حادث قديم كشف أن التهمة الجاهزة التي يطلقها البعض على المدونات التاريخية والكتب الصفراء، ليست سوى استجابة لتأثيرات خارجية... تحيك مؤامرات لا تنتهي لعزل العقل العربي عن تراثه المجيد.. وأقسم إنه خاطب العقل العربي مراراً واكتشف أنه مغرم بالتاريخ، يتوق إلى العيش في ردهاته، لا يتصور أنه يمكن أن يتنفس خارج روائح الماضي السحيق وما دون السحيق... وإن كان من

- **سأضع ثلاثة وكلاء وزارة: لشؤون التفكير وشؤون التعبير وشؤون التحرير.**
- **نحن العقلاء أقدر الناس على «الجلي» و«المسح» و«التلميع».**
- **العقل العربي لايتنفس إلا روائح الماضي السحيق.**
- **حماية العقل العربي تكمن في حريته!!**

تهمة تلقى فالمسؤول عنها الفكر الوافد الذي لم يدع نافذة لهدم أمجادنا التاريخية إلا وتسرب منها. وإنه لايستبعد أن يكون العقل العربي أسيراً في جزر (باق الباق) لدى حفنة من مسوقي علائق العولمة الجديدة بين الشرق والغرب.

أما وكيل الوزارة لشؤون التعبير فلم يزد أن قال، إن وكالته تعبر عن أسفها العميق على هذا الحادث المؤسف، وإنها على أتم استعداد لصياغة بيان يشجب ويندد ويستنكر، ويطالب المجتمع الدولي والعالم الحر، بالعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بقايا العقل العربي: خدمة للتراث العالمي، وحفاظاً على العلاقات الجيدة مع الشعوب المحبة للسلام.

خرجت من الاجتماع وقد اعتصبت (غترة) الوزارة، وطلبت من مدير المكتب أن يعد في اليوم التالي لمؤتمر صحفي يدعو إليه مسؤولي التحرير في الصحف المحلية والوطنية والقومية. كما طلبت من وكيل الوزارة لشؤون التعبير أن يعد بياناً صحفياً يتضمن إعلاناً عن فقدان العقل العربي، والخشية من اعتقاله في مكان ما.. وجائزة ثمينة لمن يعثر عليه أو يفك أسره ويسلمه إلى قسم الأرشيف في قبو الوزارة.

اليوم الثالث:

دخلت إلى القاعة الباذخة، بجوار مكتبي والتي أعادت الوزارة تجهيزها ببضعة ملايين احتفاء بتعييني الميمون... وبعد أن ألقيت التحية على الحاضرين أبديت أسفي الشديد لهذا الحادث الغريب، وشوقي العظيم للقاء العقل العربي عما قريب، ويقيني التام أنه في مكان ما يستمتع بإجازة لن تطول، ثم أذنت للحضور من الصحفيين بطرح أسئلتهم..

السؤال الأول جاء من مندوب صحيفة الساحل الذي أكد ثقة الدولة في شخصي، وأني خير خلف لخير سلف. وطلب مني أن أبوح بمشاعري في اللحظة التاريخية الحاسمة التي أعقبت سماعي من المذياع خبر توزيري.

أما مندوب صحيفة البستان، فأكد أهمية الإعلان التجاري في الصحافة المحلية، وأن الوزارة كانت مسؤولة عن توفير عُقل العقل، وكان الأولى بالوزارة أن تعقلها وتتوكل. وسألني عن إدارة العُقل، وعما إذا كانت مسؤولة عن انفلات العقل.

مندوب صحيفة البلدة، أكد أن صحيفة البلدة منكم وإليكم (وسمننا في دقيقنا)، وأنها وإن كانت أحدث الصحف القومية إلا أنها صحيفة عاقلة، وتحترم العقل، وهي على استعداد أن تساهم في تغطية هذا الحدث على نحو غير مسبوق، وأنها مازالت تعتقد بأن حمى الوادي المتصدع مسؤولة عن غياب العقل العربي، وربما هيجته أيضاً، وأن الصحيفة لاتريد أكثر من زيادة نسبة اشتراكات الوزارة، حتى تقف البلدة على أقدامها في هذا الظرف التاريخي الحرج الذي تمر به.

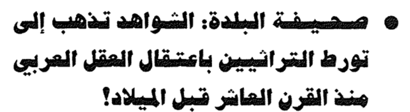
انتهى المؤتمر الصحفي بتوزيع البيان على المندوبين مع شكرهم على تجشمهم عناء الحضور، والمشاركة في هم وطني كبير، مع الإعلان عن جائزة كبيرة لمن يدل أو يساعد على اكتشاف العقل العربي. وكانت هناك بجوار القاعة مأدبة دسمة تنتظر المشاركين وبضع هدايا رمزية.. لاغير.

اليوم الرابع:

عناوين الصحف هذا الصباح، قدمت جملة من المعطيات الإيجابية، التي تذهب إلى تأكيد نجاح الوزارة في التعامل بشفافية عالية مع الرأي العام العربي.. صحيفة البلدة حملت عنواناً بارزاً: الشواهد تذهب إلى تورط التراثيين باعتقال العقل العربي منذ القرن العاشر قبل الميلاد.. البستان: العسكريون اغتالوا العقل العربي بعد إعلانهم البيان الأول.. الساحل: شهود عيان يؤكدون: العقل العربي يتسول على أبواب العقارية.. في هذا اليوم أصدرت قراراً بتشكيل غرفة عمليات في الوزارة لمتابعة التطورات الجارية على صعيد البحث عن العقل العربي حياً أو ميتاً.

اليوم الخامس:

اليوم.. لم أستطع الوصول بسهولة إلى باب الوزارة، كان هناك جمهور عظيم، تكتظ به المواقف والمداخل والمخارج... ومن مختلف الشرائح الاجتماعية... نساء ورجال، شيوخ وشباب، فقراء وأغنياء، رجال بلا أعمال.. الكل متحفز ويقظ.. يهتف.. يخطب.. سوق كبير... بدأ كل واحد منهم يعرض بضاعته.. إنها ليست سوى (العقل) الذي تبحث عنه الوزارة... هكذا يقول كل منهم.. لقد وجدته صرخ أحدهم.. إنه هنا وقد أخذ يشير إلى رأسه الحسير... انبرى آخر وهو يشير إلى جيبه الكبير...



- **صحيفة البلدة: الشواهد تذهب إلى تورط التراثيين باعتقال العقل العربي منذ القرن العاشر قبل الميلاد!**

- **صحيفة البستان: العسكريون اغتالوا العقل العربي بعد إعلانهم البيان الأول!**

- **أنا الوزير المعين لحماية العقل العربي.. أعلن فشلي الذريع في مهمتي!!**



عبدالله القفاري

صرخ ثالث: تباً لكما لو خليتُ لخربت.. أين ذهب الأولون والفضل للمتقدم.

بصعوبة بالغة وصلت إلى مكتبي، وعلى الفور أصدرت قراراً بتشكيل لجنة رفيعة المستوى لبحث طلبات الاكتشاف التي يتقدم بها الجمهور: شريطة أن تسلم (بعرايض) مدموغة بطابع بريد العقل العربي.

اليوم السادس:

في هذا اليوم ظهرت مفاجأة سارة.. فقد بدأت الأنباء تترى عن انبعاث العقل العربي في بعض مناطق الأقطار العربية المحررة. ووصلت الأنباء عن أن هناك صوتاً جديداً يشق الآفاق، ويلقى ترحاباً غير معهود في أوساط المجتمعات العربية. وبدأت تظهر على وجوه الناس علامات التفاؤل والإشراق... وأبرقت حال وصولي مكتبي إلى الولايات العربية التي بدأت تفد الأنباء منها عن تحركات العقل العربي من سباته أو غيبته الطويلة.. مناشداً المسؤولين هناك تمكين وفد الوزارة من الالتقاء بالعقل العربي، وبحث السبل الكفيلة لتعزيز حمايته.. ولكن لم أتلق جواباً حتى مساء ذلك اليوم.

اليوم السابع:

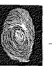
ما إن وصلت مكتبي، حتى بدأت أجري بعض الاتصالات المهمة لمتابعة حركة العقل العربي.. وكم كانت الصدمة قاسية ومؤلمة عندما بُلّغت عبر البريد الإلكتروني أن هناك مجموعات مناوئة للعقل.. رصدته في الأيام الأخيرة لتحركاته وأعدت له كميناً قرب تجمعات الإبل الشاردة، وأنه يعتقد أنها نالت منه.. حتى إن الإبل أصيبت بالهيجان وبدأت تهاجم بعضها في جنون.. وصل حد الإبادة بالسلاح الأبيض.

وفي هذا اليوم استليت ورقة من درج مكتبي وكتبت فيها:

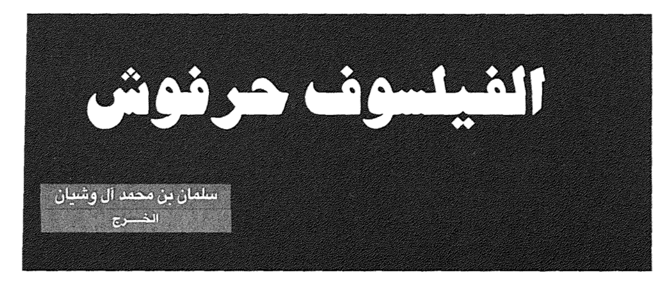
(أنا الوزير المُعين لحماية العقل العربي، أعلن فشلي الذريع في مهمتي، وأعتقد أنه ربما يستحيل حماية العقل العربي في هذا العصر... وبانتظار عصر آخر، أمل أن تنبعث فيه رائحة عقل عربي جديد.. لا يحتاج إلى حماية من أحد.. بل إن حمايته تكمن في حريته، وحريته تكمن في فهم طبيعة حركته.. التي تتجاوز أطر وزارات الحماية العتيدة، إلى اليقين العام بقيمة هذه الحرية وضرورة الدفاع عنها... أشكر لكم ثقتكم التي منحتموني إياها.. وأرجو قبول استقالتي من منصبي). ■



الربيع
مانجو
برتقال
نكتار
nectar
AL-RABIE
قمة الاثارة!



أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضاً على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



الفيلسوف حرفوش

سلمان بن محمد آل وشيان
الخــــرج

استطعنا بفضل الله أولاً ثم بفضل جهود مراسلنا أن نتوصل إلى لقاء مثير مع الفيلسوف الشهير حرفوش، وهو أحد فلاسفة البعكوكة المستترين وجوباً. ونحن هنا ننقل إليكم الفاظه كما هي وعليكم أن تقبلوها على الأوجه الستة كما يقول النحاة لتتم لكم المعرفة من جوانبها فحيث شجرة المعرفة هناك الجنة أبداً كما يقول نيتشة.

*** حضرة الفيلسوف حرفوش، هل من كلمة تكون صافرة ابتداء لهذا اللقاء؟**

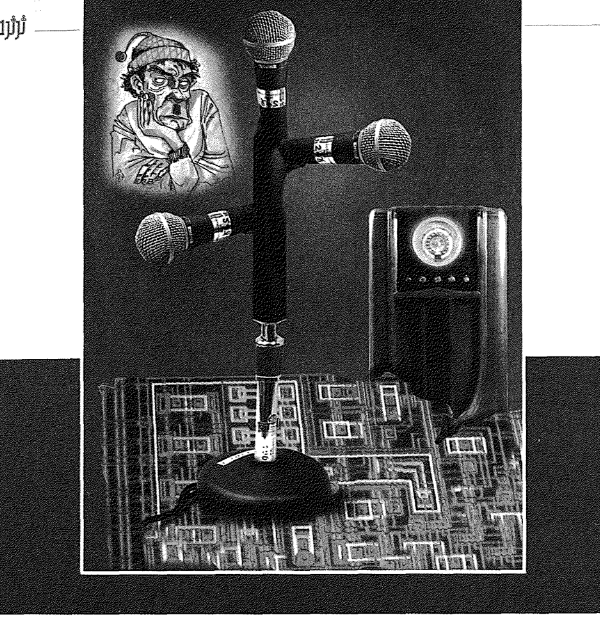
- أحب أن أقول: إن هذه الكلمات التي نهزر بها ليست من باب السخرية والاستهزاء وإن كان هذا ظاهرها. فالحياة تخفي نعيمها بشيء من القسوة، ولسنا على مذهب الأم التي قالت لولدها «ياعزيزي لا تسمح لنفسك البتة إلا بالحماقات التي تمنحك لذة كبرى».

لا لسنا من أولئك في شيء، وإنما هدفنا أن نوضح الحقيقة كما هي بدون رتوش أو تزيين.

إننا نملك مخزوناً هائلاً من القصص والحكايات والوقائع، ولا ينقص هذا المخزون إلا القلم الصادق الذي يهمي بهذه الحقائق دون مواربة، أو تردد، وإن له بين يدي ربه لمعاداً، هذا ما أود قوله في بداية هذا اللقاء، إنها حياتنا وإنها أخطاؤنا، فإما أن نكون أو لا نكون وتلك هي القضية.

*** تحصل مسابقات ومنافسات حول وظائف تطرحها الوزارة، فما المبدأ الذي تقوم عليه هذه المنافسات؟ ومن الواصل إلى الترشيح؟**

- هذا سؤال مر المذاق. وبشيء من الإيجاز المخل، الذي يصل أحد شخصين، إما رجلاً «عظامياً» يكثر من



استخدام فيتامين (و) ، وإما رجلاً فيتامينياً يكثر من لحس عظام أبانه. وأما المبدأ فليس أصدق مما قال شاعرنا فيه:

هذا زمان ليس فيه سوى النذالة والجهالة
لم يرق فيه صاعد إلا وسلمه النذالة

ملحوظة حرفوشية: لكل عموم مخصصات: إما لغوية وإما عقلية وإما عرفية.

*** بطون الطلاب لها حديث خاص مع مقاصف المدارس، قد يؤدي هذا الحديث إلى حدث أصغر، فما قولكم لهذه البطون؟**

- بطون الطلاب أصبحت متلائمة مع ظروف عصرها، وكانوا يقولون: البطن ابن بيئته. وعلى كل الأحوال أصبحت هذه البطون كدود القبر لا يفرق بين لحم وشبه لحم، والبركة في إدارات المدارس.

*** ما رأيكم في المعلمين الانتهازيين الممجدين لأنفسهم؟**

- قولي هو قول الشاعر:

جعلت من الوظيفة جو صيد
يجول المكر فيه والضلال
فلا يخدعك ما أحرزت فيها
فما أحرزت يرقبه الزوال
وقد تعلي الوظائف حامليها
كما تعلي المشانيق الحبال

*** كثير من الآباء يقسون على أبنائهم بحجة الخوف عليهم؛ فيقتلون فيهم معاني الرجولة والإنسانية ويسلخونهم من إرادتهم ويجعلونهم**

مترددين حيال المواقف الصعبة في حياتهم، هل من كلمة لهؤلاء الآباء؟

– إن التربية الحديثة ترفض هذا المبدأ، فالابن إنسان له حياته التي يجب أن يحياها وليس لك من هذه الحياة أيها الأب إلا الإرشاد والتوجيه برفق ولين ومحبة، ثم اعلم أن لكل شاب فورة ثم تنتهي بعد إلى واقعها وما عليك إلا الصبر والأناة. ثم تذكر أيها الأب الشرس أنك كنت في يوم من الأيام ابناً عنيداً صعب المراس، تعتد برأيك ورجولتك، فلا تقتل طفولة ابنك فيعيش حياته مهما مضى به الزمان طفلاً في صورة رجل.

قد كنت في الماضي تكابر مثلهم
وتعد رأيك باعتدادك راجحا
وتصد عن عظة المجرب هازئاً
مما تعلم في الحياة مكافحا
هذا السبيل جريتُ فيه يافعاً
واليوم تحسبه ضلالاً فادحا
مازلت ترفض من أبيك نصيحة
حتى غدوت أباً غيوراً ناصحا

*** تحدث أحياناً خلافات بين منسوبي الوزارة من معلمين ومديرين وموجهين، فينتج عن ذلك حقد وبغضاء تسبب في إيجاد جو متوتر مليء بالتربص ومحاولة التصيد لأخطاء الآخرين، فما توجيهكم؟**

– إن أفراد العائلة الواحدة يحصل بينهم مثل ذلك، ولكن الحقائق الكبرى تبقى حقائق وهي بذلك تقتل كل ما يحاول إفسادها أو العبث بها. والخلاف في قضية من القضايا هو بداية اتفاق في غيرها عند العقلاء. إن الحقيقة كحجر النرد من أين نظرت إليه رأيت جانباً منه، ولن تكون النظرة متكاملة حتى تتوحد الجهود ويكون الهدف الذي يسعى له الجميع واحداً وواضحاً في أذهانهم.

والذي يسمح للبغض أن يدب في قلبه ويملك عليه مشاعره يكون بذلك قبراً لإنسانيته.

يقول جبران: «البغض جثة راقدة فمن يرغب منكم أن يكون قبراً».

وشر الناس في الدنيا حقود
يظل لكل ساقطة يصيد
شغوف بالسفاسف أين سارت
به قدماه عنها لا يحيد
يكيل لغيره ظلماً ويجني
مرارات الهوان بما يكيد
ومن في جوفه نار تلظى
تدفق بين شدقيه الصديد

ولا يمنع ذلك أن يكون بين صفوف ذوي الهيئات من المعلمين والإداريين أصحاب مطامع ومآرب شخصية ولكنهم قليل، والزمن كفيل بتأديبهم وتجاوزهم.

*** سؤال طريف، سائقو الفانات، يكونون أحياناً كثيرة من كبار السن ولكنهم في قيادتهم وبعض تصرفاتهم كالأطفال الصغار، هل للجو الأنثوي أثر في تصرفاتهم وأخلاقياتهم، مع ملاحظة أن بعضهم ضم إلى وظيفة سائق وظيفة خاطبة؟**

– هؤلاء كما يقول الشاعر:

قالوا كبرت وكيف يكبر من له قلب طروب
بعض القلوب جلامد والبعض من شوق يذوب
كيف السلو وفوق سطح الأرض رعبوب ربيب
قلبي يحس وهذه عيني تحث فيستجيب

*** ما رأيكم في دفتر التحضير؟**

– ما كنت أظن مسلماً يسأل عن ذلك، ألا تعلم أن تحضير الأرواح لا يجوز وهو أمر خرافي.

*** أقصد دفتر تحضير المواد التي يدرسها المعلم؟**

– أوه، أراه عبثاً عندما أكون معلماً، وأراه الركن الأساس والجزء الذي لا يتجزأ في عملية التعليم عندما أكون موجهاً أو مديراً.

*** مارأيكم في مستشفى لمنسوبي وزارة المعارف؟**

– لا أراه إلا الذي وصف أبو العلاء: حديث خرافة يا أم عمرو.

قال ابن جني: وأم عمرو هذه: أرملة أحد المعلمين، أكلت الطباشير طحاله، وعبثت حماقات الطلاب في دمائه فمات مضغوطاً مسكراً.

حاشية حرفوشية: مضغوطاً أي مريضاً بضغط الدم لا قدر الضغط، ومسكراً: أي مريضاً بالسكري لا ما يقدمه باخوس.

قال الحرفوش: ووصلنا أنه - أي المعلم - أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات ليقرأها منسوبو الوزارة إذا زاروا قبره:

أيها الزائر قبري
اتل ما خط أمامك
ها هنا فاعلم عظامي
ليتها كانت عظامك

*** ما تقول في نهضة العالم الغربي؟**

- ذاك مجد لم ينله أهله
بالتمني والتغني والكلام
بل بآلام وصبر وضنى
ودموع ودم حر سجام

*** ما أفضل طريقة للتعامل مع المعلمين؟**

- أعرف أن التعامل مع المعلمين أشد من التعامل مع الوحوش، لأن الإنسان عقد مركبة من نتاج سابق.

فالتربية الأولية في البيت لها دور في تكوين النفسيات وإخراج الرجال بألوان مختلفة، ولذلك يجب على كل من ولاه الله شؤون هؤلاء المعلمين ألا يكون دقيق النظر تجاه سيئاتهم؛ لأنهم بشر والبشر ذوو نسب عريق في الخطأ، وإنما نخطئ لنثبت أننا بشر وقد قيل:

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

والذي لا يجيد فن استساغة المرارة يسقط في الميدان، وإن كان هو عنترة العبسي شجاعة وبأساً، وقد قيل: الذي لا يحتمل حرارة المطبخ عليه أن يغادره.

إن الناس فيهم مكر وفيهم خداع وفيهم كذب، وفيهم ظلم، وفيهم من الصفات السيئة الشيء الكثير. فإذا وقع من معلم مثل ذلك فهو من هؤلاء الناس، فلماذا نحقد عليه ونحاول أن نتصيد عثراته، إنَّ خيراً من أن تلعن الظلام أن توقد شمعة بابتسامة مضيئة صادقة أو بكلمة رقيقة حانية. وفي آخر المطاف المعلم كتلة من العواطف لابد أن يتأثر بالإحسان إليه. وفي سيرة النبي ﷺ برهان صدق على ما أقول، فقد بُعث إلى من هم أولي بأس شديد وفصاحة ولسن وثقة بالنفس واعتزاز بموروثات الآباء، فخالفهم لما معه من الحق، ومازال بأخلاقه وحدبه وصدقه حتى حرك القلوب القاسية وألان العقول المتحجرة فكان من ذلك جيل الصحابة الفريد.

لا تعجز أخي المدير ولا تقل هذا من المستحيلات، إن



العجز والمستحيل لم يخلقا في عالم الرجل المجد.

*** ألا تلاحظ كثرة التقارير المرسلة من قبل الوزارة؟**

- إذا كان الشاعر فاليري يرى أن أخص مزايا الشعر أنه لا يفهم وكونه لا يُفهم هو الذي يمنعه من الموت؛ لأنك إذا فهمته فقد قتلته. فإن تقارير الوزارة من أخص مزاياها أنها لا تفهم ولأنها لا تفهم فهي قابلة للتناسل، وإذا كانت كذلك فهي مستعصية على الفناء.

*** ما رأيك في قانون المنصب على حسب الأقدمية؟**

- المنصب يجب أن يكون منوطاً بالأكفياء من أهله دون النظر إلى أسنانهم، ولو كان الأمر بالأقدمية والسن لكان كرسي الإدارة أولى بالإدارة من المدير!

*** ما رأيك في المراكز الصيفية؟**

- هذه هي بنوك الوقت الربوية، تدفع فيها وقتاً ردينا لتتمتع بوقت أكثر وأفضل بينما المعلمون المجدون في المعترك ينزفون.

وما عمل المراكز وأهلها إلا تفلية العارضين والمشاجرة مع الصبية الصغار على طريقة معلمي الجاحظ.

ملحوظة حرفوشية: هناك استثناءات.

*** ماذا تقول للإخوة المعلمين الذين يغربون عن أهليهم فيتضجرون ويتنمرون لذلك؟**

- أقول لهم: حيثما تكونوا فهذا أفضل مكان.

*** قانون صارم لا يُعمل به في التربية؟**

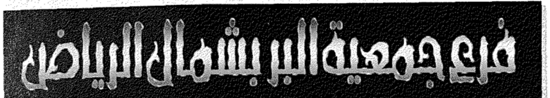
- ما ذكره أبو حيان التوحيدي في الإمتاع عن أحد الحكماء أنه قال:

«لا ترفهوا السفلة فيعتادوا الكسل والراحة، ولا تجرنوهم فيطلبوا السرف والشغب، ولا تأذنوا لأولادهم في تعلم الأدب فيكونوا لرداءة أصولهم أذهب وأغوص وعلى التعلم أصبر، ولا جرم فإنهم إن سادوا في آخر الأمر خربوا بيوت العلية أهل الفضائل».

*** كلمة ختامية؟**

- أقول لكل مسؤول عن التعليم:

اطووا مناهجكم وخلوا الكتب تخطئ أو تصيبْ
وسلوا المعلم أهو راض حين يعمل أم غضوبْ
نُظُمٌ تحركها الرياح كما يطيب لها الهبوب
تجري الشمال بهن أونة وأونة جنوب
كيف التقدم والمعلم من إرادته سليب
عانٍ يتوق إلى الوثوب فلا يتاح له الوثوب
إن لم تطب نفس المعلم لم تجد شيئاً يطيب ■



مشروع

التجارة الرابحة

السهم الذهبي

ليكن لك مساهمة في كل خير لتكن من أهله

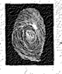
ساهم بـ ٥٠٠ ريال توزع على النحو التالي:

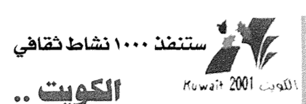
- ٥٠ ريال صدقة للمشاريع الخيرية
- ٥٠ ريال مشروع صدقة جارية
- ٥٠ ريال مشروع برادة المياه
- ٥٠ ريال كفالة الأيتام
- ٥٠ ريال كفالة الأرامل
- ٥٠ ريال كفالة أسرة فقيرة
- ٥٠ ريال كفالة طالب في حلقة التحفيظ
- ٥٠ ريال صدقة الصيف للأسر (ثلاجة + مكيف)
- ٥٠ ريال صدقة الشتاء (بطانية)
- ٥٠ ريال الحقيبة المدرسية

ت/ ٤٦١٦١٦٢ ٨ خطوط

حساب الفرع لدى كافة فروع شركة الراجحي المصرفية (٤/ ٢٧٩٠٠٤٨٢٧

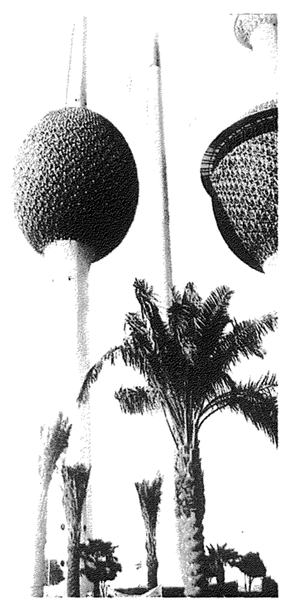
الرجاء كتابة نوع التبرع في سند الإيداع





ستنفذ ١٠٠٠ نشاط ثقافي

الكويت .. عاصمة للثقافة العربية للعام 2001م



انتهت المدة المقررة لحمل الرياض شعار مدينة الثقافة العربية التي استمرت طوال عام ٢٠٠٠م، وذلك وفق ما نصت عليه لوائح الجامعة العربية التي تبنت اقتراح عاصمة ثقافية عربية لكل عام.

وفور انتهاء الرياض من «همّها» الثقافي تلقفته دولة الكويت وسط جدل ثقافي تبنته النخبة الثقافية فيها حول البرامج الثقافية المعدة للعام ٢٠٠١م.

وذلك الجدل يشبه إلى حد كبير مناقشات الأدباء والمثقفين في المملكة لبرامجها الثقافية أثناء العام ٢٠٠٠م.

الانتقادات التي طرحت هنا وتطرح الآن في الكويت متشابهة إلى حد كبير، فالسعوديون تحدثوا عن طغيان الرسمية في المشروعات الثقافية، وتعدد اللجان المنفذة وتكرار البرامج وتقليديتها وإقحام برامج عادية تنفذ سنوياً في المؤسسات الحكومية إلى برامج كأنها أعدت خصيصاً ضمن نشاطات الرياض (العاصمة الثقافية).

وكذلك يتحدث الكويتيون يقول حسن بن أحمد عبدالله في جريدة الرأي العام: «لا يمكن ربط الإنجازات بالأشخاص لأنها تَمَّت بفعل جهود مشتركة من قبل جميع العاملين في هذا الحقل».

ويضيف: «البرنامج المعلن لأنشطة العاصمة الثقافية يتضمن محطات مهمة، لكن في الوقت نفسه يتضمن أيضاً أنشطة مستعادة شكلاً ومضموناً، وهذه كان من المفيد تجاوزها حتى لا تصبح نقطة ضد البرنامج».

ويشير حسن إلى الأسابيع الثقافية الكويتية التي يطغى عليها الطابع الرسمي يقول «وكلنا يعرف كيف تتم عملية الإنتاج الثقافي على المستوى الرسمي».

البرنامج الكويتي للعاصمة الثقافية ٢٠٠١م تضمن ألف نشاط لمؤسسات حكومية وأهلية ينطلق من هدف حدد له وهو «الانطلاق إلى تنمية ثقافية تؤهل الكويت لدخول القرن الحادي والعشرين ببناء حضاري ثقافي متميز».

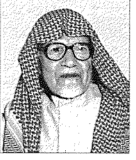
وعلى مدار العام يتم افتتاح مجموعة من المشروعات الثقافية إضافة إلى العديد من الأنشطة الأخرى من بينها مهرجانات المسرح والطفل والسينما العربية وأسبوع الطفل الخليجي علاوة على استضافة مسرحيات عربية وعالمية وأسابيع ثقافية لدول عربية وأجنبية.

يذكر أن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» قد أقرت فكرة العواصم الثقافية بناء على اقتراح من وزيرة الثقافة اليونانية الراحلة ميلينا ميركوري بهدف تعزيز الحوار بين الثقافات، وتم تطبيقها في الاتحاد الأوروبي وتبنى وزراء الثقافة العرب المشروع في عام ١٩٨٨ وتم تنفيذه عام ١٩٩٦م. ■

برعاية الأمير سلمان بن عبدالعزيز

إنشاء مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي

«كانت تربطني بشيخنا الجليل حمد الجاسر علاقة خاصة ومتينة، ولأن صلتي به ـ رحمه الله ـ قوية، فقد كنت أستعين به وأستفيد منه في كثير من البحوث والكتب التاريخية التي أرجع إليها، وأستنير برأيه حولها، فكان ـ رحمه الله ـ ذا رأي دقيق ورؤية علمية صحيحة، بل كان الشيخ حمد الجاسر رحمه الله خير جليس، وكنت آنس كثيراً بمجالسته فكان علاوة على ما ذكرته لكم وللإخوان الآخرين من علمه وفضله كان شخصية جذابة حلو الحديث».


حمد الجاسر

هذه الكلمات اللطيفة قالها سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في ثنايا كلمته التي ألقاها في رمضان الماضي في حفل إنشاء مؤسسة الشيخ حمد الجاسر الخيرية للثقافة ومركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي.

وقد كان لسموه دور كبير في فكرة قيام هذه المؤسسة الثقافية التي تهدف إلى المحافظة على الإرث الثقافي والعلمي للشيخ حمد الجاسر، واستمرار مدرسته ومنهجه البحثي، وإعادة تجميع أعماله ومنجزاته الفريدة وإخراجها ونشرها لتكون في متناول الباحثين في المملكة والوطن العربي، وتبني دراسات علمية موسعة عن جوانب شخصيته المختلفة.

وتمثل مؤسسة حمد الجاسر الثقافية التي تلقت دعماً مادياً بلغ أكثر من ثمانية ملايين ريال عنواناً للوفاء ورداً للجميل لرجل خدم العلم والثقافة طوال سني حياته لتبقى مشروعاته الثقافية نبعاً تنهل منها الأجيال اللاحقة.

وكان الشيخ حمد الجاسر قد تقلد في حياته العديد من الجوائز والأوسمة تأتي في مقدمتها:

- جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـ.
- جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام ١٤١٦هـ.
- الشخصية السعودية المكرمة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة عام ١٤١٧هـ. ■

C.I.A تتوقع والشعوب تأمل والأنظمة تجتهد

رسمت وكالة الاستخبارات الأمريكية صورة متوقعة للحال الذي سيكون عليه الشرق الأوسط وشمال أفريقيا حتى عام ٢٠١٥م القادم.

وجاء في التقرير الذي نشرته «سي.آي.إي» على موقعها في الإنترنت ونشرته صحيفة الحياة في عددها رقم (١٣٨١٢) أن العالم العربي سيكون حتى عام ٢٠١٥م عالماً يسكنه، بصورة خاصة، شباب عاطلون من العمل ميالون إلى التطرف، مستعدون لإرهاب داخلي وخارجي، رافضون تلقي تأثير إيجابي من العالم، عائشون في مجتمعات قمعية. ولن تعرف الحكومات العربية إدارة شؤون شعوبها، وستبقى تعاني نقصاً في الموارد، وتخرُب البيئة، وتنفر الاستثمارات، وتتنافس فيما بينها، وتتسلح لتتقاتل، وتثير النعرات الإثنية والطائفية. سترفض هذه الحكومات تشجيع قطاع أعمال مستقل عنها، ولو جزئياً، كما سترفض أي إصلاح سياسي أو انفتاح إرادي إعلامي، وستعجز عن تأمين الخدمات الضرورية للقطاعات المدينية (والريفية) المتزايدة بسرعة.

ويرى التقرير أن المنطقة ستشهد صراعات على المياه، وستتعرض لضغوط ديمغرافية، ولن تواكب ـ طوعاً ـ ثورة المعلومات، كما أن معظم الأنظمة العربية ترفض التغيير بما في ذلك التغيير في أنظمة التعليم، وسيؤدي الاصطدام بين «الضغوط» و«الجمود» ـ كما يرى التقرير ـ إلى تمردات وحركات تطرف وإرهاب!

هكذا تتوقع «سي.آي.إي» مستقبل العالم العربي، وربما هذا ما تأمله وتسعى إليه!. فهل تجتهد الأنظمة العربية وتصيب، وتخيّب توقعات السي.آي.إي ، أم تجتهد وتخطئ كالعادة ولها أجر، وتخيب آمال شعوبها.. عظّم الله لها الأجر؟! ■

صحيفة «الوطن» تربك المرور في شارع الصحافة



حان الآن...

الصافي AL SAFI

36 صفحة

المحليات 7
وكيل وزارة الصحة لـ"الوطن": لا تعليمات بوقف صرف المضادات الحيوية

الاقتصاد 11
الإغراق يهدد بإغلاق خطوط الإنتاج في مصانع الصلب السعودية

البحث عن حل أمثل ... العاملة خلال شهر ...

شقيقة موسى الصدر لـ"الوطن": قيادة الثورة الإيرانية تتحمل مس...

وجه بتنظيم مسابقة القرآن في "الجنادرية"
ولي العهد يستقبل سفيري كندا وغينيا

وزير النفط العراقي يأم...
مصدر أردني لـ"الوطن": ضوء أ...

عندما صدرت جريدة الوطن قبل ثلاثة أشهر لم يتفاءل الكثيرون بقدرتها على تقديم جديد على الساحة الصحفية السعودية، فالبيئة الصحفية التي تعيشها الصحف السعودية المحلية هي البيئة الصحفية التي تعيشها هذه الصحيفة الوليدة. الفارق الوحيد - ربما - هو المطابع ذات المواصفات التقنية المتقدمة.. جداً.

غير أن الوطن بدت مختلفة في شيء ما، خلاف حجمها المميز، فالمادة الإعلامية المتضمنة في صفحاتها ظهرت في صورة ملتزمة بالمعايير الصحفية، فالتحقيق الصحفي والتقرير والمقالة والعمود الصحفي والحوار يمكن التفريق بينها بسهولة على صفحات الوطن الأمر الذي يختلط - رغم كونه من أساسيات العمل الصحفي - لدى الصحف المحلية الأخرى. ولا يجد المتفحص أثراً «للحشو» الكلامي في المادة الصحفية، وتقلُّ إلى حدٍ كبير الأنماط الكتابية التقليدية في تناول الأخبار والقضايا الرسمية والمحلية. وتدعم المواد الصحفية بخلفية معلوماتية جيدة.

أما الميزة الأساسية لصحيفة الوطن، كما يرى كثيرون، فهي القدرة الكبيرة على طرح قضايا الرأي الهامة وإتاحة الفرصة الكاملة لمختلف وجهات النظر، وشغل مساحة الحرية المتاحة «إلى الآخر» ، بل والضغط على جانبيها لكسب مزيد من الاتساع. وكذلك فعل الكثير من كتّاب الزوايا الثابتة في الصحيفة مهما كان الموقف من هذه القضايا.

لقد أربكت صحيفة الوطن المرور في شارع الصحافة السعودية.

عدد من الصحف المحلية ستكون في وضع صعب للغاية إن استطاعت صحيفة الوطن - بعد معالجة تشوهات

في ظل غياب نظام يحفظ الحقوق ويحدد الواجبات:

الصحفي السعودي في مهب الريح

«لايوجد لدى أي وزارة أو إدارة بما في ذلك الخارجية أومجلس الشورى متحدث رسمي يمكن للصحفيين الرجوع إليه وسؤاله! كل ما علينا أن نفعله الآن أن نحاول وأن نكتب وأن نجتهد حتى خطاب إنذار قادم وحتى تتضح ملامح الخط الأحمر!»

هذه آخر فقرة سطرها في مقاله الصحفي الزميل ناصر الصرامي مشرف صفحات الإنترنت بجريدة الرياض في العدد (١١٨٨٦) بعد أن سرد معاناة الصحفي السعودي وكأنه يقول: «ليس باليد حيلة».

يقول الصرامي في مقالته: «الصحفي المحلي يعيش مغامرة ومقامرة في نفس الوقت، خطاب إنذار قد يوقفه عن الكتابة، وخلاف داخل مؤسسة قد يحذف به خارج أسوار الصحافة» ويضيف: «الصحفيون السعوديون لايجمعهم إلا كلمة «كتَب» ولا يحميهم إلا وعي مسؤول وهو وعي قلَّ أن يوجد لدى التنفيذيين وحتى الوزراء».

ويشير إلى أن الصحفيين المحليين «لا تجمعهم استراحة ولا مجلس ولا ناد ولانقابة تنظم أحوالهم وترتقي بمهنة الصحافة وتعطيها دورها الحقيقي».

الصرامي عندما يصف حال الصحفي السعودي والهيكلية التنظيمية الغائبة في محيط عمله والتي باتت هماً




المجتمع 31
جهود لدمج "ذوي الاحتياجات الخاصة" في المدارس السعودية
27
مدرب الاتحاد السعودي:
يعمل ضد مصلحة النادي

في والخميني سكت على ما حدث (ص4)
إلى اتفاق يمهد لاستئناف ضخ النفط
- بريطاني" وراء تحرك عنان باتجاه بغداد

الصفحات الفنية والإخراج الفني - تلافي النقطة السلبية الأساسية، وهي ضعف كمية الإعلانات على صفحاتها مما يضعف من إمكانيتها المادية.. الشرط اللازم للاستمرار والتطوير. ■

يؤرقة.. فإنه يصف مشكلة طال أمدها بلا حل، وحالة صعبة تقف في وجه تطور الصحافة السعودية التي ليس لها أي تمثيل في مجمل الأنشطة الصحفية الخارجية أو في التجمعات والنقابات الصحفية العربية.

لسان حال الصحفي المحلي يحكي بكل ماحكاه هذا المقال ويؤكد كل ما قاله.. وينتظر موقعاً لائقاً يجعله في وضع أفضل بحيث لا ينتظر «شلة» في الجريدة ينغمس فيها لتحميه وليبقى فترة أطول في عمله.. ■

أقول قولي هذا..

البطالة والقيم.. والجريمة

الإنسان لا يولد مجرماً، والظروف وحدها هي التي تصنع المجرم، ولعل أكبر دليل على ذلك انخفاض معدل الجريمة في الولايات المتحدة. وفي دراسة أجرتها إدارة التعليم في ولاية واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية اتضح الآتي:

* كلما انتشر التعليم، ازدادت فرص العمل وبالتالي قلت الدوافع التي تحفز الإنسان على الجريمة.

* حينما تزداد البطالة فإن خيارات الإنسان تتناقض وتتقلص، ولا يبقى أمامه إلا الإقدام على ارتكاب الجريمة.

* عندما يتناقص متوسط دخل الفرد ويزداد مستوى الفقر فإن معدلات الجريمة تزداد تبعاً لذلك.

* إن عدم المساواة في توزيع الثروة والدخل واحد من الأسباب المهمة في ارتفاع نسبة الجريمة.

* وكل العوامل السابقة كالجهل والبطالة وعدم المساواة في توزيع الثروة يؤدي إلى انعدام التلاحم بين أفراد المجتمع وانهيار قيمه وبالتالي إلى انتشار الجريمة وضراوتها.

ولعل أهم الجرائم التي ترتبط بالبطالة هي تجارة المخدرات وانتشار إدمانها. ففي الولايات المتحدة وجد أن نسبة الفقر بين الأمريكيين انخفضت من ١٥٪ في عام ١٩٨٢م إلى ١٣٪ في عام ١٩٩٧م ونتيجة لذلك تناقصت نسبة إدمان الهروين من ٠,٢٪ إلى ٠,١٪.

وعندما نأتي إلى المملكة العربية السعودية حيث لا توجد إلا إحصاءات تقديرية نجد أن عدد العمال الأجانب يصل إلى خمسة ملايين عامل وهم عدد العمال الذين دخلوا إلى البلد بطرق مشروعة، ولكن هذا لا يعني أن معظمهم يعمل فعلاً، ويضاف إلى هؤلاء حوالي مليوني متخلف ليست لديهم إقامة نظامية، ونسبة كبيرة من هؤلاء عاطلون، ومن الصعب تقدير نسبة البطالة بينهم فهم يعيشون في الظلام بعيداً عن أعين الجهات الأمنية، وإذا أتينا إلى السعوديين نجد أن نسبة البطالة التي تقدرها بعض الجهات كغرفة تجارة الرياض تصل إلى ١٤٪ ولكن النسبة الحقيقية كما تدل الوقائع أكبر من ذلك. فشركة كهرباء الجنوب على سبيل المثال أعلنت قبل مدة عن حاجتها إلى ١٠٠ موظف فتقدم لها ٩٤٠٠ مواطن تم تقليصهم في البداية إلى ٢١٠٠ وبعد ذلك تم اختيار العدد المطلوب. وبجانب البطالة نجد أن مستوى دخل الفرد السعودي قد تناقص سنة بعد أخرى، فمنذ عشرين عاماً لم تزد رواتب الموظفين والمتقاعدين في حين تضاعفت نسبة التضخم عدة مرات (ولو أنه لا توجد إحصاءات دقيقة في هذا الصدد) وفي الوقت نفسه فرضت رسوم جديدة وزيدت بعض الرسوم الأخرى كرسوم الاستقدام والإقامة، كما زادت أسعار الكهرباء وارتفعت ضريبة البنزين، وإجمالاً زادت نسبة الفقر بين السكان. وفي ظل هذه الظروف بالطبع لابد أن نتوقع ارتفاع نسبة الجريمة وتعدد أنواعها وارتكاب جرائم لم تكن معروفة من قبل في مجتمعنا، ولابد حتماً أن تنهار القيم وتتفكك الأسر وينعدم التلاحم بين أفراد المجتمع وتنتشر العداوة والبغضاء بينهم وهو أمر إن لم نتداركه ونجد الحل الحاسم له فإن وضعنا كأمة وكوطن مهدد بالانهيار. ■

عابد خزندار

المصدر: جريدة الوطن - العدد: ٨٢

فجيعتنا في العلماء

مساء يوم الأربعاء ١٥ شوال ١٤٢١هـ كان ينبغي أن يكون مساء استرخائياً لفريق «المعرفة» حيث أرسلت آخر مادة في هذا العدد الذي بين أيديكم إلى المطابع. لكن هذه الأمنية لم تتحقق.. بل وأُجهضت حين رن هاتف «المعرفة» وقبيل صلاة العشاء من ذلك المساء لينبئنا بخبر تحزن له القلوب المسلمة وتتفطر له المشاعر المؤمنة.. لقد مات العالم الشيخ محمد بن عثيمين.

مات الشيخ الذي أحب الناس.. وأحبه الناس.

مات العالم الذي تعلّم من الناس.. وتعلّم منه الناس.

مات الداعية الذي دعا الناس.. ودعا له الناس.

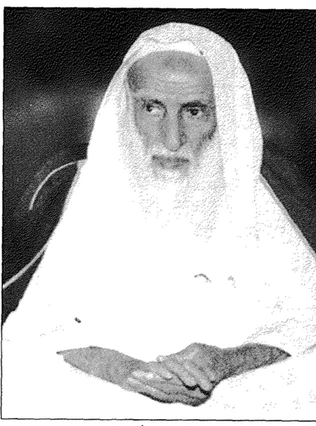
**

والوقت الذي أمامنا لإعادة توضيب العدد بحيث يظهر فيه هذا الخبر العاجل الذي بين أيديكم وأعينكم،لا يسعنا لتحضير الكلام المنمق الذي يليق بمكانة ابن عثيمين في نفوسنا.

المشاعر مكتظة.. لكن الكلمات شحيحة.

ودوماً كلما زاد اكتظاظ المشاعر.. زاد شح الكلام!

محمد بن عثيمين رجل عرفه الناس على امتداد الجغرافيا السعودية والعربية والإسلامية. لكن الذين عرفوه معرفة لصيقة - وهم كُثُر - عرفوا فيه خصلتين تميزان شخصية ابن عثيمين عند الحديث عنه في المجالس والمنتديات هما: ورعه ومنهجيته. فالشيخ الجليل عُرف بورعه وزهده في الدنيا وملذاتها وهو قادرٌ عليها، بل وعُرض عليه من زخارف الدنيا ما أبى وتمنّع عن الانزلاق فيها، والحكايات في هذا عنه شهيرة.


محمد بن عثيمين

أما الخصلة الأخرى فهي منهجيته وأسلوبه في الفتيا التي لم يألفها الناس. فهو إذا سئل عن مسألة لا يكتفي بمجرد الإجابة بحرام أو حلال أو نعم أو لا. بل هو يسعى إلى إمساك المسألة من تلابيبها وبسط مقدماتها ودوافعها ومسوغاتها ثم يعطي رأيه فيها مبنياً على تلك المقدمات والحيثيات.. فرحمه الله رحمة واسعة.

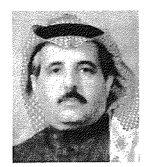
**

خلال فترة وجيزة في عمر الكون مات حشد من العلماء والدعاة.: عبدالعزيز بن باز.. محمد الغزالي.. الألباني.. الشعراوي.. الطنطاوي.. سيد سابق.. صالح ابن غصون.. عطية سالم ومصطفى الزرقا، وغيرهم كثير من رموز الدعوة والعلم الشرعي. حتى غدونا نظن الأرض الآن غدت دون علماء!

ما أحوج الأرض أن يمدها ربها بأفذاذ يكونون فيها من الراسخين في العلم.. والراسخين في العمل من أجل هذا الدين وهذه الأمة.. وهذا الكون.

رحم الله الشيخ ابن عثيمين وجميع العلماء والدعاة المصلحين الأحياء منهم والأموات وأسكنهم فسيح جناته.. إنا لله وإنا إليه راجعون.■

فسحة



محمد علوان

الهــروب

المدرسة الابتدائية منذ عقود من الزمان كانت تمثل للكثير طموحاً لايحد وزهواً لايرد، فالمتكلم عملة نادرة، بل إن أشكال المدرسين وقسوتهم البالغة تثير في قلوبنا الصغيرة معنى مضاعفاً لهيبة المدرسة وقداستها، والآباء لايألون جهداً في منح المدرس اليد الطولى القاسية التي قد تصفع بلارحمة، وتقرص حتى يخرج الدم. وأذكر وأنا - والعياذ بالله من أنا - من الطلبة النابهين، ولم أكن ممن يتزين دفتر الجزاء باسمهم إلا تلك المرة النادرة، حين صادف أن الواجب المقرر فعله في ذلك اليوم لم يتم من قبلي الأمر الذي أضاف اسمي وللمرة الأولى في دفتر الجزاء، والذي يذهب في النهاية إلى مدير المدرسة، حيث يقبع رعب أسمع عنه وهو (الفلكة). وأحسست بالهلع يخامرني من جانبين فخوفي المضاعف معرفة والدي بذلك، فهو لا يضرب ولكن كلمة منه أشد فتكاً وأثراً من أي فلكة جاهزة.

حين تقاطرنا نهاية الدوام المدرسي دخولاً إلى حضرة المدير وهو صديق خاص لوالدي (محمد الحميد) رئيس نادي أبها الأدبي الآن. نظر إلى المجموعة فعرف أنهم من أشد المشاغبين، ثم نظر إليّ نظرة عاتبة وكأنه يقول في داخله: كيف وصلت مع هؤلاء وهؤلاء بالذات؟ لكن لا محيص من العقاب وقد بدأ بي وفي الفلكة التي أسمع عنها وها أنا أمسح دموعي وآلام حارقة في باطن قدمي.

لم أكن أحمل في خاطري فكرة الهرب التي يتقن تزيينها مجموعة من أساتذة المشاغبين والراسبين لسنوات كثيرة، بل إن فكرة الخروج في حد ذاتها أشعر بتفاهتها إلا أن ذلك يأخذ معنى آخر لديهم، وهو الرجولة وعدم الضعف بل والمخالفة لما هو سائد. اختمرت هذه الفكرة في خاطري يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع، لا لشيء سوى أن ذلك لابد أن يحدث ولو لمرة واحدة لإغاظتهم وإشعارهم بالرجولة.

غبت ذلك اليوم عن المدرسة دون علم أبي، جئت اليوم الثاني للمدرسة مزهواً بفعلتي تلك، وكانت المحاكمة: ماذا فعلت هل ذهبت للغدير وسبحت.. قلت لا، هل ذهبت لبستان فلان وسطوت على تفاحه قلت لا! وتوالت الأسئلة التي لم أعرف الإجابة عليها. ران صمت كبير وسألوني بفم واحد ماذا فعلت؟! قلت لهم: اختبأت. علت الدهشة وجوههم.. حسناً أين؟ قلت: أمام باب بيتنا! لم أكمل حتى سمعت قهقهة كالرعد وبصوت واحد: تهرب من المدرسة وتظل ملاصقاً لباب البيت أيها الغبي.

ومنذ ذلك الحين لم أعد أفكر لافي المبدأ ولافي تنفيذه.. زمن موغل!

السؤال الآن الهرب من المدرسة مازال كمبدأ.. أما الوسائل فحدّث ولاحرج. ■



تعلم لتكون

مدارس رياض نجد

هاتف : 2491616
E-mail: RNS@RIYADHNAJEDSCHOOLS.Com.
http://WWW.RNS.Sch.sa